

الكناية في القرآن الكريم

موضوعاتها ودلالاتها البلاغية

الدكتور

أحمد فتحي رمضان الحياني

أستاذ البلاغة المساعد في قسم اللغة العربية
كلية الآداب / جامعة الموصل



مكتبة النقد الأدبي
LITERARY CRITICISM LIBRARY





الكناية في القرآن الكريم

موضوعاتها ودلالاتها البلاغية



رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2813/71331)

المجلد الثاني

الكتاب في التاريخ والجغرافيا والتاريخ الإسلامي العربي - من الجزء الثاني والثلاثين

(1 من

أجزاء) (2813/71331)

المطبعة: المطبعة الوطنية للطباعة والنشر

© كل الحقوق محفوظة. كل الحقوق محفوظة. كل الحقوق محفوظة.

Copyright ©
All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-9957-572-33-4

هذا الكتاب هو جزء من هذا الكتاب في التاريخ والجغرافيا والتاريخ الإسلامي العربي - من الجزء الثاني والثلاثين
من هذا الكتاب في التاريخ والجغرافيا والتاريخ الإسلامي العربي - من الجزء الثاني والثلاثين



دار فirdous النشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة - الطبعة الأولى

الطبعة الأولى: 1437 هـ / 2015 م

Email: darfirdous@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة - الطبعة الأولى

الطبعة الأولى: 1437 هـ / 2015 م

Email: darfirdous@gmail.com

الكناية في القرآن الكريم

موضوعاتها ودلالاتها البلاغية

د. أحمد فتحي رمضان الحيايني

أستاذ البلاغة والمساعد في قسم اللغة العربية

كلية الآداب / جامعة الموصل

الطبعة الأولى

2014 م - 1435 هـ

والله اعلم

والله اعلم..

إسماعيل.. ونفسي بنام

والله اعلم.. سارة وعلي ومروة

والله اعلم.. والحمد لله

والله اعلم.. والحمد لله

بمعاً لله.. طسرة جهدي

المفهرس

13 المقدمة
17 المهاد النظري (الكتابة في الدراسات البلاغية):
20 الكتابة لغةً
61 مفهوم الكتابة ودلالاتها الاصطلاحية
63 الكتابة بين الحقيقة والجهاز
65 الفرق بين الكتابة والتصريح
79 معيار الجودة في الكتابة عند البلاغيين
82 الفصل الأول: الكتابة للجسدية:
86 الزكّ واللباس والمباشرة
88 الإضمار
90 التضيي
92 الإعتزال والتعريب والإتيان
92 المسّ والمسّ
96 المجر في الضامع
98 الدخول
99 التمتع
100 السرّ
102 تحت حجبين
102 الطمّ والقرص المرفوعة
 الفصل الثاني: الكتابة اللونية
110 الكتابة باللون المباشر:
110 الكتابة باللون الأبيض والأسود
116 الكتابة باللون الأزرق

119	.. الكتاب بالون الأخضر والأصفر ..
126	.. الكتاب بالون غير البائس ..
126	.. الكتاب بالإسفار والنبرة والفترة ..
129	.. ناضرة وبصرة ..
	القصل الثالث: الكتاب النضية:
137	.. عض الأنازل ..
140	.. عض الديدن ..
141	.. تطلب الكفن ..
143	.. السوط في اليد ..
144	.. رد الأيدي في الأوتار ..
145	.. جعل الأصابع في الأذن واستنشاد الثياب ..
147	.. النبذ وراء الظهر ..
149	.. الانقلاب على الأعقاب ..
150	.. تنكس الرؤوس ..
152	.. تسوية الأرض بالكافين ..
153	.. مخطوع الأعناق ..
153	.. بلوغ القلوب الحناجر ..
156	.. شحوص الأبصار والإعطاع وإنتاع الرؤوس ..
157	.. شحوص الأبصار ..
158	.. الزلق بالأبصار ..
159	.. الإزدهاء بالأعين ..
160	.. قرّة العين ..
	القصل الرابع: الكتاب الخلقية:
163	.. أكل لحم الأخ لليت ..
167	.. حالة الحطب ..
167	.. غلّ اليد إلى المتق وبسطها كل البسط ..

- 172 - نفس الباء
- 173 - التميم
- 174 - منع للاعوذ
- 176 - تصحيح الحذف
- 177 - على الرسول
- 178 - النبطي
- 179 - عبي الباطل
- 180 - إنفاذ الرسول
- 181 - الإعراف والثاني بالجناب
- 183 - المشي على الأرض فوقاً
- 183 - حيث لأقدام
- 183 - القتال في ترى حصنة ثم من وراء جدر
- 185 - الإصعاد والتي
- 186 - غلب الأجر والضرب بالأرجل
- 189 - مذ المين
- 191 - التجالي عن المشايخ
- الفصل الخامس: الكتابة السخيرة ..
- 195 - الرسم على الخرطوم
- 200 - السُّنْع بالناسية
- 202 - ذُوْكَ لَكَ أنت العزيز الكريم
- 204 - الضرب على وجوه الكافرين وأهلبهم
- 206 - تولية الأديار
- 207 - غزوة الأرض وبلوغ الجبال طولا
- 208 - الصنعة
- 209 - شرّ الدواب
- 211 - دوران الأمين

- 213 - المواقف ..
- 214 - اتَّخَذَ الطعام ..
- 215 - الأخت بالتواصي ..
- الفصل السادس: الكتابة العرفية:-
- 251 - لا يَكُنَّ والوَفَرْ والجِجَاب ..
- 223 - خَلَّتْ ..
- 224 - الحُكْم ..
- 225 - الطَّعْن ..
- 228 - الأَفْئال ..
- 229 - الأَعْلال ..
- 231 - النبطاء ..
- الفصل السابع: الكتابة التسمية:-
- 244 - إنما يذكر أولوا الألباب ..
- 248 - فسألهم إِنْ كانوا يظنون ..
- 250 - يَا أَهْلَ الْبَيْتِ ..
- 253 - المثل بأمرأة فوج وامرأة لوط ..
- 255 - يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَيْتًا ..
- 254 - أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ خُلَفَاءَكُمْ عَيْنًا ..
- 257 - مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ..
- 258 - أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُوا إِلَى الْإِهْسَارِ ..
- 259 - وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُفْقَرُوا عَلَيْهَا مَسَمًا وَعَشِيًّا ..
- 260 - وَمَا هِيَ مِنْ الثَّقَلَيْنِ بَعِيدَ ..
- 261 - وَكَانَ مِنْ نَحْيٍ قَاتِلٍ مَعَهُ دَرِينٌ كَثِيرٌ مِمَّا وَعَدُوا لِمَا أَصَابَهُمْ ..
- 262 - وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُم لَعَلَىٰ مَسَدٍ أَوْ فِي ظُلَلٍ مِجَنٍّ ..
- 264 - وَمَالِي لَا أَحْبَدُ الَّذِي فُطِرَني وَإِلَهَ تُرْجَمُون ..
- 266 - لَا تَسْأَلُونَنَا لِمَنَّا وَلَا نَسْأَلُكُمْ حَمَانًا تَعْمَلُونَ ..

266	.. لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرآه خاشعاً متصدعاً من خشية الله.
267	.. وحسب لله مثلاً قريباً كانت آية.
	الفصل الثامن: كتابات من يوم القيامة
272	.. الواقعة.
274	.. الفارقة.
276	.. الحاقة.
277	.. الصافات.
278	.. الطات الكبري.
280	.. النازعة.
281	.. الألفة.
284	.. الكشف من الساق.
286	.. جعل الرعدان شياً.
278	.. أصحاب اليمين.
290	.. أصحاب الشمال.
291	.. إتيان الكتاب من وراء الظهر.
	الفصل التاسع: كتابات في موضوعات مفرقة
295	.. كتابات عن الشدة والكرب.
296	.. الناف الساق بالساق.
297	.. الكركب طيقاً من طيق.
298	.. غياق يوم درعا.
299	.. كتابات من مصارع النابرين.
300	.. لفشيم من اليم ما غشيم.
304	.. أوزم لامت السماء وشمود اللين جابوا الصخر بقراة، وفرعون ذو الأوتاد.
307	.. تنصم الأرض من اطرافها.
308	.. كتابات عن العذاب.
309	.. من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

- 310 من بين أيديهم ومن خلفهم ومن أيمانهم ومن شملهم.
- 311 كتابات من الرحمة
- 311 ففتح البركات من السماء والأرض
- 312 الأكل من فوق ومن تحت الأرض.
- 313 رحلتهم على ذات الراح وهمس .
- 314 كتابات أخرى
- 314 التشتت في الخلية ولي الخصام غير مبين .
- 315 يظهر الثياب
- 316 البهتان لكفرتي بين اليقين والرجلين
- 319 الحائلة
- 327 لهت المصادر والمراجع

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المصطفى محمد وعلى آله وصحبه ومن امتدحهم إلى يوم الدين.

وبعد

إن هذا عارضة جادة تنطلق من القرآن الكريم كتاب العربية الأكبر لدراسة ظاهرة أسلوبية من ظواهر أساليبه المعجزة، وهي ظاهرة للكتابة بوصفها فناً من فنون النثر التي جعل بها القرآن الكريم

وختاري هذا الموضوع عائد أساساً إلى سببي، أولهما حبي الكبير لكتاب الله منذ الصغر وثانيهما إيماني بأن التخصص في علم البلاغة العربية يجب أن يتمسك في رحاب القرآن، فهو معجزة البلاغة العربية ومقياسها الأمثل الذي يحظى به على مدار الزمن. من أجل ذلك انطلقت النية على أن تكون دراستي فيما يتعلق بالقرآن موزعة الاختيار على موضوع (الكتابة) تحديداً لأهميته في الدرس البلاغي والأدبي من جهة، ولعلم دراسة هذا الفن الياني دراسة على وجه الاستقلال شاملةً مضمونه من جهة أخرى.

وقد البحث في كتابي منهجين:

الأول: منهج تاريخي يهدف في المقام الأول إلى الكشف عن التطور الذي صارت به الكتابة، استعرضت فيه الكتابة لغةً واصطلاحاً وشأنها وتطوراً وقيمةً وبلاغةً، وكان هذا المنهج كفيلاً ببيان مفهوم الكتابة وتطوره عبر المراحل التاريخية المتعاقبة.

والثاني: منهج تحليلي قامت عليه فصول الأطروحة والتي جندتها وكيفية بيان الملامح الفنية التي توارث عليها الكتابة القرآنية، وقد عظمها القرآن وسبغة حيوية فاعلة

في توصيل ألفاظه ومقاصده التي حشد إليها

وموضوع الكتابة ليس سهلاً يسيراً، فهو يكاد أن يكون من أكثر الأساليب البلاغية دقة وحفاً، وقد اختلف البلاغيون القدماء في تحديده وبيان ما يدخل تحت من الظواهر والأساليب. بيد أن مفهوم الكتابة تبلور على يدي قلماة بن جعفر باسم "الأرداف" وأعلمه عنه البلاغيون الذين جاءوا بعده، ونقل عبد القاهر الجرجاني تعريف قلماة للأرداف وسماه كتابة، وكذلك فعل البلاغيون بعد الجرجاني. وتوسع مفهوم الكتابة عند ابن الأثير حينما أضاف

كل أسلوب يمثل معنى، أحدهما قريب، والآخر بعيد، وهو مراد للتكلم في الغالب، ويحقق هذا المعنى البعيد عنه إما بالألفاظ، وهو التعبير عن المفهوم بلفظه، وهو ما ذهب إليه قدماء بن جسر، أو بالتمثيل، وهو التعبير عن المعنى بتمثيله، أو بالمجاز، وهو التعبير عن الشيء بتركه إلى ما جاوره، ومع هذا التوسع في مفهوم الكتابة فإن ابن الأثير لم يعد التعبير منها. ثم يتسع مفهوم الكتابة عند السكاكي حينما وأما تشمل التعبير والإرفاد والتمثيل والتلويح والرمز والإشارة والإيهام، فبمعناها طرقاً للكتابة وإن اعتنقت إذ يقسمها بعد عام وهو الإشارة إلى المعنى البعيد عن طريق المعنى القريب الذي يدل عليه ظاهر اللفظ.

لذلك كان حقيقاً على الكتاب أن يتبع هذا المفهوم الواسع للكتابة بطرقها المتعددة في الدراسة وأن لا يقتصر على كتابة الإرفاد، كما استقرت تعريفاً واصطلاحاً لما عند المتأخرين كالقرطبي وشراح تلميحهم لأن هذا المفهوم الواسع للكتابة يستوعب أنواعها ويمر من طبيعتها الفنية والأدبية، واجتدى في دراسة الكتابة القرآنية دراسة أدبية وقد شملت هذه الأنواع.

أما مصادر الكتاب ومراجعته فهي عديدة متنوعة، وعقب في طبعة المصادر القديمة المختصة التي خطفي بها الكتاب وأخته. تيسر (الكشاف) للزحري (ت 538هـ) الذي استأثر به الكتاب واستثنى، فلا عجب أن يحتل مكانة متميزة فيه، فضلاً عما أضافه التفسير الأخرى والمصادر البلاغية المختصة والمراجع الحديثة، وقد صلت هذه المصادر والمراجع على نحر الكتاب واكتماله بالصورة التي خرج بها، وقيل كل ذلك كان (القرآن الكريم) هو مصدره الوحيد اكتسب منه بابتلاوة المتكررة أثناء الليل والتهار المداوية إلى المعرفة والإفادة بما بقي الكتاب.

أما بناء الكتاب فقد قام على مهاد واسعة فصول، اعتمدت المهاد بدراسة الكتابة من خلال المعاجم والمؤلفات التي تناولت بلاغة القرآن وتفسيره، والدراسات البلاغية المختصة عبر المراحل التاريخية، ولما كان من المتصور ببطء جميع الدراسات حدثت إلى مبدأ (الانقضاء) فأوردت أكثر المصادر دلالة على الموضوع ولولها قدرة على استكمال متطلباته مركزاً في أثناء البسط على موضوع الكتابة القرآنية ويجلي آراء الفلاسفة القدماء من خلال تحليلهم لهذا الفن، وقد امتازت عنهم - على الأغلب الأعم - بالروح الأدبية في تنويعه تنوعاً نادياً أصلاً.

وأعقب للمهاد الكتابة في القرآن الكريم، وقد انتظمت في فصول تسعة جاءت حسب المنهجية، وبه ولكنني هنا، فعملت هزقات موضوعية مجترحة من طبيعة الكتابات التي تناولتها، وقد حدثت إلى الانقضاء في التحليل لكثرةها، فكان الفصل الأول بعنوان (الكتابة الجنسية)

يبعث في طبيعة هذه الكتابة في القرآن وقد كانت نوعين. كتابة جنسية مشروعة بين الزوجين، وكتابة جنسية غير مشروعة فيما وراء ذلك، وقد ركّز الفصل على الكتابة الجنسية المشروعة في العرض والتحليل والتطبيق لكثرتها ولعميقها في آداء الدلالة الانسانية التي تبينها القرآن في العلاقة بين الزوجين.

وكان الفصل الثاني بعنوان (الكتابة اللونية) وقد كانت نوعين. كتابة باللون للبشر كاللون الأبيض والأسود والأزرق والأصفر، وكتابة باللون غير البشر وهو يتنقل في الصورة الكتابية فيعطي نيسجاً إلى دلالة على نحو مكتف كاللون للبشر بوصفهما إشارة كتابية موسية.

وجاء الفصل الثالث بعنوان (الكتابة النصية) وقد كان ميدان التطبيق على الكتابات التي تجسّد بالحركة الحرفية سواء أكانت الحركة باليد أو بالعين أو بالرس أو بأي عضو من أعضائه جسم لآسان لجسد حالات نفسية معنية وعلمجات شعورية مثقولة حسب السياق الذي تشكّل فيه.

أما الفصل الرابع فهو يحمل عنوان (الكتابة الحقلية) تؤدي فيه كل كتابة دلالة عقلية سلبية كانت أو إيجابية كالعمية والنمعة، والبخل والتبذير، والشجاعة والجبن، والتكبر والتواضع والكرم، تصل إلى الخلق عبر فن الكتابة ذي الطاقة التصويرية والتعبيرية فتكشف الكتابة عن مكتوباتها بما يثري الفكر والشعور وتحدث بالتلقي استجابة في تلقيه الدلالات الحقلية ترغياً أو تنزيهاً.

وتناول الفصل الخامس (الكتابة الساعرة) من خلال حمل الآيات التي احتوت كتابات ساعرة وهي - على الأعم الأغلب - تستهدف إلهام الكفر والمشرّك في صورة كاريكاتيرية تثير السخرية منهم والضحك، وتحطّم قواعد النصية والمنعوية التي يوجهونها إلى مساربة الاسلام وإيلاء السلم.

أما الفصل السادس الذي يحمل عنوان (الكتابة للمعرفة) فقد تناول الدلالة المعرفية في إطار ما يتعلق بالمحاسن والإدراك كالسمع والبصر والتموّذ بوصفها وسائل لتلقي المعرفة التي نمّذ في المنظور القرآني آداء حامية إلى الإيمان بالله ﷻ، فحنّخت هذه الكتابة عالمين متشددين. عالم الكفر والضلال وأصحابه الكافرين الذين تصوّروهم الكتابية وهم يزعمون في مواضع حسية

لجميعهم عن المعرفة في صورة بيانية مميزة وعالم الإيمان والمُدى وأصحابه المؤمنين الذين آمنوا بما معهم الله من حواس ووسائل إدراك ونهم على نور وصيرة.

وانتقد الفصل السابع (الكتابة الترميزية) على دراسة موع من الكتابة بعداً طريقة متميزة من طرقها في التعبير فاستخلصنا التصريف لهذا النوع من الكتابة ثم انضنا بالتحليل والتطبيق الكلاشف من وظيفته في مواقع الآيات الكريمة وبيان أثره الترميزي فيها

وجاء الفصل الثامن بعنوان (كتابات عن يوم القيامة) يصور ذلك اليوم العظيم (يوم القيامة) من خلال كتابات متعددة، تجلّي كل كتابة دلالة خاصة بها في بنائها ولقائها، فضلاً عن كتابات أخرى تتصل بذلك اليوم وما يحدث فيه من أهوال وأحداث مروعة للكون والحياة والإنسان

والشمل الفصل التاسع (كتابات في موضوعات متفرقة) على محاور متعددة هي: كتابات عن الشدة والكرب، وكتابات عن مصارع القابرين وكتابات عن عذاب الله، وكتابات عن رحمة الله، وكتابات أخرى تترد كل كتابة بموضوع معين يصل إلى المتلقي عبر من الكتابة بحوية وفرة وثأير. وكتابات تتعلق بخلق الكون، وأخرى تتعلق بخلق الله ﷻ يستشف منها معاني عظمة الله وقدرته للهيمنة على الكون، وربما كان وراء هذه الصور الكتابية من الأسرار والمعاني ما لا يحيط بها الإدراك والاجتهاد.

وانتهى مطاف الكتاب بفئة عرضت لأهم النتائج وأبرزها، ولم نخسر في كل مراحل الكتاب وصفاً لتحليل بعض من طموح، ثم الخفت به جدولاً إحصائياً مفصلاً لكتابات القرآن الكريم مرئياً حسب السور القرآنية، وملحقاً إحصائياً آخر للكتابة الترميزية، مستنداً في الأغلب التفسير والمصادر البلاغية المختصة، واجتهدت في تبيين طائفة من الكتابات القرآنية بما لم أفكر في الدراسات القرآنية والبلاغية مبدأً نزهها ودلالاتها يقتضي سبقي الآله، وشخصاً الثقة والاستضاء ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، والله حسي، وهو نعم الوكيل.

أحمد فتحي رمضان

المقدمة

الكتابة في الدراسات البلاغية

الكتابة لغةً،

كتب في (المصمم العربي) تلك على (مدلول من لفظ إلى آخر قال عليه)، قال الخليل (ت ١70 هـ) "كنى فلان يكنى من اسم كذا، إذا تكلم بشيء مما يستعمل به عليه، نحو الجمع والفاصل والرفث ونحوه"^(١)، فهو يشترط دلالة للكنى به على المكتنى عنه.

كما اشترط هذه الدلالة ابن فارس (ت 395 هـ) "يقال: كُتِبْتُ من كذا، إذا تكلمت بشيء مما يستعمل عليه"^(٢).

إلا أن الجوهري (ت 393 هـ) قال: "الكتابة: أن تتكلم بشيء وتريد به غيره"^(٣) وبذلك فهو لم يشترط دلالة المكتنى به على المكتنى عنه صراحةً، ويبدو أن الجوهري لم يذكر الدلالة، لكونها لازمة للكتابة، وأن المكتنى لا يصل إلى مالا دلالة له على المكتنى عنه، وغداً لما ابن منظور (ت 711 هـ) يأخذ بالقولين (الذي يشترط الدلالة والذي لا يشترطها) وكان القولين واحد ليقول: "والكتابة أن تتكلم بشيء وتريد به غيره، وكفى من الأمر بشيء يكتنى كتاباً، يعني: إذا تكلم بشيء مما يستعمل به عليه، نحو الرفث والفاصل ونحوه"^(٤).

وفي ضوء هذا تفسر الكتابة بأي من هذين القولين. وهذا ما ذهب إليه الفيروز آبادي (ت 817 هـ)، إلا أنه يقدم ما اشترطت فيه الدلالة على ما لم تشترط فيه الدلالة على ما لم تشترط فيه فقال: "كنا به من كذا يكتنى، ويكنو كتاباً. تكلم بما يستعمل به عليه لو أن تكلم بشيء وتريد غيره"^(٥).

(1) كتاب العين 5 / 411 (كتي).

(2) مقاييس اللغة 5 / 139 (كتي).

(3) المصباح 6 / 2477 (كتي).

(4) لسان العرب 15 / 233 (كتي).

(5) المقاموس المفيد 4 / 386 (كتي).

وفرى أن اشتراط الدلالة على التكسي حته وتليد الكتابة به لولي من عدم اشتراطها وإطلاق القول فيها، إذ إن اشتراط الدلالة يخر الكتابة من غيرها من الأساليب. لمع الإطلاق بينهم من الكتابة مجرد المدلول من لفظ إلى غيره، فتعطل الكتابة بغيرها كالنورية لو انفاز⁽¹⁾.

وقد جعل قسم من اللغويين الكتابة نورية، قال ابن فارس معشاً على قول الشاعر
وإني لأكتب من قلود بغيرها وأضرب أحباتاً بها فأصارع
الا تراء جعل الكتابة مقابلة للمصارعة؟ ولذلك تسمى الكتابة كُتِبَ، كأنها نورية من اسم⁽²⁾. وانتهى إل أنه "الكاف والنون والحرف المعتل يندل على نورية من اسم بغيره"⁽³⁾ وقال ابن منظور - أيضاً - "الكُتِيَ جمع كُتِبَ من قولك كتبت عن الأمر، وكُتِبَتْ عنه: إذا وُتِيت عنه بغيره"⁽⁴⁾.

وهكذا فتر بعض اللغويين الكتابة التي قالوا فيها: بأنها المدلول من لفظ إلى آخر هل عليه بالنورية التي أجموا على أنها من الستر والإعفاء⁽⁵⁾
ولعل هذا الخلط حاد إلى اشتراك الكتابة والنورية في معنى (الستر والإعفاء) لغاً وكلاماً يستر المعنى ويغيبه وراء لفظ غير لفظه.

ومعلوم أن المدلول من ذكر اللفظ لا يمتي بالضرورة إعفاءه وستره، كما لا يمتي ليردّه وإظهاره، وإنما هو مجرد تركه، ومن هنا فاللفظ في الكتابة ليس بالواضح وضح للذكور صراحة، ولا هو بالخبّي الذي أسفي من عدم وقصد، فهو أشبه ما يكون بالكسو برب رفيع، يشف عتاً عنه، فلا هو مستور، ولا هو عار، أمّا النوري عنه لمكسر بكساء سائر يستره ويغيبه، ولهذا يعمد إلى النورية عند إرادة الإعفاء والإيهام والتضليل، بخلاف الكسي، إذ هي دالة على أصحابها دالة الأسماء على سمياتها ولولا هذه الدلالة لما عدل الناس عن الأسماء

(1) ينظر الكتابة، د. محمد جابر لياحي، ص 126

(2) مقاييس اللغة 5 / 139 (كسر)

(3) المصدر نفسه 5 / 139 (كسر)

(4) لسان العرب 15 / 234 (كسر)

(5) ينظر مثلاً لسان العرب 15 / 389 (نوري).

اليها¹²¹ وهذا ما أشار إليه كين منظور في تحقيقه على قول القائل: وأبنت جليلاً يوم القاصية وقد نكتى ولتحبى في ستر، من نكى عنه إذا وزى، أو من الكناية كانه ذكر كنيته عند الحروب يُعرف¹²² فقد أصاب في قوله 'كانه ذكر كنيته ليعرف'، وجانب الصواب في قوله 'أي ستر، من نكى عنه إذا وزى' إذ لا ستر وهو علم من أعلام القاصية، ويطل من أبطانها؟ وعن يستر؟ وأبوت الحرب، وأبطال للمشارك وأعلامها يزعمون بأسمائهم وكنائهم وألقابهم عندما يكرهون على أفعالهم ليشيروا العرب في نفوسهم¹²³.

والبيت الذي استدل به ابن فارس لم يرد فيه الشاعر القوية والابهام والتضليل، وثو أراد ذلك لما ذكر اسمها صراحة في صدر بيته، ولما قال في حيزه 'وأعرب أحياناً به' فأصاح، لأن الكناية دالة على ما عدل عنه، لا تنفي وتوهم وتضلل.

وفي ضوء ما سبق يمكن القول أن الكتابة - لغة - هي جدول عن لفظ إلى آخر حال عليه. والمنقول في هذا المقهور اللغوي للكتابة لا يعني ستره وإخفاؤه وتضليله كما هو في (القوية)¹²⁴ ولا يعني - أبداً - إيواره وإظهاره وكشفه فيقلب التعبير إلى تعبير مباشر يقرّر

(1) الكتابة، ص 121

(2) لسان العرب: 15 / 233 (ك).

(3) ينظر الكتابة، ص 122

(4) يمكن أن نلاحظ بعض الفروق بين أسلوب (الكتابة والقوية) في نفس الاصطلاحي لما حمل الرفع من اشتراكاً لغة في الستر والإخفاء، فكلاهما ستر للنسب ونظيره وراء لفظ غير فقه - أعني

1 - أن الكتابة تقع في القردة والتركيب على حين أن (القوية) لا تقع إلا في القردة

2 - تهدف القوية إلى تحليل المؤدى عنه وإخفاؤه، إذ هي تركز إلى الدلالة والإيهام في حين أن الكتابة دالة على التنكس عنه لا توهم ولا تضلل بل هي تروحي بالنسب للتنكس عنه من وراء سجعها، وقال ابن الأثير الخطي في جوهر الكنى "ولا فرق بين القوية والكتابة، إذ القوية ذكر لفظ له معيان، والكتابة كذلك. وما قال أحد من العلماء بالفرق، إلا أن القوية أقرنت وحاصل الأساس يلهجون بذكرها في معانٍ أخرى، وظهورهم وتوهمهم، ويستعملون لفظهم، فصارت كتابتها غير الكتابة" ص 111 فهو ينظر إلى النسب القوي لهما دون التنكس الاصطلاحي كما هو واضح

3 - إن القوية ترد على الوجه الحقيقي بينما ترد الكتابة على الوجه المجازي.

ويشتر تشابه الصفتي في اللغة والبلغة، د. متعلل نسر الدين طليح، ص 325 وما بعدها

معناه بطريقة مباشرة. وإنما يعني أن المكتبي عنه ليس بالواضح وضوح المذكور صراحةً، ولا هو بالمعنى المضاعف الذي لا تكاد تبيته إلا بالتأمل وإيمان النظر. هو شبه ما يكون بالكسر بدوب وقيق شفاف يوحي بالمعنى ولا يباشر به، يلمح إليه ولا يقرره.

مفهوم الكناية ودلالاتها الاصطلاحية

يعد الباحث في فن الكناية أقوالاً كثيرة متناثرة في مصادر متنوعة أسهم فيها جمع خفير من العلماء من مفسرين ولغويين وفحويين وأدباء وبلاغيين، أسهموا جميعاً في تطوير الدلالة للكناية حتى استقرت بدلالاتها الاصطلاحية عند البلاغيين المتأخرين.

ولي طلبة هؤلاء العلماء المفسرون لكتاب الله، فقد استوى القرآن الكريم كتابات كثيرة، تضمنت منها أحكاماً شرعية، فكان يُراماً على المفسر أن يوضح معانيها والمراد منها ويُؤدّب من جلس (رضي الله عنهم) (ت 68 هـ) من أقوال المفسرين، فقد أشار إلى عدد من كتابات المفسران، ومن المكتسب منه في كل منها وعلمه، فقال في قوله - تعالى - ﴿أَوَلَمْ نَسْخَرِ لَهُمُ الْأَرْضَ﴾⁽¹⁾ نزل والنس وبالمشادة الجماع، ولكن الله ينف ويكني ما شاء بما شاء⁽²⁾ وفي قوله - تعالى - ﴿لِيلَ لَسَقَمَ لَيْلَةَ الْهَيْبَةِ الْفُتَّى إِلَى جَنَّتِهِمْ﴾⁽³⁾ أثرت الجماع، ولكن الله كريم يكني⁽⁴⁾.

وفي قوله - تعالى - ﴿تَالْفُتَّى بِجُودِ﴾⁽⁵⁾ للمباشرة الجماع ولكن الله يكني ما شاء بما شاء⁽⁶⁾، وفي قوله - تعالى - ﴿وَلَا تَكُنْ...﴾⁽⁷⁾، أثرت هنا غير الفوت الذي ذكر في ﴿لِيلَ

(1) من الآية 43 من سورة النساء وسورة النور، من الآية 6.

(2) جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، 5 / 65، ونظر: الأصفهان في علوم القرآن، للسيوطي.

8 / 2.

(3) سورة البقرة من الآية 187.

(4) جامع البيان في تفسير القرآن: 2 / 94.

(5) سورة البقرة من الآية 187.

(6) جامع البيان في تفسير القرآن: 2 / 94.

(7) سورة البقرة من الآية 197.

لَحْمٌ لَيْتٌ أَتَيْتُكَ لَأَكْتُبَ إِلَيْكَ (سورة...) فهو من التبريد بذكر الجمع، وهو من العربة في كلام العرب، أي أفضي الوقت⁴⁰

وكما هو واضح فإن استعمال الكتابة عند ابن عباس يندرج تحت المعنى الذي يلجأ إليه باستعمال الفاظ مهلبة حالة على المعنى المراد بدلاً من الألفاظ الموضوعة لذلك المعنى. وقد نهج أكثر القسرين بهذه توجه في التفسير والبيان مثل: (جمادى ت 103 هـ) و (كتابه: ت 117 هـ) وغيرهما⁴¹

أما اللغويون والمحلون فإن مفهوم الكتابة عندهم يعني كل عمل من صريح اللفظ إلى ما دل عليه من الغموض والكُنْ وأسماء الأشياء والأعداد

فأبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) يطلق الكتابة على التفسير لحلوله محل الاسم الصريح، ودلائله عليه، فقال: "لا لضاف" (تفسيره) إلا بسون الكتابة كقولك (تبرولي)⁴²

ويذكر الخليل الكتابة ودلائلها والذائع التلوي الذي يدفع إليها في الكلام في قوله الماز ذكره⁴³

ويذكر سيوريه (ت 180 هـ) تكتية العرب بفلان وفلانة - من غير ما ألف ولا م - هن أسماء للتحدث عنهم من الأسمين، وبالألف واللام في تكتيتهم من غير الأسمين فقال 'هنا فلان بن فلان، لأنه كتابة عن الأسماء التي هي علامات خالية، فأجريت مجازاً إذا كتبت عن غير الأسمين قلت فلان وفلانة جعلوه كتابة عن الناقلة التي تسمى بكلاً، والقرس الذي يسمى بكلاً، لفرقوا بين الأسمين واليهاتم⁴⁴

(1) جامع البيان في تفسير القرآن: 2 / 134.

(2) ينظر جامع البيان في تفسير القرآن: الفروع السبعة كلها، و 1 / 323، 324، 327 وغيرها.

(3) جاز القرآن: 1 / 13.

(4) ينظر: ص 7 من:

(5) الكتاب: 1 / 387.

ومثال (كم) في الكتانية من الصفد بفلان وفلانة في الكتانية من الأسماء فقال: "وذلك ثرك. له كذا وكذا موعداً، وهو مبهم في الأشياء بمنزلة (كم) وهو كتانية للعدد بمنزلة (فلان) إذا كتبت به في الأسماء".⁴³⁹

وهكذا أطلق سوربه الكتانية على علامة للضمير من أسماء الأديين وغير الأديين والأحادياد. ومما يلفتهم للكتانية هو بالمعنى التضميني لا البلاغي، وهو ما تجده عند القسراء (ت 207 هـ)، وقد أشار القراء إلى جدد من كتابات القرآن، ونقل في بعضها ما قاله ابن عباس، فقال في قوله - تعالى - ﴿وَأَكْبَرُ لَا تَكْبَرُونَ﴾⁴⁴⁰ يقول: لا يصغر أحدكم نفسه في جنبها بالرغبة في التكبر والاكثار منهم ابن عباس أنه قال: السيرة - في هذا الموضع - التكبر ألا زعجت بنسبته اليوم أنيكـيوت وألا ينفذ السر امتاني قال القسراء: ويرى أنه عما كنس لله عنه - قال - تعالى - ﴿وَأَكْبَرُ لَا تَكْبَرُونَ﴾⁴⁴¹

وقال في قوله - تعالى - ﴿سَمِعْتُمْ كَسْرَتَكُمْ وَمَعْرَتَكُمْ﴾⁴⁴² الجلد - هـ هنا - والله أعلموهو ما كنس عنه، كما قال - تعالى - ﴿وَأَكْبَرُ لَا تَكْبَرُونَ﴾⁴⁴³ يريد التكبر، وكما قال: ﴿وَأَكْبَرُ لَا تَكْبَرُونَ﴾⁴⁴⁴ والفاظ الصرراء.⁴⁴⁵
وقال في قوله - تعالى - ﴿يُحْيِيكُمْ بِهِ﴾⁴⁴⁶ كتانية من دعاب السبع والبصر والحشم على الألفاء. وإذا كتبت من الألفاء وإن كثرت وحذت الكتانية، كلوك للرجل القابل وإدبارك بلطيف. وقد يقال: إذا جاء الي في ﴿يُحْيِيكُمْ بِهِ﴾⁴⁴⁷ كتانية من الحلى، وهو كالوجه الأول.⁴⁴⁸

(1) نفسه: 2 / 170.

(2) سورة البقرة من الآية: 235.

(3) سورة النساء، من الآية 43، وينظر سورة المائدة، الآية: 6.

(4) معاني القرآن: 1 / 335، وينظر الاثنان في طوطم القرآن: 2 / 100.

(5) سورة فصلت، من الآية 20.

(6) معاني القرآن: 3 / 16.

(7) سورة الأنعام من الآية 46.

(8) معاني القرآن: 1 / 335.

إن ضمير المثنى للفرد (الماء) تاب عن ذهاب السبع والبصر والحتم على الألف، أو من المثنى وإن حمل الضمير على الاسم أو الكتابة عند القراءة، وهذا ما فهمه في شرحه لقوله - تعالى - ﴿فَكَانَ مِنْكُمْ مَنُفِصِلٌ بَيْنَ الْيَمِينِ وَالْشَّامِ﴾⁹⁷ وقالوا: إن شئت جعلت ﴿مِنْكُمْ﴾ للأبصار، كتبت عنها ثم أظهرت الأبصار أضمرها، كما قال الشاعر:
لَعَنُوهَا لِيَهِيَ لَا تَقْبُولُ ظَمِينِي إِلَّا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَمْبٍ
لَذَكَرَ الظَّمِينَةَ وَقَدْ كُنِيَ عَنْهَا فِي (الْعَمْرِ)⁹⁸

ومقتضى كلامه أن ﴿مِنْكُمْ﴾ تحمل على ﴿الْمُفِصِلِ﴾ مضمر في الآية، وجاءت الأبصار الثانية لتضمر هذا المضمر، كما هو الأمر في بيت مالك بن أبي كعب الذي أضمرت به الظميمة الأولى وتاب عنها الضمير، كما وجاءت الظميمة الثانية لتشرح هذا الضمر وتبينه.

ويوضح أكثر أن الكتابة عند القراءة هي ما يربط عن المضمر أو علامته على حد قول أهل البحر، حين يشرح الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِكُمْ﴾⁹⁹ قال: 'فكفى عن هي، وهي للأيمان ولم لذكر وذلك أن السبل لا يكون إلا باليمين، واليمين، جاسماً ليمين، واليمين. ليكني ذكر اجتماع من صاحبه'¹⁰⁰ أي أن الإيمان مضمر في الآية وحلت ﴿مِنْكُمْ﴾ عليها، فثبت أو كثر عنها.

وشأن أبي حنيفة (ت 210 هـ) شأن القراء في أن المسمى التحري للكتابة لم يمتعه من أن يشير إشارة خافية - إلى الكتابة بمعناها البلاغي، وهي إشارة: تفيد السر ولا شيء غيره، بحرفه اللغوي الشارح. قال أبو حنيفة: 'ومن جاز ما يجوز غيره إلى شيء من شيء، ويُترك غيره قوله - تعالى - ﴿تَقْلُوبُ السُّبُلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾'¹⁰¹ فحول الخبر إلى الكتابة التي في آخر الأفعال¹⁰²

(1) سورة الأبيات من الآية. 97

(2) معاني القرآن: 2 / 212

(3) سورة يس، من الآية: 4

(4) معاني القرآن: 2 / 372

(5) سورة الشعراء الآية: 4

(6) جاز القرآن: 1 / 12.

الكتابة في ضوء هذا المعنى هي ما ينوب عن الضمير - أي إضمار (الكفار) وظهور الضمير (هم) - ﴿تَكْفُرُكُمْ﴾ ، والتخفيف (أهناك الكفار)، ولما كان الضمير مائراً لكلمة الكفار أطلق عليه أبو عبيدة قطف الكتابة.

ويقول "ومن جاز ما جاء من المكتوبات في موضع الأسماء بدلاً منهن فقال - تعالى - ﴿يَا سَيِّدِي سَيِّدِي﴾⁽¹⁾ بمعنى ﴿مَا﴾ معنى الاسم، جازاً. إذ صيغهم كَيْدٌ ساحر⁽²⁾." إذ ﴿مَا﴾ كتابة عن الصريح، حسب مفهوم الكتابة عنه، أي هي التي ثابت في الآية عنه وحلت محله، وقد أضمر لصارت علامة له. والشيء نفسه في قوله - تعالى - ﴿يَا أَيُّهَا﴾⁽³⁾ إذ ﴿يَا﴾ كتابة عن الضمير ذكرت عوضاً عنه وقامت مقامه⁽⁴⁾ ويكتف أبو عبيدة عن لكنى عنه في دراسته لطائفة من الآيات مثل قوله - تعالى - ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ مِنَ الْقَلْبِ﴾ يقول: "كتابة عن حاجة ذي البطن"⁽⁵⁾ ولي قوله - تعالى - ﴿أَوَلَمْ تَسْمَعْ مِنَ الْإِنسَانِ﴾ "كتابة عن الضمير"⁽⁶⁾ وقال في قوله - تعالى - ﴿أَفَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ مِنَ الْقَلْبِ﴾⁽⁷⁾ "كل من رجع عما كان عليه، فقد رجع على عليه"⁽⁸⁾ ولي قوله - تعالى - ﴿يَسْجُدْ سَبْجَةً كَثِيرًا﴾⁽⁹⁾ أي فأصبح نادماً، والعرب تقول ذلك للنادم: أصبح فلان يلقب بـ سبجاً نادماً وظلماً على ذلك، وعلى ما قاله⁽¹⁰⁾ وقال في قوله - تعالى - ﴿مَنْ يَشَاءُ لَكُمْ﴾⁽¹¹⁾ يقال لأمرأة الرجل: هي فراشه، وليامه، ولزوجه، وهنّ لزوج،⁽¹²⁾

(1) سورة طه، من الآية 69.

(2) جاز القرآن: 1 / 15.

(3) سورة البقرة، من الآية: 5.

(4) ينظر: جاز القرآن: 1 / 24.

(5) المصدر نفسه: 1 / 128.

(6) المصدر نفسه: 1 / 155.

(7) سورة آل عمران، من الآية: 144.

(8) جاز القرآن: 1 / 104.

(9) سورة النمل، من الآية: 42.

(10) جاز القرآن: 1 / 404.

(11) سورة البقرة، من الآية: 187.

(12) جاز القرآن: 1 / 67.

إن الكتابة بالمعنى التحوي هو الاستعانة الأساس عند أي عملية وعقد العزاة كذلك، أي أنها تؤدي مفهوماً نوعياً لا بلاغياً بوصفها وسيلة تعبير تصويرية، أو تركيياً يشكّل مجموعة إشارات لغوية تدل على مدرجات تنقل بواسطتها إلى المعنى المطلوب إذ إن مفهوم الكتابة مجتمعاً يفيد أنها إحدى وسائل لغة الأثران الفنية

إنّ الحسّ البلاغيّ للكاتب نجده يتضح ويتعمّق عند المواجهات (ت 255 حـ) فهو قد وقف عند الكتابة وقفات متعمّقة، تحدث فيها عن هذه الطريقة في التعبير العربي بشكله الفني، حديثاً يحدّث منهاها البلاغيّ الذي ارتأه حليمه البيان بمعه. فقد ذكر أمثلة مختلفة للكاتب بنوعيهما: القرينة والمجمل.

وقد أقرده يلاحظ للكتابة بأبأ في كتابه (الحويان) سته (باب من القطن ولهم الرطانات والكتابات) ¹³ وما أورده في هذا الباب قوله أنعمير شيخ من بني العنبر قال أسر بنو شيان رجلاً من بني العنبر قال دعوني حتى أرسل إلى أهلي ليمدوني، قالوا: على ألا تكلم الرسول إلا بين أهله، قال: نعم، قال: فقال للرسول: إئت أهلي فقل: إن الشجر قد أورق، وقل: إن النساء قد اشتكت وعجزت القربى، قال له: انطلق إلى أهلي فقل لهم: ضرُّوا جلي: الأصهب، وأركبوا ناقتي الحمراد، وسلوا حارثاً عن امرئ - وكان حارث صديقاً له - فلقب الرسول فأعبرهم، فدخلوا حارثاً فقص عليه الرسول القصة فقال: أما قوله: "إن الشجر قد أورق" فقد تسلب القوم، وأما قوله: "إن النساء قد اشتكت وعجزت القربى" فيقول: قد اتخذت الشكا وعجزت القربى فلفزوا، وأما قوله: "ضرُّوا جلي الأصهب" فيقول: أرغطوا عن الصمَّان، وأما قوله: "أركبوا ناقتي الحمراد" فيقول: انزلوا النعام. وكان القوم قد نهضوا لمرورهم، فسلخوا، أن يذهبهم، فالتزمهم وهم لا يشعرون، فجاء القوم يطلبونهم فلم يجدوهم ¹⁴.

وهذا النص يشهد باستعمال الجاسط لمصطلح الكناية حسب معناه اللغوي، لكنه في الوقت نفسه مرتبط بمعناه البلاغي ومنفرد تحت المفهوم العام لهذه الوسيلة النحوية، لأن الكائنات في النص.

- 1 - متر للمصنعي الزاد.

102 / 3 + 24 = 34 (13)

(2) المبدأ رقم 3 / 124، 125

3 - فحصل أن تكون حقيقة من جهة أنها استعمال حقيقي للفظ، وبجاءاً من حيث تعبيرها هي معنى آخر قريب من المعنى المقصود وفي علاقة دلالية به. وكذلك نلاحظ أن الجاسط وهي ترحيل من الكتابة هما (القرية والجمعة) وقد أشار إليهما أكثر علماء البلاغة بعده حين تسموها إلى قرية ويعينها والقرية هي "أن تنتقل إلى مطلوبك من أقرب لولامه إليه"⁽¹⁾. والجمعة هي "أن تنتقل إلى مطلوبك من لازم بعيد بواسطة لوازم متصلة"⁽²⁾.

لأن الجاسط "قالوا: حكماً للوضوح والوضح كتابة عن البياض، والبياض كتابة عن البرص، وأوضح الجليل ما فيها من البياض"⁽³⁾ إذ يصح هذا المثال من الكتابة القرية، إذ انتقالنا من الوضح إلى البرص، لا يقتضي منا عملية ذهنية بعيدة التخرج من اللازم إلى المألوف. ولقد وهي الجاسط بالكتابة البعيدة في أمثلة لم يترج منها أصحها ستر للمعنى الذي ترقعوا من التعبير عنه بشكل مباشر، وإنما تحيلوا وصبروا عن تحيلهم بلغة مبعدة مبهمة. قال عمر بن الخطاب هـ "علنا عدو شديد كذب، قليل سلب"⁽⁴⁾ فالانتقال من اللازم (المعنى المكتبي) إلى المألوف (المعنى المنطوق) لا يتم في قول عمر إلا بتلطف وإحسان فكره، لأن الكذب يستلزم في دعنا ضراوة الحيوان وشدة التلحين من اللاء الذي أصابه ثم تنتقل من هذا الذي تنسك من الكلام بشكل مباشر إلى المعنى المرتب عليه الخافض لظروف الخطاب، وهو أن عمر وصف العدو بقاء الكلب أو جنونه، ومعناه أنه شديد قاسي، وربما لا يحتاج إلى هذا الانتقال من المعنى المباشر إلى المعنى الفردي، عبر معنى شمعي في قوله "قليل سلب". لكن الأمر لا ينفك عند هذا الحد، سواء فيما يتعلق بالكلب أو السلب، بل يتعداه إلى كتابة بعضه أوادع عمر، وهي نهي عن أن يترخص للخطاب إلى هذا العدو أو يمارسه، لأن حربه شديدة وخلافه لهبة⁽⁵⁾. وقد أدرك ذلك الجاسط لفظاً "فهي كما ترى من الترخص لهم، بأحسن كتابة"⁽⁶⁾.

(1) حناح الماروط السكاكي، ص 190.

(2) قصص، ص 190-191.

(3) البرصان والبرصان، ص 94.

(4) رسائل الجاسط، 76 / 1.

(5) ينشر المروية الثانية عند الجاسط، اعرص، ولسلو، ص 225-226.

(6) رسائل الجاسط، 76 / 1.

والكتابة عند الملاحظ أسلوب تقتضيه الضرورة، فهو عند أبلغ من التصريح إذا كان التصريح لا يحسن، أو كان متعلواً، والتصريح أبلغ إذا كانت الكتابة لا تلي بالقصر، يقول في ذلك 'وقال بعض أهل الفن: ومن البصر بالحجة والمعرفة بمرامق الفرص أن تلج الإنصاح بها إلى الكتابة عنها، إذا كان الإنصاح أوفر طريقة'⁽¹⁾

وبذلك فإن الملاحظ يسلك في دراسة أسلوب الكتابة مسالك خطقة مع ليس فيها تعصية، ومواضع صلاحيتها وعدم صلاحيتها في الاستعمال اللغوي⁽²⁾

لما بين قتيبة (ت 276 هـ) فقد خصص في كتابه (تأويل مشكل القرآن) باباً مفصلاً (الكتابة والتعريف) وقد أطل الحظت فيه عنهما. والكتابة عند أنواع، ولما مواضع يقتضيه مقتضى الحال والسياق. قال: 'والكتابة أنواع، ولما مواضع، فمنها أن تكتب عن اسم الرجل بالأبوة لتزيد في الدلالة عليه إذا أنت راسلته، أو كتبت إليه إذ كانت الأسماء قد تسمى، أو تعظم في المخاطبة بالكتابة، لأنها تدل على المحنة وتثير من الاكتمال'⁽³⁾

فالكتابة عند ذات ملول لغوي، بمعنى حدوث من لفظ إلى آخر نال عليه لأظهار المعنى بما يليق بحاجة في الدلالة وتعليقاً للمخاطب.

وعلى الرغم من أن ابن قتيبة لم يفتأ إلا مفهومياً لنوعاً للكتابة إلا أنه عرض لكثير من شروحيها وبخاصة الكتابات القرآنية وسألها تحليلاً يفتأ على أنه كان يمي ويطبقها ويقتضيها في التعبير عن المعنى. قال في قوله - تعالى - ﴿وَيَقُولُ لَكَؤُورٌ﴾⁽⁴⁾ أي ظهر منك من اللوب، فكتبي عن الجسم باللياب، لأنها تشتمل عليه⁽⁵⁾ وقال في قوله - تعالى - ﴿كُرُوءَكَ لَ كُرُوءَكَ لَا تَكُنْ مِنْ كُنَائِهِمْ سَكَنٌ قَبِيحٌ﴾⁽⁶⁾ قال (قنادلة) و (الحسن) للجهل المراد وقال ابن عباس: هو قوله.

(1) البيان والبيان: 1 / 28

(2) ينظر: البلاغة عند الملاحظ، د. أحمد مطلوب، ص 96

(3) تأويل مشكل القرآن، ص 256.

(4) سورة النضر، الآية 4

(5) تأويل مشكل القرآن، ص 142

(6) سورة الأبياء، الآية 17

والنفسان مظهران، لأن امرأة الرجل لهُوَ، وولده لهُوَ، ولذلك يقال: امرأة الرجل وولده رجلاه. وأصل اللُهو: الجماع، فكُنِيَ عت بالهُو، كما كُنِيَ عت بالسُر، ثم قيل للمرأة لهُوَ لأنها لجامع.²⁶³

وقال في قوله - تعالى - ﴿وَيُحْيِيهِمْ لَحْيَاهُمْ﴾ ²⁶⁴ أي يسكون من العطية، وأصل هذا: أن العطية يبدى بها ويوسطها بالمطام، فيل لكل من ينيل ومنع له قهض يده. ومث قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ لَقْمًا صَدَقًا وَمَا نَكُنَّا بِمُعْظِمْ عُذْرًا﴾ ²⁶⁵ أي: شسكة. ومث قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ لَقْمًا صَدَقًا وَمَا نَكُنَّا بِمُعْظِمْ عُذْرًا﴾ ²⁶⁶ أي: قوا من اللواك. وأصل هذا: أن العلو إذا أحاط بقوم لو بلد محاصره، لقد دنا منه من الملكة.²⁶⁷

وذكر (الشمس) وعنه لونا من ألوان الكتابة، وقال فيه: "والعرب تستعمل في كلامها كثيرا، تبليغ إرادتها بوجه هو الخلف وأحسن من المكشوف والتصريح".²⁶⁸ وقرب له أمثلة قرآنية، فمن ذلك ما خبر الله ﷻ من نبي إسماعيل: ﴿يَا إسماعيلُ انكح نكحة طرية وبنتهم كالأولاد لئلا تكون حسنة بينك وبين بني إسرائيل التي لا تحب ولا تقبل بكلامك﴾ ²⁶⁹ أي: كالأولاد لئلا تكون حسنة بينك وبين بني إسرائيل التي لا تحب ولا تقبل بكلامك. ²⁷⁰ إنما هو مثل ضربه الله ﷻ وبه على عطية به. وورى عن النساء ما ذكره التاج، كما كنى الشاعر عن جارحة بشاء، وكنى الآخر عن النساء بالشمس.²⁷¹

ومن التصريف قوله - تعالى -: ﴿كُلُّ نَفْسٍ مِّنْكُمْ حَتَّىٰ تَمُوتَ﴾ ²⁷² أي: أراد بل فعله الكبير، إن كانوا ينطقون فسلوهم، فبعل النطق شرطاً للنطق، أي: إن كانوا ينطقون فقد فعله، وهو لا يعقل ولا ينطق.²⁷³

(1) تأويل مشكل القرآن، 263، 264.

(2) سورة التوبة، من الآية 67.

(3) سورة التوبة، من الآية 64.

(4) سورة يونس، من الآية 22.

(5) تأويل مشكل القرآن، من 267.

(6) قصه، من 263.

(7) سورة عن، الأجزاء 32، 33.

(8) تأويل مشكل القرآن، 266، 267.

(9) سورة الأنبياء، الآية 67.

ويقدم أبو العباس للمبرد (ت 285 هـ) في كتابه (الكامل) دراسة عن الكتابة -التصنيف العلمي-

يقول المبرد "والكلام يجري على ضربين، فمتى ما يكون في الأصل لنفسه، ومنه ما يكتسب عنه غيره، ومنه ما يقع مثلاً، فيكون أبلغ في الوصف" ⁽¹⁾ وقسم الكتابة ثلاثة أقسام، قال: "والكتابة تقع على ثلاثة أصناف، أحدها: التسمية والقطعية، كقول النابغة الجعدي:

أَكْتَسَيْتَ بِنَسَبٍ اسْمَهَا وَقَدْ جِئْتُ إِلَيْهِ خَشْيَةً كُلِّ مُكْتَسِبٍ ⁽²⁾

الكتابة في هذا الصنف تعني السر وعدم التصريح (أكتي بنير اسمها)

أما الصنف الثاني، وهو الصنف الأخص عند المبرد "ويكون من الكتابة - وذلك اسمها - الرغبة عن اللفظ المحسوس المحض إلى ما يدل على معناه من غيره، قال الله - وله المثل الأعلى - ﴿لَيْلٌ لَسْتُمْ لَهَا أَعْيُنًا وَأَنْتُمْ عَلَيْهَا رَاكِبُونَ﴾ ⁽³⁾ وقال ﴿أَوَلَمْ تَسْمِعُوا لَوْلَا﴾ ⁽⁴⁾ واللامعة في قول أهل المدينة - مالك وإمامها - غير كتابية، إنما هو الأئمن بينه وبينك فلو لم يكن في قضاء الحاجة جاد فلان من الناطق، وإنما الناطق الولدي، وقال الله في المسيح بن مريم وأمه (صلى الله عليهما) ﴿سَوَاءٌ أُنْشِئْتُمُ الْكُفَّارَ أَوِ الْمُحْسِنِينَ﴾ ⁽⁵⁾ وإما هو كتابية عن قضاء الحاجة، وقال - تعالى - ﴿وَقَالُوا لَنُجَارِبَنَّكَ بِالْعَدْلِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ⁽⁶⁾ وإما هو كتابية عن الترويج ⁽⁷⁾

واستحسان المبرد لهذا الصنف من الكتابة راجع إلى أنه يستر اللفظ المحسوس المختبر عن معنى يدل عليه غيره، وهذا في حد ذاته يمثل محاولة من المبرد لدواء الكتابة دراسة تقوم على الموازنة بين دوالها

والصنف الثالث من الكتابة (التخفيف والتعظيم)، ومنه اشْتُكَّتْ (الكنية) وهو أن يُنْظَمَ الرجل من يدهي باسمه، ووقعت في الكلام على ضربين:

(1) تأويل مشكل القرآن. 268.

(2) الكامل: 2 / 290.

(3) قصه، 2 / 290.

(4) سورة البقرة من الآية. 187.

(5) سورة لقاد، من الآية. 75.

(6) سورة فصلت، من الآية. 21.

(7) الكامل: 2 / 291-292.

‘وقعت في الضم’ على جهة المثال، بأن يكون له ولد ويُدعى بولده كتابةً من اسمه، وفي الكثير أن يُنادى باسم ولده صيغة لاسمه⁽¹⁾ وتعني الكتابة متر الاسم وإخاءه وهو يقوم على المفهوم اللغوي وهو الكتابة

وعلى الرغم من أن الميزة لم يترك الكتابة تعريفاً اصطلاحياً، إلا أنه في دراسته لها حاول فيها الموازنة بين ضرورتها المتعارضة بين حسن وأحسن، وأول من حاول تقسيمها إلى ثلاثة أصناف، وإن كان هذا التقسيم لا يرجع إلى تقسيم الجرس إلى أنواعه، وإنما هي ضرورتها ترويه الكتابة من ثلاثة في صياغة الكلام⁽²⁾

وتقسم دراسة البلاغة بطابع التخصص حسب ابن الخليل (ت 296 هـ) في كتابه (البلع) وصيغ الكتابة عند واحدة من محاسن الكلام والشعر فقال: ‘ومنها - يقصد محاسن الكلام - التبريز والكتابة قال علي بن عيسى، ومع كبره له أحد الثلاثة أحق فقال خليل: أما أنا وكثير من العلماء. وكان عروة بن الزبير إذا أسرع إليه إنسان يسوء لم يُجبه ويقول: إني لأتركك راضياً لنفسك، عليك فبيري بيني وبين علي بن عبد الله بن عباس كلام فأسرع عروة يسوء فقال: إني لأتركك لا تترك الناس له فاشد ذلك على عروة

وقال بعض ولد العباس بن محمد لا يته: يا ابن الزانية، فقال: ﴿وَالْكَرِيمَةُ لَا تَكْتُمُهَا إِلَّا رُكْنُ شَرِّهَا﴾⁽³⁾ ثم قال: فَتَسْتَأْذِنُ الْكَرِيمَةَ عَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّزِ.

وما ذكره ابن المعتز من أمثلة هي أدخل في التبريز منها في الكتابة وإن كانت العلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص، إلا أن لفظة - على الرغم من أن لم يقدم تعريفاً للكتابة - يتمثل في أنه أولف كتابه على موضوع البلاغة عيلاً أن قبله كالجمل والبريد اللذين اتسبت دراسة الكتابة عندهما بسمة لغوية حيث أريد بها غلابة (السر والخصاء) ولكنها لم تحل من العمق والتفج ومن بعض الملاحظات التي ساعدت التعريف الاصطلاحي للكتابة فيما بعد

(1) قوله: 2 / 292

(2) ينظر حلم الدين، د. بلوي طه، ص 233، وينظر - الأسلوب الكتابي خشية لظهور، بلاغته - د. محمد سعيد خير، ص 9.

(3) سورة القدر، من الآية 3.

(4) سورة القدر، من الآية 3.

(5) البلع، ص 64.

ووقف ابن جرير الطبري (ت 310 هـ) في تفسيره على كثير من الكنايات القرآنية، وأشار إلى الكناية به ولكن عت فيها، وهو يحرر ما يلحظ إليه أهل التأويل فيها. قال - تعالى - في الآية الكريمة ﴿لَوْلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ﴾، فاشارة الرث إليه كناية عن الجساع في هذا الموضع مثل الذي نشا في تأويل الرث قال لعل التأويل⁽¹⁾

وقال في قوله - تعالى - ﴿عَنْ يَدَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ كما قال نائمة بن جعدة إذا مما السجج نسي جلتها - تلمخت فكلمات عليه لياماً
ديوي (لشت)، فكس عن اجتماعهما متبرهن في فراش واحد باللباس، كما يمكنى بالثياب عن جسد الإنسان⁽²⁾

وقال في الآية ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ كَلَّمَكُمْ بِالْإِثْمِ وَالْفِتْنَةِ وَأَنْتُمْ مُبْتَلَوْنَ﴾⁽³⁾ يعني - تعالى ذكره - بذلك ولا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل، فجعل - تعالى ذكره - بذلك أكل مال أخيه بالباطل كالأكل مال نفسه بالباطل ونظير ذلك قوله - تعالى - ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ كَلَّمَكُمْ﴾⁽⁴⁾ وقوله - تعالى - ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ كَلَّمَكُمْ﴾⁽⁵⁾ بمعنى لا يلمز بعضكم بعضاً، ولا ياكل بعضكم بعضاً - لأن الله تعالى ذكره - جعل المؤمنين أخوة، لقاتل أخيه كقاتل نفسه، ولازمه كلام نفسه.

وكذلك فعل العرب، لكنى عن أنفسها بأخواتها، وعن أخواتها بأنفسها فقول: أخي وأخوك أينا أبشر، يعني أنا وأنت مصطرح، فنظر أينا أشد فيكني للكل من نفسه بأخيه، لأن أيا الرجل حننا كتبه⁽⁶⁾

وقال في الآية ﴿فَإِنْ يَحْسَبُوا أَنَّكُمْ مُؤْمِنُونَ الْكِبَرُ ثُمَّ لَا يُحْسِبُونَ﴾⁽⁷⁾، فقله ﴿يَوْمَ الْكِبَرِ﴾ كناية عن انهزامهم، لأنت للهزم يحول ظهوره إلى جهة الطالب، هرباً إلى ملجأ وموتل بسل إليه

(1) جامع البيان في تفسير القرآن: 2 / 94.

(2) ضه: 2 / 94.

(3) سورة البقرة: الآية: 188.

(4) سورة البقرة: من الآية: 11.

(5) سورة النساء: من الآية: 29.

(6) جامع البيان في تفسير القرآن: 2 / 106-107.

(7) سورة آل عمران: من الآية: 111.

منه، خوفاً على نفسه والطلاب في أثره، فغير المطلوب - حيث لم يكن - يكون عاصي وجه الطالب الملهمة⁴⁰

ويذكر ابن عبد ربه (ت 328هـ) في كتابه (المعتمد الفريد) عدداً من الكتابات التوراتية في الباب الذي خصصه للكتابة والتسريس والذي لورد فيه اثراً منها، فقال: 'باب الكتابات والتسريس: من أحسن الكتابة العلمية التكية من لافس الذي يفتح ظاهراً وحيداً كنى الله تعالى - في كتابه من الجوامع بالكتابة - وعن الحديث بالكتابة فقال - تعالى - ﴿أَوْجِبْكُمْ كِتَابَكُمْ مِنْ الْقُرْآنِ﴾ واللفظ القنص وجمعه قنصان: ﴿وَقُلْ لِكُلِّ نَفْسٍ مِمَّا نَسُوقُ الْكَلِمَاتِ﴾⁴¹ - وإنما كنى به من الحديث. وقال - تعالى - ﴿وَنَسْتَمْ بِكَ إِلَى كِتَابِكَ فَتَرْجِي بَيْنَكَ مِنْ مَرَسَةٍ ..﴾⁴² لكنني بالشأن من البرص⁴³

ولطف ابن عبد ربه هذا الباب بباب (الكتابة يؤرى بها من الكلب والكفر)، وذكر له شواهد هي من التوراة أو الإيهام والتفليل للبعد للتصود وليس من الكتابة، من ذلك: 'ولما ولي الوائز وأقعد للناس أحد بن أبي دواد للمحنة في القرآن ودعا إليه الفقهاء، أتى فيهم بالحارث بن يسكوب، فقبل له: أئشيد أن القرآن مخلوق؟ قاله: أشهد أن التوراة والآلهة والزيور والقرآن، هذه الأربعة مخلوقة، ومنذ أصابه الأربع، لم ير بها وكفى من خلق القرآن، وخلص منه من الفكل وصبر أحمد بن نصر - فبقه ينفذ - من الكتابة ظاهراً فليل وعيب⁴⁴

ولمعة هذا الباب كأمثلة الباب - أيضاً - الذي جاء به يمسوان - الكتابة من الكلب في طريق المنح - فهي من التوراة والإيهام وليس من الكتابة، من ذلك الذي أورده: 'ودخل على حميس بن موسى وعنده ابن شبرمة، فقال له: أتعرف هذا الرجل؟ - وكان ربي عنده يريه - فقال: إنا له بيتاً ولقدماً وشرفاً، فخلى سبيله. فلما انصرف ابن شبرمة، قال له أصحابه: أكننت تعرف هذا الرجل؟ قال: لا، ولكنني عرفته إنا له بيتاً يأري إليه، وقدماً يمشي عليها، وشرفه.

(1) جامع البيان في تفسير القرآن: 4 / 31

(2) سورة الفرقان، من الآية: 7

(3) سورة طه، من الآية: 22

(4) المعتمد الفريد: 2 / 461-462.

(5) المصدر نفسه: 2 / 463

أثناء ومكتوبة⁴⁴ ولوحظ هذا كله ياب: "الكتابة والتعريف في طريق الدعاية مثال به" شمس
بن سبعين من رجل، فقال: ثوفي بالوجه، فلما رأى جنح السفل، قال: ﴿كَلَّا بَرِّئَ الرَّكْسُ
بِهِ مَوْجِهًا وَالْقِي لَمْ تَكُنْ فِي مَنَاقِبَهَا﴾⁴⁵ وإنما أردت بالولاء. الترم⁴⁶
وبذلك خلط ابن جند وبن بين الكتابة والتورية ولم يدخل في باب الكتابة إلا ما ذكره من
آيات قرآنية كريمة.

ثم نجد أسلوب الكتابة يتطور من مفهومه اللغوي إلى المفهوم الاصطلاحي صد قدام
ابن جسر (ت 337 هـ) في كتابه (تد الشعر)، وهو أول من عرفها باسم الأرفاف، ولم يستأ
كتابة، وذلك في دراسته لأنواع اختلاف اللفظ والمعنى. قال: "وس أنواع اختلاف اللفظ والمعنى،
وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل
بلفظ يدل على معنى هو رده وتابع له، فإذا دلَّ على التابع إبان عن الجبرج⁴⁷
وهذا التعريف للأرفاف هو تعريف (الكتابة) عند اللوسين بعدد كافي خلال المعكزي (ت
395 هـ)⁴⁸ وابن مسلمان الخفاجي (ت 466 هـ)⁴⁹ وعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ)⁵⁰
وغيرهم⁵¹ والشواهد التي ساتها للأرفاف هي من شواهد الكتابة عند البلاغيين
ثم يحاول أناس أن يجعلوا هذا التعريف للأرفاف بآيات شعرية يبين فيها المعنى الذي
ينطوي تحت هذا الفن، من ذلك قول عمر بن أبي ربيعة

بعيدة مهوى القرم أنسا نسوف إلى بها وإنسا عذ شمس وهاسم
يقول "وإنما أراد الشاعر أن يصف طول الجسد فلم يذكره بلفظه الخاص به، بل أنس
بمعنى هو تابع لطول الجسد وهو بعد مهوى القرم⁵²

(1) المصدر نفسه، 3، 466-467.

(2) سورة الزمر، من الآية: 42.

(3) المقادير، 2 / 467.

(4) تد الشعر، ص 157.

(5) كتاب الصناعات، ص 358.

(6) سر الصناعات، ص 223.

(7) دلائل الأحجار، ص 105.

(8) المبدع 1 / 313، 314 مثلاً.

(9) تد الشعر، ص 157، 158.

ويقول في بيت امرئ القيس

ويُصْغِي فِتَيْتَ الْمِسْكِ فَوْقَ فَرَاشِهَا نَزُومَ الصَّبْحِ لِسَمِّ ثَلْثُنَ عَنْ تَضْفُرٍ
وإنما أراد أن يذكر ترفقه هذه المرأة وأن لها من يكتفها فقال "نزوم الصبح" وإن غيت
المسك يفتى إلى الصبح فوق فراشها، وكذلك سائر البيت أي هي لا تتعلق لتخدم ولكنها في
بيتها مطفلة⁽¹⁾

ونكاد الدراسة التي قام بها تُفادما يشواهدنا نجلها في دراسة الكتابة عند من جاء بعده
وقد أشار تُفادما إلى الوساطتين المكتسبة به المكتسبة منه والربها في وشرح المعنى
وغمره، قال "ومن هذا النوع ما يدخل في الآيات التي يسمونها آيات للمعاني، وذلك إذا
ذكر الودف وحده، وكان وجه تسميته لا هو ودل له خير ظاهر، أو كانت بينه وبينه أوداف أخرى،
كأنها وساطة وكثرت حتى لا يظهر الشيء للطلوب بسرعة إذا غمض، ولم يكن دافلاً في جملة
ما ينسب إلى جيد الشعر إذ كان من عيوب الشعر الانتقلاق وتشتت العلم بمعناه"⁽²⁾

وفي ضوء هذه الوساطة التي أشار إليها تُفادما يؤسس البلاغيون للتأخرون - خاصة -
معياراً لجودة الكتابة وروادها، ومصطلحات توصف بها الكتابة بحسب تلك الوساطة كالتلويح
والرمز والإيهام والإشارة⁽³⁾

وبذلك يُعدُّ تُفادما أول من أعطى التعريف الاصطلاحي لقص الكتابة، متجاوزاً بذلك
الدراسات السابقة عليه والتي كادت لا تتجاوز المفهوم اللغوي للكتابة
أما أبو حلال العسكري (ت 395 هـ) فتجده يفرق بين المفهوم اللغوي للكتابة
ومفهومها الاصطلاحي، إلا أنها مرزعة بين عدة مصطلحات هي: (الكتابة، والتعريف،
والأرداف، والملازمة)⁽⁴⁾

ويعترف الكتابة والتعريف - وكأنهما شيء واحد عند - بقوله "وهو أن يكسب من
الشيء وعرفاً به ولا يصريح، على حسب ما عملوا بالثلث والتورية عن الشيء، كما فعل

(1) نفس، ص 158

(2) آفة الشعر، ص 159

(3) ينظر مثابيح الطوبى، ص 194. وستكلم عليها بالتفصيل في موضعها

(4) ينظر: كتاب الصناعات، ص 358-359.

المعتري إذ بحث إل قومه بصرك شوك وصرك ومل وحظنة يريد: جاءكم بسو حظنة في حدد
كثير ككثرة الرمل والشوك⁴⁰

مفهوم الكتابة هنا مفهوم لغوي، ويعني: السطر والحضام ومن الشواهد الفرآنية التي
أوردتها، قوله - تعالى - ﴿لَرَجَمَتُهُ لَعْنَتُهُمْ فِي النَّارِ﴾ قال: فلانها كلمة من الحاجة، وملاسة
الهاء كلمة من الجماع وقوله - تعالى - ﴿وَقُرُونُهُ كُتُبٌ﴾⁴¹ قال: كلمة من النساء⁴²

في حين نجد التعريف الاصطلاحي للكتابة في تعريفه للإرداف كما عرّفه قدامة من قبل
قال أبو حلال: "إن يُريد للتكلم الدلالة على معنى فترك اللفظ الدال عليه، الخاص به، ويأتي
بلفظ هو رذله وتابع له، فيجعله عبارة عن المعنى الذي لولاه⁴³

ومن الشواهد الفرآنية التي أوردتها، قوله - تعالى - ﴿يَهْدُ قَهْرَكَ كَفَرِينَ﴾⁴⁴ قال: '
وتصور الطرف في الأصل موضوعة للمناف على جهة التولبع والأرداف، وذلك أن المرأة إذا
حُفَّت فصرت طرفها على زوجها، فكان تصور الطرف رتبة للمناف، والمناف رتبة وتابع
لتصور الطرف⁴⁵

كذلك نجد صورا من الكتابة عند العسكري في فصل (المثاللة) وقد عرّفها بقوله: "
للمثاللة أن يريد للتكلم المبالاة من معنى، فيأتي بلفظ يكون موضوعاً بمعنى آخر، إلا أنه يسميه
إذا أورد من المعنى الذي أراد، كقولهم: "فلان ثقي" الثوب: يريدون به أنه لا حيب فيه. وليس
موضح نقاب الثوب البراء من العيوب، وإنا استعمل فيه للمبالاة⁴⁶

وأورد للمثاللة شواهد من القرآن الكريم منها قوله - تعالى - ﴿وَلَا تَجْعَلْ بَيْنَكَ مَتَلَاقَةً﴾⁴⁷
مَتَلَاقَةً وَلَا تَجْعَلْ بَيْنَكَ مَتَلَاقَةً⁴⁸ قال: فمثل البخيل المستع من البخل بالمغال، لمعنى يجمعها،

(1) نفسه، ص 368. وينظر معجم المصطلحات اللغوية والعرفية، د أحمد مطروب 3 / 157

(2) سورة التوالع، الآية 34.

(3) كتاب الصناعات، ص 368

(4) كتاب الصناعات، ص 350 وينظر نقد الشعر، ص 157، للمقارنة.

(5) سورة الرحمن، ص الآية 36 وينظر صورة الصفات، الآية 48، وسورة ص، الآية 52

(6) كتاب الصناعات، ص 350.

(7) نفسه، ص 353. وتقرأون بمتلا في نقد الشعر، ص 159، 160.

(8) سورة الاسراء من الآية 29.

وهو أن الخيل لا يمدُّ يده بالعلية فتشبه بالقلوب³⁵⁴ - وقوله - تعالى - ﴿فَلْيَنْقُصْ فَرَلَهَا يَوْمَ يَسُوءُ فَرُّهُ لِمَنْ يَنْجُو مِنْكُمْ مِّنَّا يَنْصَحُكُمْ قَوْلُهُ يَوْمَ يَدْعُوهُا﴾³⁵⁵ - وقوله - تعالى - ﴿وَلَا تَلْبِسُوا قَوْلَ رَبِّكُمْ قَوْلَ بَشَرٍ لِّئَلَّا تُخْلَفُوا﴾³⁵⁶ - وأورد قوله - تعالى - ﴿يَوْمَ تَكُونُ الْكُتُبُ مُرْجَاةً تُؤَوَّلُ عَلَى أَعْقَابِهَا تُصْرَفُ عَنْ يَمِينٍ وَتَكُونُ الْكُتُبُ مُرْجَاةً تُؤَوَّلُ عَلَى أَعْقَابِهَا تُصْرَفُ عَنْ يَمِينٍ وَتَكُونُ الْكُتُبُ مُرْجَاةً تُؤَوَّلُ عَلَى أَعْقَابِهَا﴾³⁵⁷ وهو ليس من باب للمثالة، وإنما هو كتابة عن موصوف (النساء)، أي: كنى بالكتاب عن النساء ولم يوضح في هذه الكتابة التمثيل فهو قد خلط بينهما كما خلط الكتابة بالتمريض إلى حدٍّ لم يترن القارئ ما يركه العسكري كتابة وما يركه تمريضاً³⁵⁸ وهذا الخلط في المصطلحات نجده عند ابن رشيقي (ت 456 هـ) أيضاً في دراسته للكتابة وقد جعلها في باب الجواز وباب الإشارة.

في باب الجواز يقول: "وكذلك الكتابة في مثل قوله ﴿فَلْيَنْقُصْ فَرَلَهَا﴾ من عيسى وسرم - عليهما السلام - ﴿مَنْعَكُمْ مِّنْ أَنْ تَكُونُوا كَالْأَنْعَامِ﴾³⁵⁹ كتابة مما يكون عنه من حاجة الإنسان، وقوله - تعالى - ﴿حِكَايَةُ عَنْ آدَمَ وَنُوحٍ - عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِمَا - ﴿فَلَمَّا تَخَلَّسُوا﴾³⁶⁰ كتابة عن الجواز³⁶¹

لم يذكر الكتابة في باب الإشارة، والإشارة عندنا تشمل هذا مصطلحات أهلها يخرج تحت مفهوم الكتابة الاصطلاحي مثل: (التصميم والإيماء والتمريض والتلوين والكتابة والتمثيل والرمز واللمعة والتورية والتشبيح).

والتشبيح عنده الأرداف عند فُدامة بن جعفر، قال ابن رشيقي: "ومن أنواع الإشارة التشبيح، وقوم يسمونه التجاوز، وهو: أن يركب الشاعر ذكر الشيء (فإنجاز، ويذكر ما يتبعه في العلة ويترتب عنه في الدلالة عليه، وأول من أشار إلى ذلك امرؤ القيس يصف امرأة:

(1) كتاب المصاحفين، ص 354.

(2) سورة النمل، من الآية: 92.

(3) كتاب المصاحفين، ص 354.

(4) سورة النمل، من الآية: 94.

(5) سورة ص، من الآية: 23.

(6) ينظر كتاب المصاحفين، ص 358.

(7) سورة المائدة، من الآية: 75.

(8) سورة الأعراف، من الآية: 189.

(9) المصنعة 1 / 358.

ويُضحي قتيبةً لِمَا تفرق فرائدها - سؤدُومُ العُصَى لم تتطيق من تشقُّق
فَقوله: "يُضحي قتيبةً لِمَا تفرق"، وقوله: "سؤدُومُ العُصَى" تبيح ثانٍ، وقوله: "لم تتطيق
من تشقُّق" تبيح ثالث، وإِذا أراد أن يصفها بالثِقَبِ، والتَمَّة، وقلة الامتنان في الحكمة، وأنها
شريعة مكعبة بالوزن، فجاء بما يتبع الصِّفة ويدل عليها لَلفضل دلالة⁴⁵.

ولمجد المعنى اللغوي للكتابة عنده في القورية التي يقول فيها: "وأما القورية في أشعار
العرب فإِذا هي كناية. بشجرة، أو شاة، أو يثرة، أو ناقة، أو مهرة، أو ما شاكل ذلك كقول
المسيب بن عُمير:

دعنا شجر الأخر داهيهم
لِنَصْنُورَ السُّنَّارِ والأُنَّابِ
تكنى بالشجر من الناس، يقولون في الكلام للمشور. جاء فلان بالشوك والشجر، إذا
جاء بهميش عظيم⁴⁶.

وأكثر ما أورد من شواهد للقورية هو من الكتابة، من ذلك إِراده لقوله - نبال -: ﴿لِيَكُنْ
كَذَا لِيَكُنْ وَمِنْ مَنَعْنِي لَهْجَةً وَجْهًا﴾ قاله: "كتابة بالنعجة عن الراء⁴⁷ ويبدو أن المعنى
اللغوي للقورية والكتابة اللذان يشتركان فيه وهو (الستر والحفاة) هو الذي جعل ابن رشيق
وغيره يخلط بينهما ويسمي أحدهما بالآخر⁴⁸.

وحقد ابن مسبان الحفاجي (ت 466 هـ) في كتابه (سر القمصاة) دراسة للكتابة
امتازت بالعمق والتحليل الأدبي لما لتجلية نحتها التمجيدية والجمالية من خلال موازنتها مع
غيرها من التصاير في حدود التصوص التي تناولها.
وهو قد درس الكتابة في موضعين.

الأول: تحت اسم الكتابة، وذلك في دراسة للأجناس التي يجب فيها وضع الألفاظ
موضعها، قال: "ومن هذا الجنس حسن الكتابة مما يجب أن يكتفى عنه في موضع الذي
لا يحسن فيه التصريح، وذلك أصل من أصول القمصاة، وشرط من شروط البلاغة⁴⁹.

(1) قسه: 1 / 313، 314.

(2) القمصاة: 4 / 311.

(3) قسه: 1 / 312.

(4) ينظر، ص 26 من: (تلمضي).

(5) سر القمصاة، ص 155، 156 وينظر البيان والبيان، 1 / 88.

للكاتبة عند حمل من أصول المقصاصة، وشرط من شروط البلاغة، والكتابة أسلوب له مقام وفرضه الذي يحسن فيه، والاعتماد منه في المكان الذي ينتضيه يؤدي إلى فقدان الأسلوب المقصاصة والبلاغة قال: 'ولما قلنا في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح، لأن مواضع المنزل والمجون والبراد الواحد يليق بها ذلك، ولا تكون الكتابة فيها مرضية، لأن لكل مقام مقالاً، ولكل فرضي شأناً وأسلوباً'¹⁹

ويورد ابن سنان عما يستحسن من المكتبات وما ينطرح منها، قال: 'وما يستحسن من المكتبات قول شريح القاضي:

أعبرنا إلى الحسنى ورق كلائن أودعت فقلت مصيبة أي إزال
لأنه كنى من المبالغة بأحسن ما يكون من المبالغة
ومن هذا النص أيضاً منت حسن للكتابة قول أبي الطيب
تدعي ما ادعيت من ألم الشوق إليها والشوق حيث التحول
لأنه كنى عن كثرتها فيما ادعته من شوقها بأحسن كتابة، واختار هذا من أيج عبارات قول أبي الطيب.

أي على شقي بما في عسره الأصعب مما في سرورياتها²⁰
فاحسن عند ابن سنان في التعبير الكتابي أن يكتفى عن المص إلى لا يحسن في التصريح بالمعنى الأخرى لا يندل ظاهراً عليه، والتجريح عنده خلاف ذلك وهو التصريح بالمعنى الخفي كما فعل المتنبي. وهذا هو ما ذهب إليه الفهرست من قبل في أن من الكتابة - وذلك أحسنها - الرغبة عن اللفظ الخفي الخفي إلى ما يدل على معناه من غيره²¹

كما نجد الكتابة عند ابن سنان في معوت البلاغة والمقصاصة، وهو يتابع في هذا، فناداه من جعفر في التحليل والتعريف، قال: 'ومن سموت البلاغة والمقصاصة أن تراء الدلالة على المعنى، فلا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة، بل يؤتى بلفظ يتبع ذلك المعنى

(1) سر المقصاصة، ص 156

(2) سر المقصاصة، ص 156، 157.

(3) ينظر ص 19 من.

عروء، فيكون في ذكر التبع دلالة على التبع، وهذا يسمى الأرواف والصحيح، لأنه يؤتى فيه
بالنقط هو حذف النقط للمختصم بذلك للمنى وتأمله⁴¹
ويقدم المحامي لمثله لهذا النوع من الكتابة ويحللها تحليلاً يحل في القيمة التعريفية له،
من ذلك تحليله ليت عمرو بن ربيعة:

بعيدة مهنوى ألفـ شرط إذا نوناً
فإنه إذا أراد أن يصف هذه المنة بطول العنت، فلو غير من ذلك بالنقط الموضوع له
لقال - طولة العنت - فعمل من ذلك وأتى بالنقط بدل عليه وليس هو الموضوع له، فقال - بعيدة
مهنوى القوط - فدل بعيد مهنوى قوطها على طول الجهد، وكان في ذلك من المبالغة ما ليس في
قوله - طولة العنت - لأن بعد مهنوى القوط بدل على طول أكثر من الطول الذي يدل عليه -
طولة العنت - لأن كل بعيدة مهنوى القوط طولة العنت، وليس كل طولة العنت بعيدة مهنوى
القوط، إذا كان الطول في حلقها مسجراً، وهذا موضع يجب تبينه⁴²

فهو يوازن بين التعبير لو جاء مصححاً بطول العنت، والتعبير الكتابي (بعيدة مهنوى
القوط) لسيون قيمة التعبير الكتابي والمبالغة التي يحققها مما لا نجد في التعبير الحقيقي
المصريح.

ومثل هذه الموازنات قتل على نصح دراسة للكتابة، من ذلك تحليله ليت البحري،
قال: "ومن هذا الفن من الأرواف قول أبي خبابة:

فأوزجرتة فأعزلت نعلني حيث
يكون اللب والرعب والربوب والربوب
لأنه أراد - القلب - فلم يصر به باسمه الموضوع له، وعمل إلى الكتابة به بما يكون
اللب والرعب والحقد فيه، وكان ذلك أحسن لأنه إذا ذكره بهذه الكتابات كان قد دل على
شوقه وقبحه من جميع الجسد يكون هذه الأشياء فيه، ولله أصاب هذا الرمي في تشريف موضع
منه بولو قال - أصبه في قلبه - لم يكن في ذلك دلالة على أن القلب يشرف أعضاء الجسد، فعلى
هذا السبيل يحسن الأرواف⁴³

(1) من القصائد، ص 213، وقد اشترى، ص 157.

(2) من القصائد، ص 221.

(3) من القصائد، ص 225.

وردف هذا التحليل الذي يبين قيمة الكتابة في التعبير عن المص، إلا أن الحجاجي يقتصر بين الكتابة والإدراك ولكل منهما موضعه الخاص به والكتابة عنه مقصورة على ما يستخرج ذكره من الألفاظ⁽¹⁾ وهذه النظرة في دراسة الكتابة تند فرضاً واحداً من أغراضها وليست هي مفهومها العام، وهي نظرة لمحة تقدم على ستر ما يستخرج ذكره - من الكلام - وتضع الكتابة في موضع ضيق محدود يفصل بينها وبين (الإدراك) الذي هو معناه الاصطلاحي عند البلاغيين⁽²⁾.

ومسب ذلك راجع إلى أن الكتابة عنه ذات معنى لغوي لستر ما يستخرج ذكره وأما الإدراك وهو المص الاصطلاحي، فهو عنه من التعرّف، يعبر عن أهي ربيعة ونعت صاحبته (بعد مهوى الفطرا)، والبحري يصف القلب بأنه ممكن القلب والرحب والخليل، وأن في الإدراك من المبالغة في الوصف ما لا يكون في التعبير المصريح⁽³⁾.

إلا دراسة الحجاجي للكتابة مهّدت لمرحلة جديدة في دراستها، وذلك على يد عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) الذي أناد فائدة كبيرة من الدراسات السابقة له، خصوصاً ما قلناه الحجاجي في تحليلاته لأسلوب الكتابة، وما قلناه لفائدة من جعفر من قبل من حيث تحديد المفهوم الاصطلاحي للكتابة وعدم الفصل بينه وبين المفهوم اللغوي.

خصص عبد القاهر الجرجاني فصلاً للفظ يطلق والمراد به غير ظاهره، قال به 'أعلم أن هذا الضرب السامع، ونفتنا لا إلى خلة، إلا أنه على السامع يدور في الأمر الأهم على شيئين الكتابة، وبما، والمراد بالكتابة هنا أن يريد للكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ويدل في الوجود فيومي به إليه، ويجعله دليلاً عليه'⁽⁴⁾ فهو يفرّق الكتابة كما عرف فائدة الإدراك من قبله، إلا أن عبد القاهر يسميها الكتابة.

وقد أبوه عبد القاهر أمثلة لهذا النوع من الكتابة وأناقش في التصليل لبيان قيمتها وبلاغتها وأثرها في تصوير المعنى المقصود مثال ذلك قولهم: 'هو طويل المتجاذ'، يريدون طويل القامة، و'كثير رماذ القدر' يمتون كثير القوي، وفي أمثلة 'نورم الضمى' والمراد أنها متصلة الكتابة.

(1) ينظر المصدر نفسه، ص 156 وما بعدها.

(2) الكتابة لسانها ومرادها في الشعر الجاهلي، عبد الحسن حلي الأبن أحمد، ص 154.

(3) ينظر الكتابة لسانها ومرادها في الشعر الجاهلي، ص 16.

(4) دلائل الإعجاز، ص 105. والمقارنة، ينظر عند القدر، ص 197.

بين عبد القاهر قيمة الكتابة في البيت بصورها للمعنى بطريقة حسية مؤثرة من خلال موازنته للبيت بما يقابله من معنى على سبيل التصريح ثم يقول: "وهكذا إلى ما ترى من الكتابة والتشريح فجعل كوجهها في القبة المصروية عليه عبارة عن كونها فيه والإشارة إليه فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة، وظهر فيه ما أنت ترى من الضميمة"⁴⁰

ومن هذا النوع أيضاً من الكتابة (كتابة عن نسبة) عنده ما ذكره في قوله "وما هو الشات للصفة على طريق الكتابة والتشريح فوهم الجهد بين ثوبه، والكرم في برديه، وذلك أن قالل هذا يوصل إلى إثبات الجهد والكرم للمستوح بأن جعلهما في ثوبه الذي يلبسه، كما توصل زياد إلى إثبات الساحة والمروءة والندى لأن الشرح بأن جعلهما في الثبة التي هو جالس فيها"⁴¹ وكل ما ذكره عبد القاهر من شواهد سواء للكتابة عن صفة أو الكتابة عن سبب جاءت في كتب البلاغة بعده فاطمة ولم يكده يخرج أحد عنها

لأن قيمة الكتابة في التعبير الأدبي عند عبد القاهر لا تنحصر في نطاق ضيق لا تخرج عن تنطية للمعنى المستحسن كما رأينا عند ابن سنان مثلاً، وإنما هي وسيلة حيوية من التمييز لكونها من الأساليب الإيحائية، فهي لا تقل على المعنى في عبودية مباشرة، وإنما يشتغل بها الذهن ويعمل فيها الخيال.

في الكتابة معنى يقود إلى معنى مقصود من وراء الألفاظ والتركيب وهو الذي سماه عبد القاهر 'معنى اللغوي' ومن خلاله وضح عبد القاهر قيمة الكتابة والرحا في إيصال المعاني في أشكال وصور متعددة، يقول عبد القاهر: 'الكلام على شريعه ضرب أنت تصل منه إلى الفرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تغير عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج زيد، وبالاتفاق عن عمرو فقلت: عمرو متعلق وعلى هذا التباس.. وضرب آخر أنت لا تصل به إلى الفرض بدلالة اللفظ وحده ولكن بذلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في النفس، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الفرض، وسدور هذا الأمر على الكتابة والاستعارة والتشبيه"⁴²

(1) قصه، ص 297

(2) قصه، ص 299

(3) دلائل الإيهام، ص 263.

ثمّ قدّم عبد القاهر أمثلة للكناية والاستعارة والتشبيه، موضعاً فيها "معنى المعنى" من ذلك أمثله على الكناية: "أولاً ترى أنك إذا قلت: هو كثير وماء القدر، أو قلت: طوبى الجاهل، أو قلت في الرأى: تؤوم للخصى، فإنك في جميع ذلك لا تنيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن بملء اللفظ على معناه الذي يوجهه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك دلالة على سبيل الاستدلال معنى" ثانياً هو غرضك، كمعرفتك من كثير وماء القدر أنه مضيق، وإذا قد عرفت هذه الجملة، فما هنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول للمعنى، ومعنى المعنى، بمعنى المعنى المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعنى من اللفظ معنى، ثم يعطى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر، كالذي فسرت لك⁽¹⁾.

إنّ "معنى المعنى" الذي لا يفهم من ظاهر اللفظ في أسلوب الكناية يجعل البلاغيين يسمون الكناية إلى قرينة وبمعنى، والقرينة إلى جليّة وعينية، وذلك في ضوء الوسائط بين المعنى به والمعنى عنه ومدى قربها وبعداها أو ظهورها وخفائها. وقد تحدث عبد القاهر عن كل هذه بقوله: "وإذا كان ذلك كذلك علمتْ جُلُوم الضرورة أن مصروف ذلك إلى دلالات إنعاشي على المعاني، وأنهم أرادوا من شرط البلاغة أن يكون للمعنى الأول الذي يجهل دليلاً على المعنى الثاني ووسيطاً بينك وبينه متمكناً في دلالة مستغلاً بوساطته، يَسُرُّ بينك وبينه أحسن صغارة، ويشير لك إليه أبين إشارة، حتى يخلل إليك أنك لهما من حقائق اللفظ، وذلك لقلّة الكلفة فيه عليك وسرعة وصوله إليك"⁽²⁾.

فالوسائط بين المعنى به والمعنى عنه عند عبد القاهر هي الروابط التي تربط بين المعاني الظاهرية لللفظ والمعاني الختراني التي تتولد عنها، أو معنى المعنى كما يسمي عبد القاهر بما يجعل الصورة الكنائية متماسكة موسية بالمعاني بوضعها تميزاً شياً غير مباشر وعلى كثرة ما أورد عبد القاهر المخرجاتي من شواهد للكناية بنوعها التي ذكرها (كناية عن صفة، وكناية عن نسبة) كما اصطاح عليهما عند اللغويين والتي دأرت في كتبهم، إلا أنه لم يلق عند الكتابات القرآنية فيما ساق من أمثلة.

إلا أن الكناية القرآنية مستطرى بمثلها كثيرة عند الرغزشي (ت 538 هـ) في تفسيره البلاغي للقرآن الكريم، يقول الرغزشي: "ولا ينوص على شيء من تلك الحقائق - يقصد

(1) نفسه، ص 262، 263.

(2) نفسه، ص 266، 267.

الخطائق التي تضمنها آيات القرآن - إلا وجل قد برع في علمين خصصين بالقرآن ومما علم
المعاني وحلم البيان⁴⁰.

ولا كانت الكتابة من فنون البيان فقد حظيت عند بمثابة كبيرة، وأشد يكتابات القرآن
الكريم في أكثر من موضع فقال: ' ولا ترى أحسن، ولا لطيف، ولا أحد للمعاني من
كتابات القرآن وأدبه⁴¹ ' وقال: ' وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي فَتَنَّا آلَ فِرْعَوْنَ فِي الْغُيُوبِ وَلَا تَرَوْهُنَّ حَتَّى
يَأْتِيَهُنَّ لَيْلُهُنَّ عَلَى تَوَالِفٍ تُؤْخِرُ كُلَّ نَفْسٍ كَرِهَتْ لِمُرْكَبٍ فَأَخَذَهُ اللَّهُ بِيَمِينِهِ ﴾⁴² وَفِيهَا الْكُتُوبُ ﴾⁴³ يَكَلِّمُكُمْ رَبُّكُمْ
لَكُمْ مَالِكًا تَرْكَبُكُمْ إِلَهُ وَتَعْلَمُ⁴⁴ '، من الكتابات اللطيفة، والتعريفات الشجعة وهذا، وأشباهها
في كلام الله آداب حسنة، على المؤمن أن يتعلموها، ويتأدبوا بها، ويتكلموا مثلها في محاوراتهم
ومكاتبتهم.⁴⁵

وهذه الكتابات القرآنية التي تهدف إلى التلهيب بتعطية المعاني المستفحشة بالانطاط حسنة
دالة على المعنى، قد وقف الزخرفي عندنا كثيراً مولزماً بين معانيها التي لتصديها
قال في قوله - تعالى: ﴿ هَلْ يَرَىٰ مَا يُحْسِنُ ﴾⁴⁶ فكس به من الجماع لأنه لا يكاد يخلو
من شيء من ذلك (فإن قلت) لم كس به هنا بلطف اللفظ الدال على معنى التبع، بخلاف
نور...⁴⁷ ﴿ وَبَدَّ الْقَوْمَ نَبْتًا خَشِمَتِ بِقَبْرِ ﴾⁴⁸ ﴿ هَلْ يَرَىٰ مَا يُحْسِنُ ﴾⁴⁹ ﴿ هَلْ يَرَىٰ مَا يُحْسِنُ ﴾⁵⁰
﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾⁵¹ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ جَعَلْنَا لَيَالِيَكُمْ تِلْكَ ﴾⁵² ﴿ هَلْ يَرَىٰ مَا يُحْسِنُ ﴾⁵³

(1) الكشاف: 1 / 16.

(2) ظه: 2 / 341.

(3) سورة البقرة من الآية: 222، ومن الآية: 223.

(4) الكشاف: 1 / 362.

(5) سورة البقرة من الآية: 197.

(6) سورة النساء من الآية: 31.

(7) سورة الأعراف من الآية: 189.

(8) سورة البقرة من الآية: 187.

(9) سورة النساء من الآية: 41، وسورة الكهف من الآية: 6.

(10) سورة النساء من الآية: 23.

(11) سورة البقرة من الآية: 223.

﴿وَيَقُولُ لَنْ تُغْنِيَا عَنْكَ كَتَاِبِي﴾⁽¹⁾ ﴿فَمَا اسْتَسْتَفْتِيهِمْ فِي ذُنُوبِهِمْ﴾⁽²⁾ ﴿وَلَا تَقْرَأُ مِنْهَا﴾⁽³⁾ (قلت): استهجاناً لما وجد منهم قبل الإنابة، كما سيذكره اختيارياً لأنفسهم (مجاناً قلت) لم تُغْنِي الرقعة بطلاناً⁽⁴⁾ (قلت): تصبته معنى الإفشاء لما كان الرجل والمرأة يفتقدان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عتقه شبه باللباس للشمول عليه⁽⁵⁾

والزخشي قد ذكر الأنواع الثلاثة للكتابة حسب المعنى للكنى عنه، كما استقرت عند البلاغيين المتأخرين وهذه الأنواع هي: الكتابة عن صفة، والكتابة عن موصوف، والكتابة عن نسبة. والزخشي وإن لم يستعملها بما اصطلاح عليه فيما بعد إلا أنه عني بمفهومها ووجه جهوده نحو الكشف عن نيتها البلاغية في التعبير القرآني.

وبذلك فهو يضيف نوع (الكتابة عن موصوف) التي لم يذكرها عبد القاهر المرجاني الذي قصر على ذكر الكتابة عن صفة والكتابة عن نسبة.

فالكتابة عن صفة لجدها عند الزخشي في تفسيره لقوله - تعالى - ﴿وَلْيُحْيِي بِتَرْوِيهِ فَاصْبَحْ بِحَبْرٍ كَثِيرٍ﴾⁽⁶⁾ قال: "واحيى به عبارة عن إعلاؤه وأصله من أحاط به العدو، لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه، ثم استعمل في كل إعلاؤه، ومنه قوله - تعالى - ﴿إِنَّا لَنُحْيِيكَ بِحَبْرٍ﴾⁽⁷⁾ ومنه قوله تعالى عليه، إذا علته، ومن أتى عليهم العدو إذا جادهم مستعلاً عليهم وتلقب الكفين: كتابه من النعم والتمسك، لأن النادم يطلب كفه ظهراً ليعلم، كما كفى من ذلك بعض الكف⁽⁸⁾ والقوط في اليد⁽⁹⁾ ولأن في معنى النعم مُدَيَّ لعلته بطلان، كآله قيل: أصبح يتم⁽¹⁰⁾

(1) سورة البقرة، من الآية 227.

(2) سورة النساء، من الآية 34.

(3) سورة البقرة، من الآية 222.

(4) يسعد ترويه تعالى - ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لَوَدَّ كُنْتُمْ بِأَمْثَلِ كُنْتُمْ﴾

سورة البقرة، من الآية 187.

(5) الكشاف، 1 / 334.

(6) سورة الكهف، من الآية 34.

(7) سورة يوسف، من الآية 66.

(8) يورد في القرآن ﴿تَلْبِاسًا عَلَى الْبَاطِلِ﴾ سورة آل عمران، من الآية 119 و ﴿تَلْبِاسًا عَلَى

بَاطِلِهِ﴾ سورة الفرقان، الآية 27.

ولجد الكتابة من مرصوف في تفسير لقوله - تعالى - مثلاً: ﴿وَحَقَّقْتُ لَكَ كُلَّ صَاحِبٍ مُنْجٍ﴾⁽¹⁾،
أراد السفياني، وهي من الصفات التي تقوم مقام الوصفات كتوب متبها ولؤدي مؤدها، بحيث
لا يفعل بينها وبينها⁽²⁾

ويقول في قوله - تعالى - ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُكَ يَتَّبِعُونَكَ لَوْ أَنَّكَ لَمَّا كُنْتَ لِلرَّاءِ
تَلْفُظُ الْوَلَدَ فَتَقُولُ لِرُؤُوسِهِمْ. هُوَ وَلَدِي مَكَ، كُلُّ بِالْهَتَانِ الْفَتْرَى بَيْنَ يَدَيْهَا وَرَجُلَيْهَا عَنْ
الرَّوَدِ الَّذِي تَلَفَهُ بِرُؤُوسِهِ كَلْبًا، لَأَنْ يَطْعَا الَّذِي تَحْمِلُهُ يَهْ بَيْنَ الْيَدَيْنِ، وَفَرَجَهَا الَّذِي تَلَفَهُ بِهِ
بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ⁽³⁾

والكتابة من النسبة لمبدأ عنه في تفسير لقوله - تعالى - مثلاً: ﴿لَنْ تَقُولَ نَحْنُ بِمُحَمَّدٍ
عَلَى مَا كُنَّا فِي حَقِّهِ كَلْبًا﴾⁽⁴⁾، قال: 'والجانب' الجانب، يقال: أنا في جنب فلان، وجانبه
ولاحقه، ثم قال: 'فَرُطَ في حبه وفي حقه، يرون في حقه، قال ما بن البربري
أما الذين لله في جنبه واسيلة كَيْدًا حَسْرَى عليك تَلْفُظُ
وهذا من باب الكتابة، لأنك إذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيره فقد أثبت فيه، إلا
نرى إلى قوله:

إِلَّا السَّاحَةَ وَالْمَرْوَةَ وَالْأَدَى فِي كَيْدٍ حَسْرَتٍ عَلَى أَمْرِ الْخَضِرِجِ
ومنه قول الناس لكذلك فعلت كذا: يرون لأجلك.

وفي الحديث: ((من الشوك الحفي أن يصلي الرجل لكان الرجل))، وكذلك فعلت هذا
من جهتك. لمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع إلى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قبل
﴿فَرُطْتُ فِي حَقِّهِ كَلْبًا﴾، على معنى فرطت في ذمت الله⁽⁵⁾.

(1) كما ورد في قوله تعالى: سورة الأعراف، من الآية 149

(2) الكشف: 2 / 565

(3) سورة التمر، الآية: 13

(4) الكشف: 4 / 345

(5) سورة المائدة، من الآية 12

(6) الكشف: 4 / 415

(7) سورة التمر، من الآية 56

(8) الكشف: 4 / 106

ثم يريد الكتابة ترغيباً وبنياً بقوله "فإن قلت لم يرجع كلامك إلى أن ذكر الجنب كلامك سوى ما يعطي من حسن الكتابة وبلاغتها، فكانه قيل قرأت في الله، ما معنى في الله؟ قلت لا بد من تذكير مضاف معلوف، سواء ذكر الجنب أو لم يذكر. والمضى قرأت في طاعة الله وعبادة الله، وما أشبه ذلك".⁽¹⁾

إن أسلوب الكتابة عند الزخشري ذو مظهر أوسع مما نجده عند النحاة، وهذا شأن النظمين فإنهم أسلفوا نحو الدرس البلاغي من منطق اللغة، وغروا به نحواً أدبياً رحيباً، إذ إن قضية الانتقال من اللازم إلى المفروض ومن المفروض إلى اللازم التي اتفادها البلاغيون الذين دخلوا دائرة العلمية الدقيقة من بعد الزخشري كالسكاكي والقزويني، لم يلتفت الزخشري إلى شيء منها، فلكتابة أن تستل من لهما شأناً، ففي الوقت الذي يرى السكاكي أن الكتابة انتقال من اللازم إلى المفروض يرى القزويني أن اللازم لا بد من أن يكون مفروضاً في الكتابة، وسبب ذلك الانتقال من المفروض إلى اللازم، وهذا ما نجده في قول الخطيب القزويني: "ولم يزل السكاكي وغيره يهمل ما يعنى الكتابة والجواز يرجع آخر وهو أن معنى الكتابة على الانتقال من اللازم إلى المفروض ومبنى الجواز على الانتقال من المفروض إلى اللازم، وفيه نظر لأن اللازم ما لم يكن مفروضاً ينتج أن يستل منه إلى المفروض فيكون الانتقال محتمل من المفروض إلى اللازم".⁽²⁾ فكما أن طول التباد لا يزم لطول المقام هو مفروض لها أيضاً، فيصح الانتقال في الحالتين

يقول د. محمد أبو موسى: "وقد شغلت هذه مسألة أنلام الشرح بقدر ما لم يكن في حاجة ماسة إليه، لأن الانتقال في الدلالات اللغوية لا يلتزم بهذه الدلالات التطفلية".⁽³⁾

والزخشري لم يشغل بهذه السلسلة التطفلية، وإنما انشغل ببلاغة الكتابة في التعبير عن المعاني، يقول في قوله - تعالى - ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَكُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْكُفْرَ﴾⁽⁴⁾ فإن قلت: ما معنى اشترطه في إلقاء الآثار انتفاء إيمانهم بسورة من مثله؟ قلت: إيمانهم إذا لم ياتوا بها وتبين حيزهم عن المأثرة صبح عنتهم صلب رسول الله ﷺ وإذا صبح عنتهم صلبه ثم لمزموا العناد ولم يتقاعدا ولم يشاهموا استوجروا المطالب بالثار، فليل لهم. إن استبستم الصبر فافتركو العناد فوضع

(1) شبه 4 / 106

(2) الإيضاح: 2 / 436-437.

(3) التصوير البياني، دراسة تحليلية لسائل البيان، ص 370.

(4) سورة البقرة، الآية: 24.

﴿كَلْبُ الْكَلْبِ﴾ موعظه لأن انتفاء النار لصيقه وتسميته ترك المئات من حيث إنه من نتائج، لأن من اتقى النار ترك المائدة، وظنّه أن يقول للملك لحشمه: إن أردتم الكرامة عندي فاحطروا سخطي، يريد فاطمومي واتبعوا أمري واتعلموا ما هو نتيجة حطر السخط، وهو من باب الكتابة التي هي شعبة من شعب البلاغة، ولغته الإيجاز الذي هو من حلية الترتيب، وتحويل شأن المائدة إلى شأن النار منبه، وإبرازه في صورته شيئاً ذلك بتحويل صفة النار وقطع لمرها⁽¹⁾، فالاستدلال هنا من اللازم (ترك المائدة) إلى المألوف (تقاء النار) وترك المائدة (لازم) لانتفاء النار.

وفرق الزهري بين الكتابة والتصريح، فقال: "فإن قلت: أي فرق بين الكتابة والتصريح؟ قلت: الكتابة أن تذكر الشيء بشر فنتله للوضوح له، كتولك طرس النجاة والحمائل لطول القائمة، وكثير الرماد للمضياف.

والتصريح: أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره، كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جئتك لأسلم عليك، ولأنظر إلى وجهك الكريم، ولذلك قالوا: وحسبك بالتسليم مني تنافياً وكناه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض، ويسمى التطويح لأنه يلوح به ما يريد⁽²⁾.

إن أسلوب الكتابة وجد مناعاً غصباً في تفسير الزهري مفهومه وتطبيقاً، بل إن علم البيان والمعاني تطور تطوراً كبيراً، فقد كان تفسيره تطبيقاً عملياً وظف فيه القواعد البلاغية للكشف عن أسرار بلاغة التعبير القرآني.

يقول د. شوقي ضيف: "يمكن أن يقال إن قواعد علم البيان قد كملت عنده كما كملت قواعد علم المعاني، وكل ما هنالك أنه بقي من شخصيتها ويتبعها عنده وعند جيد الفاهر وينظمها في مصنف يصح مفرقتها ويضم مشروحها"⁽³⁾.

(1) الكشاف: 1 / 248 وما بعدها.

(2) شبه: 1 / 372-373.

(3) البلاغة تطور وتاريخ، ص 262.

وفي طليعة من استقصى وتبصّر ما ناله الجرجاني والزمخشري فخر الدين الرزاي (ت 606 هـ)، وأبو يعقوب السكاكي (ت 626 هـ)، وعلى يدتهما دخلت الكتابة مرحلة جديدة في الدراسة هي مرحلة الترتيب المنطقي والتنظيم والتعرف
لخص الرزاي ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني في فصول ثلاثة تحدث فيها عن الكتابة^(١) خصص الفصل الأول للكلام في حيلة الكتابة، والفصل الثاني في أن الكتابة ليست من الجاهز، والفصل الثالث في ترجيع الكتابة على التصريح وترجيح الاستعارة على التصريح بالتشبيه

أوضح الفصل الأول حيلة الكتابة بقوله 'إن اللمظة إذا خلطت وكان الغرض الأصلي غير معناه فلا يخلو أما أن يكون معناه مقصوداً أيضاً ليكون دالاً على ذلك الغرض الأصلي، وإما أن لا يكون كذلك. فالأول هو الكتابة والثاني هو الجاهز'^(٢)
وأوضح في الفصل الثاني أن الكتابة ليست من الجاهز، فقال 'وبك أن الكتابة عبارة عن أن تذكر وتفيد معناه معنى ثانياً هو المقصود وإذا كنت تفيد المقصود بمعنى اللفظ وجب أن يكون معناه معتمداً وإذا كان معتمداً فما نقلت اللفظة عن موضوعها، فلا يكون جهازاً'^(٣) لم يوضح ما قاله بقوله: 'مثلاً أنا قلت: كثير الرماد فأنت تريد أن تحمل حقيقة كثرة الرماد دليلاً على كونه جواهاً فأنت قد استحصلت هذه الألفاظ في معانيها الأصلية ولكن غرضك في إضافة كونه كثير الرماد معنى ثانٍ يلزم الأول وهو الجاهز، وإذا وجب في الكتابة اعتبار معانيها الأصلية لم تكن جهازاً أصلاً'^(٤)

وأوضح في الفصل الثالث ما ذهب إليه عبد القاهر في تحليل بلاغة الكتابة، وترجيحها على التصريح، فقال: 'لنا علم أن السبب في كون الكتابة أبغ من الإصلاح هو أن الكتابة ذكر الشيء بوساطة ذكر لوازمه ووجود اللازم يدل على وجود اللزوم، ومعلوم أن ذكر الشيء مع

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإصحاح، ص ١٣٥-١٣٦.

(٢) نفسه، ص ١٣٥.

(٣) نهاية الإيجاز في دراية الإصحاح، ص ١٣٦.

(٤) نفسه، ص ١٣٦.

دليله لوقوع في النفوس من ذكر الشيء لا مع دليله فلاجل ذلك كانت الكتابة ابلغ³¹ وهو يثبت هذا الرأي الذي نقله عن عبد القاهر لوجهين.

الأول: انك إذا قلت: فلان طويل السجاء فطول السجاء مشكوك فيه كما أن طول القامة

مشكوك فيه، وليس استعمالها أظهر عند العقل من الآخر حتى يستدل بالأحرف

على الآخرى اللهم إلا إذا جعلنا الطريق إلى معرفة طول السجاء الحس، ولكنك

أبداً كان في معرفة طول القامة، فظهر ضعف هذه الملة

الثاني: وهو أن الاستدلال باللازم على اللازم طريقة باطلة، فإن الحياة لازمة للعلم،

ولا يمكن الاستدلال بوجود الحياة على وجوده، فيبطل ما قال³²

وبذلك ينقل الرازي عن الكتابة من مبدئه البلاغي إلى الحجاج المنطقي، والاحتكام إلى

العقل، وإلحاح اللازم والمعلوم، دون أن يشير إلى موضع للزينة في التفسير الكشائي والاستداري

من التصريح به.

أن اللازم الذي أبرزه الرازي كان له أثر غير الحميد، في توجيه دراسة هذا اللون من

الوان التعبير وجهة منطقية، أضرت به أكثر مما أنفدت، إذ شغل الفارسيون بعده باللازم والمزوم،

وتعذر الانفعال من اللازم إلى اللازم، ما لم يكن اللازم ملزوماً بنفسه، أو بانضمام قيمة إليه،

بلواز أن يكون اللازم أهم، ولا دلالة للعلم على الخاص. فضلاً عما قيل فيهما، من أنهما

حقليان أو حرفيان، وعلى هذا الجدل المقيم على النسبة الفنية في هذا اللون من التعبير الفني

الرابع³³

أما السكاكي فقد عرّف الكتابة بقوله: "الكتابة هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما

يلزمه ليتقل من المذكور إلى للتروك، كما نقول: فلان طويل السجاء ليتقل منه إلى ما هو

ملزومه، وهو طول القامة"³⁴

(1) نهاية الإيجاز في دراسة الإصحاح، ص 137 والمشارقة، ينظر: طلال الإصحاح، ص 116 - 118

(2) نهاية الإيجاز في دراسة الإصحاح، ص 137.

(3) الكتابة، ص 183، 184

(4) حقائق المنطق، ص 189

إن الكتابة عنده مبنية على الانتقال من اللازم إلى المفروض، والمطلوب بالكتابة لا يخرج من أقسام ثلاثة:

١- الكتابة المطلوب بها نفس للوصف.

٢- الكتابة المطلوب بها نفس الصفة.

٣- الكتابة المطلوب بها تخصيص الصفة بالوصف.

وهذه الأقسام قد ذكرها الجرجاني والزهري من قبله، فالجرجاني ذكر الكتابة من صفا والكتابة من سب (تخصيص الصفة بالوصف)، وأضاف الزهري إليهما الكتابة من موصوف، إلا أن السكاكي نظم هذه الأقسام وتسميتها بتسميات أخرى وتسميتها من جهة أخرى إلى قريبة وبعبارة وحاول تقييدها وتعميمها.

ففي القسم الأول في الكتابة المطلوب بها نفس للوصف، تقرب الكتابة تارة وتبعد أخرى وعرف القريب بقوله: "هي أن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بوصف معين عارض، فذكرها متوصلاً بها إلى ذلك للوصف، مثل أن تقول: جاء الضيف، وتريد ريداً، لعارض اختصاص للضيف بريد" (١). وعرف البعيد بقوله: "هي أن تتكلف اختصاصها بأن لضم إلى لازم آخر وآخر فتلق مجموعاً وصفاً مائماً عن دخول كل ما عدا مقصودك فيه، مثل أن تقول في الكتابة عن الإنسان، حي مستوي القامة، عريض الأظفار" (٢).

أما القسم الثاني في الكتابة المطلوب بها نفس الصفة، الكتابة فيه أيضاً تقرب تارة وتبعد تارة، وعرف القريب بقوله: "هي أن تتقل إلى مطلوبك من أقرب لوازمه إليه، مثل أن تقول: فلان طويل القامة، أو طويل النجاد، متوصلاً به إلى طول قامته، أو مثل أن تقول: فلان كثير الضيف، أو كثير الأضياف، متوصلاً به إلى أنه مضيفون هذا النوع القريب تارة يكون واضحاً كما في المثالين المذكورين، وتارة خفياً كما في الوهم. عريض القامة كتابة عن الأبله، وفي الوهم، عريض الوسادة عن هذه الكتابة" (٣). بريد (كالبه) وعرف البعيد بقوله: "فهو أن تتقل إلى مطلوبك من لازم بعيد بواسطة لوازم متسلسلة مثل أن تقول: كثير الرماد، فتقل من كثرة الرماد إلى كثرة الحمر ومن كثرة إسرائق الحطب تحت الفتود، ومن كثرة إسرائق الحطب إلى كثرة

(١) منتخب الموطأ، ص ١٩٥.

(٢) نفسه، ص ١٩٥.

(٣) نفسه، ص ١٩٥.

الطابع، ومن كثرة الأكلة، ومن كثرة الأكلة إلى كثرة الضيفان، ثم من كثرة الضيفان إلى أنه مضاعف، فالتنوين بين الكتابة وبين المطلوب بها كم ترى من لوازمه⁽¹⁾.
أما القسم الثالث في الكتابة المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف فهي أيضاً تصات في اللطف فطرة تكون لطيفة، وأخرى ألطف، وللطيف قول زياد الأصم
إِنَّ الشَّاحِصَ وَالْمُرْوَةَ وَالْأَدَى فِي كَيْفِ غُورَتِ عَلَى أَمْرِ الْحَشْرِجِ
وَالطُّفِ مَتْنَهُ قَوْلُ الشَّعْرِي الْأَزْهِي فِي وَصْفِ امْرَأَةٍ بِالصِّفَةِ
نَيْتٌ بِمَنْجَلٍ مِنَ السُّورِ يَنْهَا إِذَا مَا يَسُوتُ بِمَنْجَلٍ حَلَّتِ⁽²⁾
ولما السككي إلى فنون الكتابة كالرمز والإشارة والتلويح والإيماء والتعريض، فقال:
"ثم إن الكتابة تصات إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة، وساق الحديث بحسب لك اللام
من ذلك"⁽³⁾.

وما ذكره السككي من تقسيمات للكتابة وما يتعلق بها من فنون وقف عندنا المتأخرون ولم يخرجوا عنها أو يضيفوا إليها، ودخلت البلاغة عهداً جديداً امتداز بالشرح والتلخيص، وأشهر التلخيصات، كتاب (التلخيص) للخطيب القزويني (ت 739 هـ)، خصص فيه كتاب (المتن) للسككي.

ولقد حرّف القزويني الكتابة فيه، بقوله "الكتابة فقط أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه"⁽⁴⁾. وفي كتابه الآخر (الإيضاح) حرّفها أيضاً بقوله: "فقط أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معناه جوازاً"⁽⁵⁾.

لهو يفرق بين الكتابة والجهاز من جهة إرادة المعنى الحقيقي، فالكتابة يجوز فيها إرادة المعنى الحقيقي، أما الجهاز فإنه لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي، وبذلك تشرق الكتابة عن الجهاز.

(1) غلة، ص 190، 191.

(2) مفتاح العلوم، ص 192، 193.

(3) مفتاح العلوم، ص 190 والاستزادة ينظر ابن رشتة في المعتمد من هذه التسميات للكتابة 1 / 302 وما ذكر منها بمدة

(4) التلخيص، ص 337.

(5) الإيضاح، 2 / 456.

وقسم الفروني الكتابة ثلاثة أقسام، كما قسمها السكاكي وهي:

- 1 - المطلوب بها غير صفة ولا نسبة⁽¹⁾
- 2 - المطلوب بها صفة، وتقسم إلى قريبة وبعيدة وواضحة وغيبية⁽²⁾
- 3 - المطلوب بها نسبة⁽³⁾

لَمْ يَأْتِ الْكُتَابَةُ تَتَلَوْنَ كَمَا هِيَ عِنْدَ السَّكَاكِيِّ إِلَى تَعْرِيفِ، وَتَلْوِيحٍ، وَرَمَزٍ، وَإِهَامٍ، وَإِشَارَةٍ. وَامْتِازَتْ الْكُتَابَةُ فِي (تَلْوِيحِهَا) بِالْاِقْتِصَابِ، وَالْجَفَاءِ مِنَ الشُّوَاهِدِ وَالْأَمْثَلَةِ عَلَى غِلَافِ مَا عَرَفَ فِي كِتَابِهِ (الإيضاح) لِمَنْ الْكُتَابَةُ، فَلَمْ يَمْتِازَتْ بِالتَّنْظِيمِ وَلِيُوَادَّ الشُّوَاهِدَ وَشَرْحَهَا، وَمَلَأَ أَمْرَ وَلَدٍ فِي التَّلْخِيصَاتِ، وَكُتَابِ (التَّلْخِيصِ) كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ، فَحَصَّ كِتَابَ (الإيضاح)، وَمِنْ الشُّوَاهِدِ الْقُرْآنِيَةِ الَّتِي عَرَضَ لَهَا قَوْلُهُ - تَعَالَى - ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مَا أَقْبَمْتُمْ﴾⁽⁴⁾ قَالَ فِيهَا: "أَيُّ وَلَا أَشَدَّ تَعْمُومٍ وَحُسْرَتِهِمْ عَلَى عِبَادَةِ الْمَجْلُ، لِأَنَّهُ مِنْ شَأْنٍ مِنْ أَشَدِّ لَعْنَةٍ وَحُسْرَةٍ أَنْ يَحْضُرَ يَدُهُ خُفًا، فَتَصِيرَ يَدُهُ مَسْطُورًا لَهَا، لِأَنَّ لَهَا قَدْ وَقَعَ لَهَا"⁽⁵⁾

وَلَمْ يَخْرُجِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الْفُرُونِيَّ فِي مَنَهِجِهِ فِي الدُّرُوسِ لِلْبَلَاغِيِّ، وَبِخَاصَّةٍ نَحْنُ بِمَتَلَقِّ بِالْكُتَابَةِ إِلَى غَيْرِ مَا نَحْبِإْ إِلَيْهِ نَحْنُ بَلَقَتْ انْتِبَاهَ الْبَاحِثِ وَمِنْ حَوْلِهِ إِهَامُ الدُّنْيَا السَّيْكِي (ت 773 هـ)⁽⁶⁾ وَسَمِعْتُ السَّيْكِيَّ الْفُتُوخِيَّ (ت 791 هـ)⁽⁷⁾ وَأَبُو يَحْيَى الْفُتُوخِيَّ (ت 1110 هـ)⁽⁸⁾ وَابْنُ مَعْمُورٍ الْفُتُوخِيَّ (ت 1120 هـ)⁽⁹⁾

وَأَمَّا كَانَ الْفُرُونِيَّ يَمُتِلُ امْتِخَانًا لِلْسَّكَاكِيِّ فِي مَنَهِجِ الدُّرُوسِ الْبَلَاغِيِّ الْعِلْمِيِّ رَحِمَهُ بِمَكْمِ تَلْخِيصِهِ لِمَتَلَقِّهِ، فَإِنَّ ضِيَاءَ الْفُتُوخِيِّ (ت 637 هـ)، وَالْمَلُوكِيِّ (ت 749 هـ)، يَمُتِلُانِ الْاِمْتِخَانِ لِحَقِّ لَعْنَةِ الْفُتُوخِيِّ الْفُتُوخِيَّ فِي مَنَهِجِ الدُّرُوسِ الْبَلَاغِيِّ الْأَدَبِيِّ الْقَائِمِ عَلَى الْحَقِّ

(1) نفسه 2 / 437

(2) نفسه 2 / 438

(3) الإيضاح 2 / 462

(4) سورة الأعراف، من الآية 149

(5) الإيضاح 2 / 461

(6) مدرس الأقران في شرح تلخيص الفتاح، قسم شروح التلخيص 4 / 237 وما بعدها

(7) المختصر على تلخيص الفتاح، ضمن شروح التلخيص 4 / 237 وما بعدها

(8) مواب الفتاح في شرح تلخيص الفتاح، ضمن شروح التلخيص 4 / 237 وما بعدها

(9) فتاوى الشيخ في شرح الهدى 5 / 309-316

والصحيح والتعريف المبرر والامثال من للتقسيم والمصطلح العلمي. ولذلك أرجأنا الحديث عنها إلى هذا الموضع وجعلناها في صعيد واحد.

لأن ابن الأثير فإنه يهتم دراسة بلاغية وإتية لأصوب للكتابة، يقول د أحمد مطلوب واصفاً دراسة ابن الأثير للكتابة "ولعل ما كتبه ابن الأثير في (الجامع الكبير) و (لؤلؤ السائر) يعني الباحث في هذا الموضوع، فقد جعل لهذا الفن روحاً، وبعث فيه حياة، غلظا بالكتابة صبور متحركة، ولذا بالأظفة توحى بكل بديع صبيب، وليت للناظرين مستفادوا مما ذكره ابن الأثير⁴¹³ أشار ابن الأثير إلى خلط كثير من البلاغيين بين الكتابة والتعريض، وبدأ بالكتابة وقال أنها حدثت: "باللفظ النال على الشيء، على غير الوضع الحقيقي، بوصف جامع بين الكتابة والكناية⁴¹⁴."

وقال بصاد هذا التعريف، لأنه يمكن أن يكون حدثاً للتشبيه كذلك. ونقل ما ذهب إليه علماء أصول الفقه من أنها "اللفظ المختل⁴¹⁵" وقال: أنهم يريدون به اللفظ الذي يتضمن الدلالة على للمنى وعلافة. وأشار إلى لصاد أيضاً، لأن كل كتابة لفظ مختل، وليس كل لفظ مختل كتابة.

وحذ الكتابة الجامع لما عنته هو: "أنها كل فظة دلت على معنى يجوز حمل على جهاتي الحقيقة والجاز، بوصف جامع بين الحقيقة والجاز⁴¹⁶" وقال أن الكتابة مشتقة من السر، يقال: كتبت من الشيء إذا سترته، وأجري هذا الحكم في الانقضاء التي يُستر فيها الجمار بأغشية، فتكون دالية على السائر وعلى المستور معاً "ألا تروى إلى قوله - تعال - ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْكَفَرَ﴾ فإنه إن حمل على الجامع كان كتابة، لأنه ستر الجامع بلفظ التمس الذي حقيقته مصالحة الجسد الجسد وإن حمل على للاماسة التي هي مصالحة الجسد الجسد كان حقيقة، ولم يكن كتابة، وكلاهما يتم به للمنى⁴¹⁷."

(1) المزدني، مخرج الفقه، ص 416.

(2) لؤلؤ السائر 3 / 50.

(3) نفسه: 3 / 51

(4) نفسه: 3 / 52

(5) نفسه: 3 / 53

وإنّ الأثير يرى الكتابة جرمًا من الاستعارة، لأنها لا تكون إلا بطيئًا لكنسي عنه، وسبغها إلى الاستعارة نسبة خاص إلى عام، لكل كتابة استعارة، وليست كل استعارة كتابة وباترك بينهما من وجه آخر، فيقول "الاستعارة لفظها صريح، والصريح هو ما دلّ عليه ظاهر لفظه، والكتابة عند الصريح، لأنها عدول عن ظاهر اللفظ، وهذه ثلاثة لفرق أحدها المحصور والمعموم، والآخر الصريح، والآخر الحمل على جانب الحقيقة وإنجاز"³⁵ وأورد تقسيم البلاغيين للكتابة إسماء ثلاثة فقال: "وكذا ذهب قوم إلى أن الكتابة تنقسم إسماء ثلاثة: قبيحًا، وإرذليًا، ومجودة"³⁶

وفصل القول في كل قسم مبحثًا للقصور، ثم انتهى إلى أنه تقسيم ليس بمصحح لأن من شرط التقسيم أن يكون كل قسم من غرضًا بصفة خاصة، تفصله عن صوم الأصل"³⁷ وذلك لأن الكتابات عنده كلها تمثيل فإن التمثيل عبارة عن مجموع الكتابة، لأن الكتابة إما هي أن تواد الإشارة إلى معنى، فيوضع لفظ لمسي آخر، ويكون ذلك اللفظ مثالاً للمعنى الذي ليدلّ الإشارة إليه"³⁸

والتمثيل في الكتابة ينضج في التركيب، ويقلّ في القصور، قال: "ألا ترى إلى قوله - تعالى: ﴿إِنَّ كَذَّابِينَ هُمْ يُسَمُّونَ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ فإن تواد الإشارة إلى النساء فوضع لفظاً لمسي آخر، وهو التماذج، ثم مثل به النساء وهكذا يجري الحكم في جميع ما يأتي من الكتابات، لكن منها ما ينضج التمثيل جيداً، ومنه ما يكون دون ذلك في المشبهة"³⁹ ثم قال "لو وجدت الكتابة إذا وردت على طريق اللفظ للتركيب، كانت شذوذاً للنسبة واضحة الشبهة، وإذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم تكن بذلك الدرجة في قوة للنسبة والمثلية"⁴⁰

ثم يحدد مقارنة بين الكتابة المركبة والكتابة المفردة لتوضيح ذلك، فيقول: "ألا ترى إلى قولهم (فلان نقي الثوب) وقولهم (اللمسي) كتابة عن الجسم، فإن تقاء الثوب أشدّ مناسبة

(1) قسمه 3 / 35

(2) اقل الباهر، 3 / 38. وينظر الجملع الكبير، ص 157

(3) اقل الباهر 3 / 39.

(4) اقل الباهر 3 / 39. والمطلوبة، ينظر نقد الشعر، ص 199، 168.

(5) قسمه 3 / 39.

(6) قسمه 3 / 39.

وأوضح شيئاً، لأننا إذا قلنا: تقام الثوب من اللبس كترجمة المصوب من المعبوب لتضحت التشابه، ووجدت المناسبة بين الكتابة والكنى عنه شديدة الملائمة، وإذا قلنا: (اللبس كالجلباب) لم يكن بذلك الدرجة في قوة التشابه. وهنا الذي ذكر في أن من الكتابة ثقباً وهو كذا وكذا، خبر صانع ولا يفرد بل الكتابة كلها هي تلك⁽¹⁾

ومعرف ابن الأثير الترميز بقوله: "اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي، ولا الجازي، لأنك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروته بغير طلب والله إنني لاحتاج، وليس لي يدي شيء، وأنا حريان والبرد قد آفاني، فإن هذا وأشباهه ترميز بالطلب، وليس هذا اللفظ موضوعاً في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازاً، إنما دل عليه من طريق المفهوم، بدلالة دلالة اللفظ على الجواب"⁽²⁾

ويقول: "الترميز أحسن من الكتابة، لأن دلالة الكتابة لفظية وضعية من جهة الجواز، ودلالة الترميز من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا الجازي وإنما سمي الترميز ترميزاً لأن المعنى فيه يفهم من عرضه أي من جانيه، وعرض كل شيء جانيه، والكتابة تشمل اللفظ للقرود والركب معاً، ولما الترميز لأنه يخص باللفظ للركب، ولا يأتي في اللفظ للقرود البتة"⁽³⁾

ومن الكتابات القرآنية التي توردنا قوله - تعالى - ﴿الْجِبْرِتُ أَتَمَّكَتُكَ أَنْ تَأْتَمَّكَ لَيْلِي﴾⁽⁴⁾ قال: "لأنه كنى عن العيبة بأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جملة متناً، ثم جعل ما هو في النهاية من الكرامة موصولاً بالعبية، فهذه أربع دلالات واضحة على ما قصيدت له مطابقة للمعنى الذي وردت من أجله"⁽⁵⁾

ثم يوضح التباسات في الدلالات بين الكنى به والكنى عنه في المواضيع الأربعة التي علقها الآية، أي يبحث عن طوصف الجالس في الدلالات، فقال: "فأما جعل النية كأكل الإنسان لحم إنسان آخر مثله فتشيد المناسبة جيداً، لأن بالنية، إنما هي ذكر مثالب الناس وتزقي أفعالهم، وتزيق العرض عائل لأكل الإنسان لحم من يفتنه، لأن أكل اللحم فزيق

(1) ن.د. 3 / 99

(2) ن.د. 3 / 56

(3) لعل السائر. 1 / 57. ونظر حديثي الترميز والربحان في البيان عن بلاغيات التبيان، محمد شريف

الحطاب المصري، ص 31

(4) سورة الحجر، من الآية: 12.

(5) لعل السائر. 3 / 82.

على الحقيقة، وأما جعله كالحسم الأخ لما في الغيبة من الكرامة، لأن العمل والشرح بمجموع على استكرامها، أمران يتركها والحد منها، ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الأخ في كرامتها وأما جعل الحسم ميتاً فمن أجل أن المختار لا يشعر بقيته ولا يحس بها. وأما جعله ما هو في الدابة من الكرامة موصولاً بالحقيقة، فلما جرت عليه النفوس من الليل إلى الغيبة والشهوة لما مع العلم بقيتها⁴⁰.

فهو يشترط التناسبات في الدلالات في الأسلوب الكتابي، فإذا لم يجد التناسب والوصف الجامع بين لكنني به ولكلني عنه لم يعد التصير كتابياً. قال "إنه لابد من الوصف الجامع بينهما لتلا يلمس بالكتابة ما ليس منها، ألا ترى إلى قوله - تعالى - ﴿يَا كَاذِبُ تَرَىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ رُوحٌ مِّمَّنْ رُوحَ رَبِّكَ﴾ لكنني بذلك عن النساء، والوصف الجامع بينهما هو التائبون أجل ذلك لم يُلَفَّتْ إلى تأويل من تأويل قوله - تعالى - ﴿يَا بَصَلَّةَ﴾ أنه لواد بالثياب القلب على حكم الكتابة، لأنه ليس بين الثياب والقلب وصف جامع، ولو كان بينهما وصف جامع لكان التأويل صحيحاً⁴¹ وجعل من الكتابات القرآنية قوله - تعالى -

﴿لَقَدْ يَدَّ يَدًا لَمَسَتْ مَلَكَاتُ الرَّبِّ أَيْدِيًا يَدُهَا يَمْسُكُ فَتَكْتَبُ بِهَا رُبُّهُ﴾⁴² وذلك لوجود التناسب والوصف الجامع، وحل اللقط على جانبي الحقيقة والجاز، فقال: "هذه الآية من باب الكتابات التي لفظها يجر حله على جانبي الحقيقة والجاز. وقد رأيت جماعة من أئمة الفقه لا يفقهون أمر الكتابة، وإنما مثلوا عنها مبروا عنها بالجاز، وليس الأمر كذلك، وبينهما وصف جامع، كهذه الآية وما جرى مجراها، فإنه يجرز حل الماء على الطير النازل من السماء وعلى العلم، وكذلك حل الأودية على مهايط الأرض وعلى الغروب، وهكذا يجرز حل الزبد على الشكاء الزاوي الذي تغلفه السيول، وعلى الضلال، وليس في أناس الجاز شيء يجرز حله على الطرفين معاً سوى الكتابة⁴³."

(1) قصه 3 / 62.

(2) لعل السافر 3 / 53.

(3) سورة الرعد، من الآية: 17.

(4) لعل السافر: 3 / 63.

وقال في قوله - تعالى - ﴿ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكُمْ مَبَازِئَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾³⁷ والأدھر الذي لم يطلوها كتابةً عن متناحس النساء، وذلك من حسن الكتابة وتاءره³⁸. وقد تتبع ابن الأثير أساليب الكتابة في التروكان والشعر والمشر المركبة منها والمفردة، وامتازت تحليلاته لها بالحيوية والعمق.

وأما العلوي (ت 749 هـ) فهو يقيده من دراسة الكتابة عند الجرجاني وعده ابن الأثير بخاسه، ليقفه لها دراسة بلاغية امتازت بالعمق في صورة منظمة تعتمد التقسيم والتويب وهو يناقش فيها كثيراً من التعريف للكتابة وبخاصة تعريف الجرجاني وتعريف ابن الأثير، ثم ينتهي بعد المناقشة إلى تعريف الكتابة بقوله: 'فالمختار عندنا في بيان ماهية الكتابة، أن يقال: هي اللفظ الدال على معنيين مختلفين، حقيقة وعجاز من غير واسطة، لا على جهة التصريح'³⁹. لم يفسر تعريفه بقوله: 'ولفسر مرادنا بهذه العبارة، فنقولنا: اللفظ الدال يميز به عن التفسير، فإنه ليس مدلولاً عليه باللفظ، وإنما هو مفهوم من جهة الإشارة والمعنى، ونقولنا على معنى، يميز به عن صفاً يدل على معنى واحد، ونقولنا حقيقة وعجاز، يميز به عن اللفظ المشترك، وإن دلالة على ما يدل عليه من المعاني على جهة الحقيقة لا غير، ونقولنا من غير واسطة، يميز به عن التشبيه، فإنه لا يدل له من أمارة التشبيه، إنما ظاهراً كقولك: زيد كالأسد، وإنما مضمر كقولك: زيد البسر، ونقولنا على جهة التصريح، يميز به عن الاستعارة، فإن دلالتها على ما تدل عليه من جهة صريحها، إنما من غير قرينة، كدلالة الأسد على الجولان، وإنما مع القرينة كدلالة الأسد على الشجاع، فكلاهما مفهوم من جهة التصريح، بخلاف الكتابة لأن الجميع ليس صريحاً من قوله - تعالى -: ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكُمْ مَبَازِئَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وإنما هو مفهوم على جهة تتبع كما دلّت عليه بحقيقتها⁴⁰.

والكتابة عند العلوي هي من الجاز، لأن المقصود منها هو المعنى المكتنى به، وليس المقصود هو المعنى الحقيقي لللفظ، قال: 'إن الكتابة قد دلّت على معناه اللغوي الذي وُضعت من أجله، فبعد ذلك لا يخلو سائلاً، إنما أن تدل على معنى مخالف لما دلّت عليه بالوضع أم لا،

(1) سرية الأحرار، من الآية 37.

(2) نكل السحر 3 / 38.

(3) الخطر 1 / 373.

(4) الخطر: 1 / 373-374.

فلان لم تعد فلا معنى للكتابة، وإن طُلت عليه وجب القول بكونه عيلاً، لما كان خائفاً لما دلت عليه بالوضع³⁷⁵

وقسم العلوي الكتابة إلى ثلاثة أقسام باعتبار ذاتها، وباعتبار حلقها، وباعتبار حكمها فالقسم الأول باعتبار ذاتها تنقسم لديه إلى مفردة، ومركبة، فأما المفردة فهي ما كانت الكتابة حاصلة في النقطة الواحدة، وعلماً كقولهم - تعال - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾³⁷⁶ وقيل في التأخر بالتمجيد في كلا الموضعين للمركبة، وإلحاق كسب بالتمجيد من المرأة إما بينهما من الملازمة في التلكن والضمف والرحمة وكثرة التلكن، وكقولهم - تعال -

﴿لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْإِسْلَامَ﴾ فإنه كتابة عن الجماع³⁷⁷ وأما المركبة فهي أكثر ورود الكتابة عليها، كقولك: ﴿الْكُرْمُ فِي بَرْقَبٍ﴾ والجد بين قوتيه، والمعاف في جملته، هذا في اللحن، وفي اللحن³⁷⁸ (لغة لحي الواسي)³⁷⁹

ثم يوازن بين النوعين (المفردة والمركبة) بقوله: "فإنما وردت على طريقة التركيب كانت أشد ملازمة، وأعظم بلاغاً، وإنما وردت على صورة الأفراد لم يكن لها تلك الزينة التي حصلت للمركبة، ومثاله أنك إذا قلت في الكتابة للمركبة: فلان نقي للشوب، وأردت إبهامه على صورة التشابه، فإنك تقول: هو في نزاعة العرض من الميوس كتزاحة الثوب من الأنداسي، فإذا حصل على هذا التأليف انقضت التشابه وتوجدت المناسبة وظهر أمر الكتابة، وإن قلت في الكتابة المفردة، انقسم في الجماع لم تكن في تلك الدرجة من المناسبة وتعد التشابه"³⁸⁰

والقسم الثاني باعتبار حلقها تنقسم إلى قريبة وبعيدة والقريبة هي ما يكون الانفعال إلى المطلوب بأقرب اللوازم.. ومثلاً (بعيدة منهوى الفُرط) فإنه كتابة عن طول عنقها، وهذا حاصل على القرب من غير اعتبار واسطة³⁸¹ وأما البعيدة فهي ما يكون الانفعال إلى مطلوبها من لازم أبعد منه، مثلاً، (ملان كثير الرماد) فهذه تكثر فيها الوسائط، لأنك تتنقل من كثرة

(1) غـ 1 / 375-376

(2) غـ 1 / 427-428

(3) غـ 1 / 429

(4) الطريق 1 / 430 ونظر - لكل الشعر 3 / 99 للمقارنة

(5) غـ 1 / 430 ولللمقارنة، نظر منتاح الطرق، ص 190-191

الرماد إلى كثرة الجبر، ثم إلى كثرة الإحراق تحت اللند، ثم إلى كثرة الطبايع، ثم إلى كثرة
الأكالين، ثم إلى كثرة الأغصاف، ثم إلى كونه مضيقاً⁴¹⁹

أما القسم الثالث باعتبار حكمها فإنها تنقسم إلى حصة وقيمة فالحصة قول أمريية تصف زوجها (إنه ليلى) قليلات المهرج، كثيرات المهرج، إذا سمعت صوت المؤذن أيقن أنهن مؤنساتك) والقيمة ما يتخلو من التفاتة المرادة من الكتابة، وهو حيب عند أهل البلاغة، من ذلك قول أبي الطيب التيمي:

إلي علي ثثنني بما لي خضرها لا عفاً عما في سراويلاتها^{١٥}
 (إذ إن خضرها وسراويلاتها) فقدت غرض السر والاختفاء وقررت من التصريح بالمعنى
 ويورد العلوي كثيراً من أمثلة الكتابة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكلام علي
 أمير المؤمنين ع، وكلام البلغاء، والكتابات الشعرية، وحفل كل نوع من هذه الأسواع الخمسة
 ببلد والحر من الشولند.

ومن الكلمات القرآنية التي أوردتها قوله - تعالى - : ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ لَّكَاظِمِينَ﴾ ، وقوله - تعالى - : ﴿فَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ حَالاً قَدْ كُنْتُمْ فِيهَا كُفَّارًا﴾ . وهو لا يكاد يخرج من تفسير هذه الكلمات القرآنية عما قاله ابن الأثير من قبل^{١٤}

والعلموي يفرق بين الكتابة والتصريف، والفرق بينهما يظهر من أوجه ثلاثة
الوجه الأول: الكتابة واقعة في الجاز، بخلاف التصريف فلا يحد من الجاز
الوجه الثاني: الكتابة تقع في المرد والمركب، والتصريف لا يقع إلا في اللفظ المركب
الوجه الثالث: التصريف أعمى من الكتابة، لأن دلالة الكتابة منطوق عليها من جهة
اللفظ بطريق الجاز، بخلاف التصريف، فإذن دلالة من جهة التسمية
والإشارة.

ولم يصف الذين جاءوا من بعده إلى فن الكتابة إسهالات جوهرية، بل الملاحظ عليهم النقل من عهد القنصل الجرجاني والزهري وابن الأثير وغيرهم من علماء البلاغة والبيان.

(3) رقم 431 / 1، والجفارة، ينظر ملحق المرفوع، ص 190، 191.

412 / 1 قسط (2)

(3) 431, 432 / 1 卷 (3)

(4) الخط 1: 400-407، ويظهر الخط 2: 401-408

(5) الطرزي: 1 / 396-397، وقلوب يمين الأئمة، فلكل السام: 3 / 57-56.

ومن هؤلاء ابن القيم الجوزية (ت 751هـ)⁴¹، وعبد القادر الزركشي (ت 794هـ)⁴²، وابن حبان الجسري (ت 837هـ)⁴³، والسيوطي (ت 911هـ)⁴⁴ وابن معصوم اللخمي (ت 1120هـ)⁴⁵.

ولا نجانب الحقيقة إذا قلنا إن الحديثين والمعاصرين من البلاغيين⁴⁶ لم يبالغوا ما انتهى إليه البلاغيون المتأخرون عتلاً جوهرياً في دقّة فن الكناية وإن كان لكلّ منهم ملاحظاته وطريقة تناوله لهذا الفن اللغوي⁴⁷.

الكناية بين الحقيقة والجاز

أكثر علماء البيان على ملأ من الكناية من الجاز⁴⁸ لأنّ اللغة الستميل لا يبراد منه معناه الحقيقي.

قال ابن الأثير: "وقد تقدم القول في باب الاستعارة أنّها جزء من الجاز وعلى ذلك تكون نسبة جزء الجوز، وخاص الحاصي⁴⁹، ولما كانت الكناية عتلت عنها للاستعارة نسبة جزء الجزء وخاص الحاصي، فهي من الجاز، إلّا أن مجازيتها تختلف عن مجازية الاستعارة وتنفرد عنها بالقرينة، القرينة مع الاستعارة تمنع من إيراد المعنى الحقيقي، فلا استعارة صريحة في مجازيتها. أما الكناية فلا مانع يمنع من إيراد المعنى الحقيقي مع المعنى الكنتي عنه الجازي، والمعنى الكنتي عنه في الكناية هو المستور وهو الجاز. بقوله ابن الأثير: "فإن المستور هنا - بقصد الكناية -

(1) ينظر القراءات المتنوّلة إلى طرم القراءات، ص 126 وما بعدها.

(2) ينظر البرهان في طرم القراءات، 2 / 301-300.

(3) ينظر الخفولة، ص 329-361.

(4) ينظر الأكتان في علوم القرآن، 3 / 143-142.

(5) ينظر أترار الربيع في شراع البديع، 5 / 309-316.

(6) ينظر مثلاً: علم البيان، د يحيى طيانش، ص 234 وما بعدها. وينظر البلاغة والتعليق، د أحمد مطلوب، ود حسن البصير، ص 367 وما بعدها. وينظر بناء الصورة الفنية في البيان العربي، د كاسل حسن البصير، ص 328 وما بعدها. وينظر التصوير البياني، د حسني محمد خسوف، ص 221 وما بعدها. وينظر جواهر البلاغة، أحمد الحاشمي، ص 345 وما بعدها. وينظر البلاغة الواضحة، علي الجباري، مصطفى أبي، ص 123 وما بعدها.

(6) ينظر الكناية، د محمد جابر طيانش، ص 197.

(7) القراءات، 1 / 375.

(8) لعل السطر: 3 / 55.

هو الجاز، لأن الحقيقة تهم أولاً ويشرح إليها التهم قبل الجاز، لأن دلالة اللفظ عليها دلالة وضعية، وأما الجاز فإنه يهتم بعد فهم الحقيقة، إنما يهتم بالنظر والفكرة⁴¹.

ونعيب العلوي إلى ما ذهب إليه ابن الأثير⁴² ودعى بعضهم لها ليست من الجاز لأنك تعتبر في الفاظ الكتابة معانيها الأصلية، ثم يفيد بمعانيها معنى ثانياً هو المقصود. يرى هذا عند طبر الدين الرازي، يقول: "الكتابة عبارة عن أن تذكر نقطة وتفيد بمعناها معنى ثانياً هو المقصود، وإذا كنت تفيد المقصود بمعنى اللفظ وجب أن يكون معناه معبراً، وإذا كان معبراً فما غلت اللفظة من موضوعها فلا يكون جازاً"⁴³ أي أن للمنى الثاني هو 'معنى المنى' كما يسميه الجرجاني⁴⁴ الذي يفيد اللفظ الكتابي ليس بجاز، لأن المنى الأصلي هو دليل يقود إليه فينتهما تلازم وارتباط، وبذلك نحن نستعمل الألفاظ في معانيها الأصلية

ونفهم من كلام السكاكي أن الكتابة حقيقة، قال: 'وأعلم أن التصرف ثارة يكون على سبيل الكتابة وأخرى على سبيل الجاز، فإنا قلت: أدينتي فستعرف، وأودت المخاطب ومع المخاطب إنساناً آخر مستخدماً على ترانج الأحوال كان من القليل الأول، وإن لم ترد إلا غير المخاطب كان من القليل الثاني'⁴⁵

فالكتابة عنده ليست بجازاً، وإن التصرف هو لون من ألوان الكتابة، أو طريق من طرقها، ويكون إنساناً بجازاً على خلاف الكتابة، كما مكل له في قوله 'أدينتي فستعرف' إذا كان المقصود خبر المنى الحقيقي الذي يمثله (المخاطب) وإنما المقصود من هو مع المخاطب بإزالة الكلام إليه

وقال الخطيب التزويجي: 'فرق السكاكي وغيره بوجه أعسر وهو أن مبنى الكتابة على الاتصال من المقروء إلى اللازم'⁴⁶

(1) نفسه: 3 / 94

(2) الطراز: 1 / 376 وما بعدها.

(3) نهاية الإيجاز في دراية الإيجاز، ص 136. ونظر نهاية الأرب، للتزويجي. 7 / 40

(4) دلائل الإيجاز، ص 267

(5) مناهج المطرب، ص 194. ونظر الإيضاح: 2 / 467.

(6) الإيضاح: 2 / 456.

وفرق الخطيب بين الكتابة والجار من جهة ارادة المعنى الحقيقي ولازمه، ولا يجوز في الجاز ذلك. لأن الجاز ملزوم قرينة معاندة لارادة الخطيب، وملزوم معاندة الشيء معاندة لذلك الشيء⁴⁵⁶.

والذي يميل إليه هو أن الكتابة تعبير مجازي⁴⁵⁷ لأنه من أساليب التعبير غير المباشر، وإن كان ظاهر اللفظ يُوحى بعماء الحقيقي، إلا أن هذا للمعنى الحقيقي ليس هو المقصود في الكتابة، وراء المقصود معنى آخر يخفي وراء ظاهر اللفظ ويرتبط به. وما دام المراد ليس هو معنى ظاهر اللفظ، فالأول أن تكون الكتابة من الجاز، كما أن هناك الروايات من الكتابة يتمثل لهم معناها الحقيقي أو إيراد، يتضح ذلك خاصة مع الكتابة بالتمثيل.

الفرق بين الكتابة والتعريض:

لاحظنا فيما عرضناه من أسلوب الكتابة عند البلاغيين جمع الكتابة مع التعويض عند أغلبهم كأنهما أسلوب واحد أو أنهما لفظان مترادفان⁴⁵⁸.

ولعل سبب هذا الخلط وجمع الأسلوبين في صعيد واحد عائد إلى أن دلالة الكتابة كدلالة التعريض في أن كلا منهما لم يُصرح فيه بالإنفاذ الدالة على المعنى المقصود⁴⁵⁹.

فالتعريض كالكتابة في كونه لا يُراد به معناه الذي يدل عليه ظاهره، وإنما يُراد به معنى آخر يرتبط باللفظ الظاهر وبلازمه، إلا أن الالتزام بين اللصين في الكتابة والتعريض يختلف، ففي الكتابة أساسه العرف والعادة - في أهم الأغلب - ولا يرتبط بموقف محدد أو سياق معين، على حين أن الالتزام بين اللصين في التعريض ينبع من الموقف الخاص الذي يتناول فيه الكلام⁴⁶⁰.

ولفّق السكاكي بين الكتابة والتعريض، وجعل التعريض جزءاً من الكتابة وطريقة من طرقها⁴⁶¹.

(1) شبه 2 / 456.

(2) ينظر البلاغة العربية للمعالي والبيان والبيان، د أحمد مطلوب، ص 238.

(3) ينظر مثلاً كتاب الصناعات، ص 368، والصفة 1 / 382، 383.

(4) علم البيان، د بشوي طباعة، ص 256.

(5) ينظر التعبير البلاغي، د شفيق السيد، ص 151.

(6) ينظر من من، وينظر ملحق الطرق، ص 190، 194.

ومفهوم التصريح عند الملوي لا يختلف عن مفهومه عند ابن الأثير⁴⁰ والذي ينسب إليه أن التصريح لون من ألوان الكتابة، أو طريقة مستمرة من طرقها له خاصية فنية في التصريح من المعنى إذا جاء في سياقه الطبيعي من الموقف الخاص الذي يخال فيه الكلام. ويبرز التصريح في القرآن الكريم بخاصة بوصفه "أسلوباً مشرقاً من الأساليب اليبانية يشتمل الأدب الفراني، وتدمر إليه لفته للهدية، تنويعاً للملحق، وصيغة للنفس الانسانية من العبث والنيق والإثارة للؤفة"⁴¹

معياري الجودة في الكتابة عند البلاغيين

أجمع دارسو البلاغة على أن أسلوب الكتابة هو أبليج من الانصاح، وأن التصريح أولج من التصريح

يلوك عبد القاهر المرحاني: "قد أجمع الجسيع على أن الكتابة أبليج من الانصاح، والتصريح أبليج من التصريح"⁴²

ويقول السكاكي: "واعلم أن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على أن الجاز أبليج من الحقيقة وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالمشية وأن الكتابة أولج من الانصاح بالذكر فبصير حال الكتابة كحال الجاز في كون الشيء معها مدعى بيئة ومع الانصاح بالذكر مدعى لا بيئة"⁴³

ونذهب السبكي أن الكتابة هي أبليج من كل جاز مرسل ويحصل أن يقال أنها أبليج من الاستعارة أيضاً"⁴⁴

ولي إطلاعهم بأن الجاز أبليج من الحقيقة، والكتابة أولج من التصريح مكملاً مجرداً من سياق، يتجلب الحقيقة، إذ أن أبليجة أي أسلوب يمدده السياق الذي يتشكل فيه، فالأسلوب الجازي يكون أبليج من الحقيقة إذا جاء في سياقه الذي يتطلبه، والحقيقي يكون أبليج من الجازي

(1) ينظر الطراز 1 / 397-398

(2) أسرار البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة، ص 119

(3) دلائل الاصحاح، ص 109

(4) مفتاح الملوك، ص 194-195، وينظر: الإيضاح: 2 / 408

(5) هروس الأفرح في شرح تلميح للتفتح، ضمن شروح التلميح: 4 / 377

في مقامه، فليس هناك أسلوب أبليغ من أسلوب عرناً من سياق ومتنفس حال، فالسابق هو الذي يحدد أبلغة الأسلوب.

والملاحظ أن البلاغيين القدماء قد استندوا في تحديد أبلغة الأسلوب الكتابي إلى معيار دقيق واضح، يرمعه أسلوباً فنياً غير مباشر، يؤدي لملكة الصريح بمشاه إلى معنى ثانٍ يرتبط بالمعنى الأول ويلزمه، وفي هذا إشارة للعلن وحس وقع في النفس وشدة تأثير في مخاطب بما يتملك من لوازم حسية تجسد له للمعنى للتقصود.

وللوصول من المعاني الأول إلى المعاني الثواني كما تسميها الجرجاني⁽¹⁾ يتم بواسطة، وفي عبوه هذه الوسائط من حيث تربها أو بعدها، خفاؤها أو جلاؤها كان تقويم البلاغيين لأسلوب الكتابة

وأول من أشار إلى هذه الوسائط هو أنداس بن جعفر في دراسته للكتابة التي سماها (الأرداف) وقد استبعد أنداس من الأرداف من دائرة الشعر، لكونه غامضاً بسبب كثرة الوسائط وغموضها إلى الحد الذي يعتذر معه فهم معناه. قال: "ومن هذا النوع ما يدخل في الأبيات التي يسمونها أبيات المعاني، وذلك إذا ذكر الرند وحده، وكان وجه اتباعه ما هو رند له غير ظاهر، أو كانت بينه وبينه أرداف أخرى، كأنها وسائط، وكثرت حتى لا يظهر الشيء المطلوب بسرعة إذا غمض، ولم يكن داخل في جملة ما ينسب إلى جيد الشعر إذا كان من صوب الشعر وتعتبر العلم بمناه"⁽²⁾.

وأشار الجرجاني في تحليلاته لأسلوب الكتابة إلى هذه الوسائط، وجعل معيار المجموعة فيها راجعاً إلى بيانها ووضوحها في الدلالة على المعنى للتقصود وجعل ذلك شرطاً من شروط البلاغة، قال: "إن من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول الذي لجملة دليلاً على المعنى الثاني ووسيطاً بينك وبينه متمكناً في دلالة، مستقلاً بوساطته، يفر بينك وبينه أحسن سفارة، ويشير لك إليه أبين إشارة، حتى يحل إليك أنك لهما من حلق اللفظ، وذلك لطف الكلفة فيه عليك، وسرعة وصوله إليك"⁽³⁾.

(1) ينظر دلائل الإحسان، ص 263-264.

(2) عند الشعر، ص 129.

(3) دلائل الإحسان، ص 266-267.

بلاغة الأسلوب الكتابي تعتمد على التسج الداعلي الذي يربط بين العنيتين الأصلي وللتصود⁽¹⁾ من حيث يمد الوسائط وقربها، وشموسها، ووضوحها

ويتضح معيار الجردة في الأسلوب الكتابي عند السكائي في صورة واضحة منظمة، إذ يفرغ مصطلحات في ضوء الوسائط، ويقسم الكتابة على ضوئها، فيقول: 'مضى كانت الكتابة عرضية على ما عرفت كان اطلاق اسم التعريض عليها منسباً، وإذا لم تكن كذلك فمران كانت ذات مسالة بينها وبين المكتنى عنه متباعدة لتوسط لوازمتكما في كثير الرماد وأشباهه كان اطلاق اسم التلويح عليها منسباً لأن التلويح هو أن تشير إلى غيرك عن بعد وإن كانت ذات مسالة قريبة مع نوع من الحفاء كنحو عرض الفغا وعرض الوسادة كان اطلاق اسم الرمز عليها منسباً، لأن الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الحفية، وإن كانت لا مع نوع الحفاء كان اطلاق اسم الابهام والإشارة عليها منسباً'⁽²⁾

وهذه المصطلحات التي ذكرها السكائي من (تعريض وتلويح ورمز وإبهام وإشارة) قد تبناها البلاغيون بعده في دراستهم للكتابة، ومن ثم حددوا قوتها أو ضعفها، فقد استندت إلى معيار تابع من رؤية بلاغية تحدد بوضوح الصورة الكتابية وظلغتها في التعبير غير المباشر عن الداعي.

وفي ضوء هذا الاستمرار في التبريزي لفهوم الكتابة عند البلاغيين القدماء والمتأخرين يمكن استنتاج خلاصة والمية لمخط يصر فيها وأقوالها، ويمكن بواسطتها دراسة الكتابة القرآنية بوصفها أسلوباً من أساليبه المتميزة لها خصائصها الفنية في التعبير والتصوير والتأثير. ثبتت الخلاصة تعريف الكتابة عند البلاغيين للتأخرى بأنه: 'لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حيثما'.

وفي التطور المعاصر هي لفظ أو صورة مذكورة على سبيل الجاز بدجلة عن أخرى مخلوقة، وهذه الصورة تعبر عن المعنى للأفراد بطريق الحقيقة والسنخ للملك أن الأولى لازمة لتحقيق الثانية، أي هي 'ضرب من القول، عن لفظ يقرر معناه حقيقةً وصراحةً والإتيان بنفسه

(1) الكتابة أساليبها وبراقعها في الشعر الجاهلي، ص 113

(2) مخاض المعرف، ص 194

أمر يوحي هذا المعنى في شيء من التأويل على أن تكون هناك علاقة لازمة بين الظاهر وبين ما يرمي إليه، لذلك فإن هذه العملية اللغوية تنتج لنا صورة بديلة لازمة لما عطل عنه وترك إلى سواه⁽¹⁾ ومثال ذلك قولهم: "طويل التجار" و"كثير الرماح" و"مؤرم الصبي" هي صور كتابية بديلة عن الرجل طويل القامة، وعن الرجل الكريم، وعن المرأة الثرة التي لما من يخدمها. ولما فرق بين الصورة الكتابية وبين ما عطل عنه من معانٍ حقيقية، فالصورة الكتابية هي تصوير للمعنى لا تلحقه في اللفظ الذي عطل عنه ففكرنا (هذا رجل كريم) هو تعبير مباشر من غير تصوير في، أما إذا عدلنا عن هذا اللفظ وقلنا "كثير الرماح" رسمنا صورة حسية متشابهة لصحة ذلك الرجل يصل فيها المعنى إلى التثني بتجسيد يتخضع للمقابلة ويتخفى من ثم إلى التوكيد وقوة التأثير، وهذا للمحيط الذي في الكتابة قد حيز عنه حد الظاهر الجرجلي بقوله "أما الكتابة لأن السبب في أن كان للاتيات بها مرة لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم - إذا رجع إلى نفسه - أن آيات الصفة باثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاعده في وجودها، أكد وأبلغ في الشدوه من أن نهي إليها فثبتها هكذا ساذجاً غفلاً، وذلك أنك لا تحمي شاعده الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف ومثبت لا يشك فيه ولا يظن بالخبر التجوز والخط⁽²⁾ ومثاله أيضاً قول - تعالى - ﴿وَلَا تُحْسِنُ وَتَلْمِزْهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ وَلَا تَعْصَبْ لَآلِئِهِ عَلَىٰ الدِّينِ﴾⁽³⁾ فالآية الكريمة تنهى عن صفتين لمعومتين هما البخل والتلذير وقد عدل التعبير القرآني عن صفة (البخل) إلى التصوير الكتابي المعنى ﴿وَلَا تُحْسِنُ وَتَلْمِزْهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ﴾، نرى فيه البخل ولد هذا فراحه متجهماً وكفّه مقبوضة في صورة عسرة تملأها العين وتحتسبها الوجدان فهو مفلول اليد قد شئت إلى عتله لا يسر منه عمل يتضح به، ولا ينهى بمهمة بعيد منها الآخرون. فالصورة الكتابية بديلة عن حقيقة لازمة لصفة البخل، فهي صفة تنفر الناس منه إساء يرونه عليه حياءً ويمسونه فيه مشاهدتاً

وعدل التعبير القرآني كذلك عن صفة (الاسراف) إلى الصورة الكتابية البديلة ﴿وَلَا تُسْرِفْ﴾ فالإسراف الباذخ يسطر عليه غاية البسط ويلجأ على بسطها في عناء

(1) بناء الصورة الفنية في البيان العربي، د. كامل حسن الصبي، ص 328

(2) دلائل الإحسان، ص 110-111

(3) سورة الإسراء، من الآية 29

وعنه، فهو يُصورُ للناس في هذه الصورة البنيوية واقع أسره، واللازم لهذا الواقع، معيهم
للتفكير أنه بهذا يصرّ نفسه، علم الإبقاء على شيء يغمه ويخفي سوله⁴³
وبذلك يتجلى الصق في التعبير عن الأفكار والمعاني بين الأسلوب الكتابي لمصور
لروحى بطريق إثارة الخواص واللمن والمخيلة وبين التعبير الحقيقي المباشر الذي عدل عنه
القرآن، وهذا وجه من وجوه إيجاز القرآن الكريم
ونظر البلاغيون في طبيعة (لكنى عنه) الذي يتوارى خلف سجع الكتابة فجعلوه
ثلاثة أضرب وتبعاً لذلك قسموا الكتابة إلى أنواع هي: الكتابة عن الصفة، والكتابة عن
للموصوف، والكتابة عن القضية⁴⁴
كما نظروا في السياق والوساطة التي توصلنا إلى الكنى عنه، فبنوا على ذلك خمسة
أضرب هي: التعريض والتلويح والإيهام والإشارة والرمز⁴⁵
وكل ما ذكره من هذه الأضرب هي صور بدئية لازمة للمعنى المقصود بتعبير الواحد
من الآخر بسمة لغوية وفنية في التعبير عن الأفكار والمعاني بعبارة وقوة تأثير في المتلقي⁴⁶
فالتعريض هو ضرب من الكتابة، ويعتمد إدراك مفهومه على السياق، لك فإن مدلوله
عني مستر يهتدي إليه القاري ويكتشفه من خلال ظرف القول ومناصبه وما إلهما من قرآن
لا ينشأ بها البناء اللغوي مباشرة وإنما تنهادى في حديث تاريخي ومبدعة اجتماعي وهادى
شخصي، ومع ذلك كله ينبغي أن تتوفر هذه العناصر لتتألف منسجماً يتصلب من المراد من
التعريض⁴⁷، وقد ورد (التعريض) في القرآن الكريم بكثرة ملحوظة تكشف أمثله القرآنية عن
طبيعته بوصفه ضرباً من ضروب الكتابة
أما التلويح فهو في اللغة أن تشير إلى غيرك من بعد⁴⁸ وفي الاصطلاح هو الكتابة التي
بينها وبين المعنى المكتنى عنه مسافة متباعدة وذلك بسبب كثرة الوساطة التي تتوسط بين اللفظ
الكتابي وبين المعنى المكتنى عنه المقصود⁴⁹

(1) ينظر بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص 310.

(2) ينظر: مفاتيح العلوم، ص 198 وما بعدها وينظر الإيضاح، 2 / 457.

(3) ينظر مفاتيح العلوم، ص 190 وينظر الإيضاح، 2 / 466.

(4) ينظر بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص 329.

(5) بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص 332، 331.

(6) ينظر: لسان العرب: 2 / 386 (لوح).

(7) ينظر الإيضاح، 2 / 466 وينظر البلاغة والتعليق، ص 375.

وأما الإشارة والإيماء فهما لفظان مترادفان يلتقيان لغةً في أن تشير إلى قرب منك إشارة واضحة⁽¹⁾ وفي الاصطلاح هما الكتابة التي غلّست ومساثلها مع وضوح الكنتى عنه الذي تقضي إليه⁽²⁾

أما الرمز فهو في اللغة أن تشير إلى قريب منك بنحو شفه أو حاجب⁽³⁾ وقيل أصل الرمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم، ثم استعمل حتى صار الإشارة وقال العمراء الرمز بالشتين خاصة⁽⁴⁾ وقال ابن منظور: الرمز تصويت خفي، باللسان كالتمس، ويكون بنحو منك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إيانة صوت، وإما هو إشارة بالشتين⁽⁵⁾

فالرمز في لغة العرب على وجه الأجمال هو الاشارة، وفي كلامهم ما يدل على أن الإشارة أو الرمز طريق من طرق الدلالة، لقد تصحب للكلام فتساعده على البيان والامصاح، لأن حسن الإشارة باليد أو الرأس من تمام حسن الياء كما يقول الجاحظ⁽⁶⁾ أو تنوب الاشارة عن الكلام فتستقل هي بالدلالة، أو أن الانسان يلجأ إلى الإشارة حين العجز عن الكلام كالذي جعله الله آية لتركيا الله على ما بشره به من الولد لما دعا لله - تعالى - أن يجعل له آية على ذلك ﴿كَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾⁽⁷⁾ كَانَتْ آيَةً لَكَ بِمَا كُنْتَ تَعْمَلُ

وبالجاحظ لول لعب عربي أخطأ في الكلام على الاشارة، وجعل الإشارة ضرورية للتعبير، لكنه لم يبلغ فيها⁽⁸⁾ وتلغز دالة الإشارة بما يأتي - إنها سريعة لفهم.

- غير مباشرة أي لا تفصح عن دلالتها المصاحاً مباشراً، لأن الدلالة المباشرة تكون بطريق الألفاظ بحسب ما تكل عليه من معانيها القنوية للوضعية

(1) ينظر: لسان العرب، 1 / 281 (دوماً) و، 4 / 436، 437 (دور).

(2) حناح الطرم، ص 194، الإيضاح، 2 / 467، والبالغة والطين، ص 377.

(3) ينظر: لسان العرب، ص 1278 (رمز)، الإيضاح، 2 / 466.

(4) المصنف، 1 / 386.

(5) لسان العرب، 5 / 356 (رسم).

(6) البيان والتبيين، 1 / 78 وينظر قرمزية في الأدب العربي، د. هوش الجندى، ص 41-44.

(7) سورة آل عمران، من الآية 41 وينظر القرمزية في الأدب العربي، ص 42.

(8) ينظر البيان والتبيين، 1 / 69، 70، 71، 78.

.. أن تكون غنيك والخفاء هو نتيجة الخاصيتين السابقتين، فهي لسرعتها وتقصيرها لا ينهضها إلا القنطس الذي يكون دونه مهياً لها، كما أن الدلالة غير المباشرة بطبيعتها هي أقل وضوحاً من الدلالة التصريحية للمباشرة⁴³.

أما في الاصطلاح فقد أطلق البلاغيون للتأخرون (الرمز) على الكتابة الزامرة وهي التي قُلت وساطعتها إلى لكس من مع خفاء⁴⁴ وقد تناول البلاغيون أمثلة من النعائير العربية للورقة شواهد عليها، منها قولهم: (عرض الفناء) كتابة عن البلاء⁴⁵ فإن لزوم البلاء لعرض الفناء لا يمر به إلا القليل من ذلك قولهم: عرضي الوساعة ليتقل منه إلى عرض الفناء ثم إلى البلاء، قالوا بسطة بين الكتابة وما ترمز إليه شيء واحد، ولكنه لازم عطي⁴⁶ وسعد قولهم: (ألمس الجلد) كتابة عن الذي لم يُلحس بهار ولم تصبه مثابة حيث كان يقال للرجل الذي لا يلمس به دم هو ألمس الجلد⁴⁷.

فالكتابة الزامرة عند هؤلاء البلاغيين قد استوت تصبيراً لغوياً، لا يصير لتجديدها معناها ومداولها كما لو كانت بناءً لغوياً متمولفاً عليه في تنكوكه والمداول به عن اللفظ، المباشرة الصريح⁴⁸ وحتى الشعراء الذي استقدموها أداة في التعبير والتصوير على الرغم من مخالفتها لقانوناً قوياً بل نحن لنتلقى فيما تشير إليه من معانٍ والكلام ولا نجهد في خطائها وطبوعها، وما مثل به البلاغيون للرمز قول أحد القدماء يصف امرأة قُتل زوجها وميتت:

عَفَلْتُ لَهَا عَنْ زَوْجِهَا حَذَّ الْحَصَى مَسَّحَ لَوْ مَسَّحَ جَنَحُ نَلْ أَمِيلِر
يريد أني لم أحطها عقلأ ولا فؤادأ بزواجها، إلا الحصى الذي يدهوها إلى حد الحصى وأصله من قول امرئ القيس:

ظَلَلْتُ وَدَائِي فَنَوَقَ رَأْسِي قَاعَهُ أَعَدَ الْحَصَى مَا تَقْصِي هَبْرَانِي⁴⁹

(1) ينظر: القرطبي في الأدب العربي، ص 43.

(2) ينظر: منابع العلوم، ص 194 وينظر: الأضاح، 2 / 466، والبلاغة والخطيب، ص 376.

(3) ينظر: منابع العلوم، ص 190، وينظر: الأضاح، 2 / 438.

(4) ينظر: منابع العلوم، ص 190.

(5) بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص 333.

(6) ينظر: بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص 334.

(7) التمهيد، 1 / 305. وينظر: البلاغة والخطيب، ص 376.

لشاعر في حالة نفسية من التلقين والغم والحزن، وقد رمز لحالته النفسية بوضع الرءاء على الرأس، وعذ الخصى، وسيلان العبرات وهي بديلة عن عبارات صريحة مثل (أنا حزين لأشغل نفسي فلا أعجز مشاغلي فما أتفكك أبكي). فما استعمله الشاعر من كتابات ورموز علانهم من جعلها قافية قريبة إلى التلقين فيما ترمز إليه لا يتبعه في الإغراب ولا يضل عن المقصود، وبهذا القوم أصبح الرمز من الكتابات الفنية بما فيها من طاعة إيمانية قد تقرر بتأوها على وفق من العربية وما جرى به مجراها الاجتماعي الفني⁽¹⁾.

وأجلى خصائص الكتابة لرموز الإيجاز وغير الباصرة في التعبير عن المعنى، وبسبب هاتين الخاصيتين يلتصق الحياء والعموض. والإيجاز وغير الباصرة هما الدعاءتان الأساسيتان للرمزية في الأدب العربي⁽²⁾. فالإيجاز يزيد في دلالة الكلام من طريق الإيجاز، لأنه يترك على أطراف المعاني ظلالاً غنية يشغل بها ذهن، ويعمل فيها الخيال، حين تبرز وتتلون وتسمع، تشعب إلى معانٍ أخرى، يستلها اللغز بالوضوح أو التأويل⁽³⁾. وأما غير الباصرة في التعبير - الدعاءة الثالثة للرمزية العربية - فهي من خواص اللغة الأدبية بوجه عام ومعنى هذه الخاصية: الخروج على أوضاع اللغة، فصلا من تشبه، أو لأية علاقة من التجوز⁽⁴⁾. وقد سلك الأدب العربي إلى غير الباصرة في التعبير مسلك خلقه أهمها: الكتابة والجزء، يقول عبد القاهر الجرجاني في "نص في القلق" يطلق ولقد غير طاعره⁽⁵⁾، اعلم أن هذا المغرب اتساعاً وتفتناً لا إلى غاية، إلا أنه على اتساعه يندرج في الأمر الأهم على شيئين "الكتابة والجزء"⁽⁶⁾.

والعموض الباشية من هذين الخاصيتين هو عموض مستحسن ما دام سببه دقة الفكرة وعصفها، ويضع عبد القاهر الجرجاني استحسنه لهذا العموض الفني إلى طبيعة تسمية ليلول: من التركيز في الطبع أن الشيء. إننا نيل بعد الطلب له كالأشياء إلى، ومعناه: الحين نحوه، كان تله أسلى، وبالميزة الأولى، فكان مرقعه من النفس أجلى وأقطع، وكانت به أغنى

(1) ينظر بناء الصورة الفنية في البيان العربي، ص 334.

(2) ينظر الرمزية في الأدب العربي، ص 68.

(3) مطلع من البلاغة، ص 99.

(4) ينظر: الرمزية في الأدب العربي، ص 35.

(5) الفل الإصباح، ص 105.

والشغف، وكذلك صرب لكل لكل ما لطف موقعه يبرد للقاء على القضا⁽¹⁾ أما العنوش
للفصل الذي يكون نتيجة تعقيد الأسلوب وسوء ترتيب الكلام فهو عنوش معلوم عند
البحراني، لأنه يكاد اللحن ليما لا طائل لحنه، وتقول عبد القاهر: "وللعقد من الشعر والكلام لم
يلزم لأنه مما تقع حاجة فيه إلى الفكر على الجسلة، بل لأن صاحبه يمشر فكره في متصرفه،
ويشرك إلى المسمى، ويعبر عليك نحوه بل ربما قسم فكره، وشعب فكره، حتى لا تدري من
أين تتوصل وكيف تطلب⁽²⁾".

لأن أصل في جمال العنوش في التعبير الأدبي عند العرب أن يكون مصدر طائفة إيجابية
يترك على أطراف لغاتي خلافاً عظيمة تمتص للمنى وتلونه وتوسعه لا أن يكون معلقاً بفن
أمامه القارئ حائراً دويشاً - فلا جمال ولا فس -⁽³⁾ ومن ثم يمكن أن يلتقي مفهوم الرمز في
للحلب الرمزي الغربي مع مفهوم الرمز في الأدب العربي في عدد من الخصائص الفنية،
فكلاهما إيجابي، فهو مره لا يكتفي بتصوير الأشياء المادية، بل يسعى إلى نقل تأثيرها في النفس
بعد أن ينفذها الحس، ولهذا الشاعر الرمزي الوصول إلى خلق حالة نفسية معينة في جو
التصيلة.

ولما كانت اللغة المادية، التي لا تتعدى الشيء المحسوس عاجزة عن نقل الحالات النفسية
الغامضة، لجأ الشاعر إلى الرمز إما فيه من طائفة إيجابية في التعبير عنها⁽⁴⁾ فالرمز هو استحضار
لتجربة شعورية، يقول النقاد كيثيت بيرك: "إن الرمز هو المقابل للتنظي للتجربة الإنسانية
المباشرة، ولذلك فهو يتميز بالقوة والحياة والتلقين والتعبير، ولا يمتص التعبيد صحوية إدراكه
ولكنه يعني تعدد الأبعاد والجوانب، وهذا يمكن الرمز من أن يبرز الخط الرئيسي في العمل
الأدبي، ويغيد من أفاقه به⁽⁵⁾، وأحياناً يكون الرمز مثابة تنصيص للمواقف والاحساسات التي
أقربها العمل الأدبي فاعسل القارئ، وأحياناً تعبرى بقوم الرمز ذاته بإشارة المواقف

(1) أسرار البلاغة، ص 188

(2) المصدر نفسه، ص 125، 126.

(3) ينظر الرمزية في الأدب العربي، ص 66

(4) ينظر الرمزية والأدب العربي الحديث، الطوفان كرم، ص 12. وينظر الأدب العربي، حسري
بهر، ترجمان حسري وطبيب، ص 10 - 11. وينظر الرمزية والفروغية في الشعر البشري،
أمة حسان، ص 28، 28.

(5) الظلم الأدبي من الكلاسيكية إلى الحديثة، ميل راجب، ص 110.

والاحساسات الراسخة داخله، وهكذا تتعدد وظائف الرمز بتعدد واختلاف المعنوس الواردة بها³¹، وهو في كلّ يقوم بوظيفة حضورية في العمل الأدبي.

أما إذا أصبح الرمز وسيلة تعقيد وغموض شديدين كما هو طابع الرمز عند الفريين - على الأعم الأقرب - وهو من للأغل التي أعطها النقاد عليها³²، ولأنها تقترب بذلك من مفهوم الرمز العربي في التعبير الأدبي عند العرب بوصفه طائفة إيجالية في التعبير والتصور وثمة ما أخذ كتيرة أعطها النقاد على الرمز من إسرانهم في هذا الشعر صرياً من اللوسفي الخالص³³، ونزعتهم الذاتية المرسلة في تبين آرائهم في الحقائق النفسية والكونية، واعتمادهم الأحلام والروى للوصول إلى أصناف النفس، فباعت صورهم الشعرية غريبة غامضة يصر على القارئ إدراكها³⁴ وفهمها. هو ما يلاحظ في الرمزية الغربية وما يكتفي على شاكلتها في الأدب العربي الحديث حيث نزع أصحابها إلى تقليد الغرب³⁵، ويمكن القول على وجه الإجمال أن الرمزية الغربية في جللتها ملعب لتطواري ينجح إلى الأثرة ويميش في الظلام. ملعب يذو إلى معتزل المجتمع ويضن بالأدب أن يكون هادياً ومرشداً إلى الخير وأحق، ويصر من العقل والمنطق ويمنح إلى الخيال الشارد والوهم الذي لا سند له من التفكير المستقيم ويخلط بين اللوحات الحسية التي أراد لها أن تكون متميزة، فيجعل لكل ملوك حاسة وجعل الحواس حساً لا واحدة. وهو ملعب يطلب التتميل فليس يكون الشعر أبداً موسيقى خالصة، لأن الشعر مكوّن من كلمات، والكلمات مرتبطة بمعناها، ولا يمكن أن تتجرد من هذه اللساني لتصر نغمات خالصة كما تبين ذلك للرمزين الغربيين أنفسهم، فاعترفوا بمجموعهم من تعقيد هذا الملعب الجامع، كما لا يمكن كذلك أن يتصل الفنان الشاعر بعالم الجمال الأعلى من طريق شعره ولغته، يتعد من ذلك شاعريته ورغى ليصل إلى سر الوجود وهو مغمور في حياء الدنوس والرهابة، كما كان معظم أدباء الرمزية³⁶.

(1) المصدر نفسه، ص 116.

(2) ينظر: الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبني، ص 31.

(3) ينظر الخلاصة في سلاسل الأدب العربي، د. علي سواد الطاهر، ص 57. وينظر للسلاسل الأدبية من الكلاسيكية إلى الحديثة، ص 116.

(4) ينظر الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبني، ص 28.

(5) ينظر الرمزية والأدب العربي الحديث، تطوان عطاس كرم، ص 183.

(6) الرمزية في الأدب العربي، ص 542-543.

أما الرمزية في القرآن الكريم فلا بُدَّ من الالتفات بها إلى أنها عاجلة لأنها متصلة بموضوعها إجمالاً ولفظاً، فقد احتوى القرآن على صور تكلل بالرمزية العربية في أسس مظهرها وفي تكيلا ركبتها: الإيجار، وغيره للبشارة في التعبير⁽¹⁾ فالرمزية في القرآن في جللتها جارية بحرى الرمزية العربية ذات المعاني القسرة للخدمة التي تشتت من العبارة الموجزة والصور المجازية والكتابات وما إلى ذلك مما لا يحصر مباشرة من لفظي⁽²⁾

والصبر الرمزي في القرآن غنمه متناثراً في أغلب مسوره مما يحمل على إرادة الرمزية بمعناها الدقيق⁽³⁾ فهو يشمل الرمز وسيلة مهتمة من وسائل التعبير لفظي، دون تحريج أو تقييد أو لوم أو تعسف، بما يترك شعوراً غامضاً بالفضى أو أسس داخلية في الشاعر والمواطف، وإلما بمن النفس متناً ولفظاً، ويذهب المواطف مداحة عادفة⁽⁴⁾ من ذلك كتاباته الأدبية البهرية في كثير من مسوره، منها قوله - تعالى - في صفة المسيح عليه السلام: ﴿كَانَ الْمَسِيحُ آتِياً مَرْتَبَةً إِلَّا نَسِيتُ قَدْ خَلَقْتُ مِنْ نَسْرِ الْمَرْسَلِ وَكَانَ مِنْ نَسْرِ الْمَرْسَلِ وَكَانَ مِنْ نَسْرِ الْمَرْسَلِ وَكَانَ مِنْ نَسْرِ الْمَرْسَلِ﴾⁽⁵⁾ ناي أدب أسس من هذا الأدب الذي يمثل في الكتابة بأكل الطعام من العائط والبور، لأنهما بسبب منه إذ لا بد للآكل منهما⁽⁶⁾ وقوله - تعالى - في المهر: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾⁽⁷⁾ فكفى بالإفشاء من الإصاء، وقبل من المخلوء، والأول أصبح لأن العرب إنما تكفي مما يفتح ذكوره، والمخلوء لا يفتح ذكرها⁽⁸⁾

وغير ذلك من الكتابات القرآنية التي لولاها البلاغيون والتفاه العرب مناهة بالذكور وبيان المعاني التي تطوي لمجتها، كما عرضناها في هذا التمهيد، ولا بد من القول إن ما ذكره

(1) نفسه، ص 122

(2) الرمزية في الأدب العربي، ص 194

(3) أصول البيان العربي ودراسة بلاغية مطبوعه ص 122

(4) نفسه، ص 121

(5) سورة المائدة، من الآية 75

(6) ينظر البرهان في علوم القرآن: 2 / 304

(7) سورة النساء، من الآية 21

(8) ينظر البرهان في علوم القرآن: 2 / 311

البلاغيون والنقاد والمفسرون من الكتابات القرآنية كتابان مختلفان إذ يكون - على الأقل -
الأخلاق منهم ما ذكره السابق من شواهد الكتابة القرآنية، لذلك ظلت الكتابة القرآنية بحاجة إلى
استقصاء شامل في القرآن كله⁽¹⁾ استقصاء يجمعها على صعيد واحد يهتد لفهمها دراسة
موضوعية شاملة تبين خصائصها التصويرية والقصصية بوصفها أسلوباً من أساليب القرآن
البليغة المجهزة

(1) ينظر الأسلوب الكتابي: شفاء الطور، بلاغة - همدان السيد شبر، ص 57، 58.

الفصل الأول

الكناية الجنسية

الفصل الأول

الكتابة الجنسية

نقصد بالكتابة الجنسية الكتابة المعلقة على العلاقة الجنسية بين الزوج وزوجته بدرجة الأساس، إذ إن هناك نوعين من العلاقة الجنسية: العلاقة الجنسية للشريعة، وهي علاقة الزواج بالطريق المشروع الذي أحله الله ﷻ، وهي علاقة تحقق أمنها ومنها الحفاظ على كيان المجتمع الإنساني من الفساق والتفكك والفساد، أما النوع الثاني: العلاقة الجنسية غير المشروعة بطريق القومس والإجلاس والضمخ في الخلق، فهي العلاقة التي حرّمها الله وحرّمها الشرائع والقوانين⁽¹⁾.

ولقد حذر القرآن الكريم من هذين النوعين من العلاقة الجنسية بالأسلوب الكتابي الوحي، وبخاصة من الفعل الجنسي بين الزوج وزوجته، إذ لا يصرح بهذا الفعل في القرآن كله⁽²⁾، وإنما يكتفي به بالقاطع تدل عليه، فهو مرة يكتفي به بـ (الامساك واللمس والقبض) والفرج والافشاء والدخول والإتيان والباشرة والركب والتمتع والاحتكاك واللباس والمجرى في المصاحب والسر (في الحياة الدنيا، مرة يكتفي به بـ (الطعم والفرش المرفوعة) في الجنة في الحياة الآخرة.

وإذ لا يصرح القرآن بالفعل الجنسي ذاته يعتمد باستبدال ألفاظ قبيحة فاحشة بالفاظ حسنة في التعبير عن المعنى للتصوير، وذلك يجعل البعد التهديبي الذي تنطوي عليه الكتابة القرآنية الجنسية، فهي تنامي وترفع عن التصريح بالافشاء للفضيحة التي تحدث الشعور ومحط من اللزق الجمالي، وبذلك تبث الكتابة القرآنية جواً نفسياً إيجابياً خاصاً عند التلصص لها يختلف عما تبثه بالدلالة التي يؤديها التعبير المباشر.

(1) ينظر العلاقات الجنسية غير الشرعية ومقوماتها في الشريعة والقانون، د. عبد الملك السعدي، القسم الأول، ص 34.

(2) أما الفعل الجنسي بالطريق غير المشروع كالزنا، فإن القرآن يصرح به أحياناً كما سيأتي به.

وقد أشار البلاطون القداسي إلى هذا الجهد التهديفي في دراساتهم للكتابة، من ذلك ما ذهب إليه الجبريد بقوله "من الكتابة - وذلك أحسنها - الرغبة من اللغز الحسني للتحقق إلى ما يدل على معناه من غيره"¹³³.

فالجهد التهديفي التزويدي هدفه من أهداف الكتابة القرآنية، ويصلي هذا الهدف بخاصة مع الكتابة الجنسية في التعبير عن العلاقة بين الزوجين، فيرتفع بهذه العلاقة إلى أفق كرم يساي بها من الصورة الحيوانية الغليظة، ومن مجموع إجماعات الكتابة القرآنية الجنسية نلخص إجماعاً للإنسان بالصورة الإنسانية في المباشرة والاعتناء.

ولفصلاً عن هذا الجهد التهديفي التزويدي فإن الكتابة القرآنية الجنسية تحقق كذلك إجماعات فنية تتجسم مع السياق الذي تشكل فيه لا ملمحها في التعبير الصريح الفاحش، وذلك لأن الكتابة وميله حيوية في التعبير، لكونها من الأساليب الإيحائية، فهي لا تدل على المعنى في صورة مباشرة، وإنما يحمل اللحن فيها والحيل في الوقوف على المعنى المقصود.

والقرآن يختار الكتابة اختياراً دقيقاً في التعبير عن المعنى المراد، إذ إن "كل كلمة في القرآن موضوعة في موضعها الثلاث بها"¹³⁴ تؤدي معانها، وتلحق في سياقها إجماعاً معروفاً ونفسية وجالية.

(1) التكميل 2 / 191، ويتناول مثلاً: قريشان في وجهه قبيان، ليس ذهب من 133 وسر الصفحات من 133 136. ويوضح القرآني ليس ليس الأصح للصوري، من 23 واليهان في قبيان، للطي، من 214.

(2) تفسير لسان، عهد مجلة 2 / 12. ويتناول من ثلاثة القرآن، أحمد بدر، من 57
(3) لا يميز القرآن بلفظ (لغة) إلا اعتماداً يكون هناك عام للتعبير بهذا اللفظ الصريح كسياق يعني بطلب التعبير المباشر كقولهم صلل - ﴿وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ بِدِينِكَ كَانَ عَيْشُكَ رِجْلاً﴾ (سورة الإسراء الآية 12)، وهذا التعبير المباشر دليل على التعبير الكتابي من قرآنه فيه، فهو يميز به بالتعبير التكملي، ﴿لَنْ يَكُونَ دِينُكَ دِينَهُ فَتَقُولُ مَعَ الْكُفَّارِ﴾ (سورة المؤمن، الآية 7) و (سورة القصص الآية 31) والفاصلة في هذا موضع. (سورة النساء، الآية 15، 19، 22، 25) و (سورة النور، الآية 19) و (سورة الأعراف، الآية 30) و (سورة البقرة، الآية 1، 4)، والفاصلة في موضع واحد (سورة النساء، الآية 12) و (سورة النور) في عدة مواضع من (سورة يوسف، الآية 23، 26، 30، 32، 34، 35).

أما (اللوحة) فلم يرد بلفظه، بل تكفى عنه بالفاحشة، ينظر (سورة الأعراف، الآية 80) و (سورة النمل، الآية 54) و (سورة التكاثر، الآية 28) و تكفى عنه بالمرادة في (سورة النمل، الآية 37) و (الأنبياء في (سورة النساء، الآية 16) و (سورة الأعراف، الآية 80) و (سورة

كما أننا نلاحظ على هذا اللون من الكتابة الجنسية في القرآن (التطوين والصدور)، إذ يستعمل القرآن أكثر من سبع عشرة مادة لغوية كناية في التعبير عن الجنس المكتنى عنه (الجماع) بين الزوج وزوجه، وفي كل كلمة نلاحظ إيجاداً جديداً في سياقها فهي كلها مشتركة في التعبير عن الجنس المكتنى عنه الرئيس (الجماع)، وتفتقر عما توسي به من إيماءات لتسجم مع السياق الذي تكون فيه وتتنق، وفضلاً عن ذلك فإن هذا التعدد في الكتابة الجنسية وهذه الكثرة الملحوظة - فيما نرى - تنطوي على دلالة موحية خاصة إذا ما قورنت بما ورد في القرآن من المادة صريحة تلك على الفاحشة كـ (الزنا والفرأط)²⁰ التي تقبل قلة ملحوظة إزاء الكتابات الجنسية المشروعة بين الزوجين، ويحتل هذه الدلالة في البحث على تعيين النطق بها والتداول بها في المجتمع، لأن تداولها يجعل على إزالة التحرج من ارتكاب الفاحشة، فتشيع في النفوس، لتشيع بعد ذلك في المجتمع فهو بعد اجتماعي مرتبط بالبعد التهديي، وهذا من أهداف القرآن الذي يحارب الفاحشة أن تشيع في الواقع لأنها لا تلي القنطرة السليمة، وتعمل على فساد المجتمع وتهدده، على خلاف التمايز الكتابية للبعد عن العلاقة الجنسية بين الزوجين ولتوافق القنطرة الانسانية، إذ يرتفع القرآن بعلاقة الزوجين والتفاهتها عن المستوى الجبروتي، ويقيم العلاقة الجنسية بينهما على أساس من المشاعر الانسانية الكريمة، التي تجعل من اللقاء جسدياً اللقاء إنسانياً نفساً وروحاً، توجه به طائفة الزوجين في هذا الالتقاء وجهة بناء في المجتمع شأنيهاً مستأنف الحياة بالإنجاب عنصر الحياة الفعالة وهو الإنسان.

وسمعت إلى توزيع الكتابات الجنسية إلى مواقعها القنطرة المتحركة في سياقاتها التي جاءت فيها، ثم نظرت في وظيفة الكتابة في التعبير بوصفها أسلوباً إيحائياً غير مباشر يثير سوزج التأمل ويؤدي للمنى غير أمان.

المن، الآية 54؛ و (سورة المتكوير، الآية 28) ويجعل (الطوايط) من جملة الأعمال الخبيثة، فقال في حق ثوبه لوط: ﴿كَانَتْ سَكَنًا لِّلْكَاثِبِ﴾ (سورة الأنبياء، الآية 74).
فيمضي بذلك البعد التهديي الذي يحرص عليه القرآن فترية الأمانة والنفوس، وفضلاً مما ذكرناه، يظهر الآيات الأربعة التي أخرجت كتابات ثوبات بعد تهديي (سورة النساء، الآيات 19، 20، 21) و (سورة الأنعام، الآية: 28) و (سورة النور، الآية 26) و (سورة لقمان، الآية 72) و (سورة القصص، الآية 55) و (سورة فصلت، الآيات 20، 21، 22).

說

الحقيقي والمضى المكتنى عنه - من التزام والارتباط، وهذا هو الارتباط عند البلاغيين⁽⁴⁶⁾ فالتابع هو ﴿الزَّكَاةَ﴾ بمعناه الحقيقي وهو المكتنى به، والمتبوع هو (الجماع) وهو المكتنى عنه المقصود، وما تحقق المقصود من قرب، والقرب هو الانتقال إلى المطلوب بسهولة ويسر تسمى الكتابة عندئذ قريبة وافضة⁽⁴⁷⁾. ولقرب كناية الرث وتوضوحها قيل بأنها حقيقة فيما تشير إليه من معناها الحقيقي ولي إطلاقها على الجماع⁽⁴⁸⁾.

ولما كانت الكتابة في سياق عبادة الصيام، فقد عبرت عن جو عبادة الصيام في صورة بغير التعبير عنه غير هذا الكتابة، لأن اختيارها كان لقصد جمع المعين الصحيح والكثافي⁽⁴⁹⁾ لا الاختصار على المعنى المكتنى عنه حسب، وبهذا الجمع بين للمعنى توحى الكتابة بإيماء يتسق مع عبادة الصيام إنساناً فياً ملموحاً، إذ يقلل للمعنى الحقيقي الصريح بظلال السياق معناه، وهو من دلالات الصيام، فإذا كان شراً في أثناء الصيام بين الزوج ووجته بهراً، فإنه شاح ليلاً، وبذلك تكون الكتابة موحية بما يصاحب المكتنى عنه من قول يلامره وشعور يرتفع بالفضل الجنسي لأنه من شؤون الالتئام بين الزوجين بما يلقى بهما برصغهما انسانين، وتراشع من كتابة الرث وتصل بها وتعمق معناها الإنساني الكتابة للفترة الأخرى ﴿يَا أَيُّهَا﴾ ﴿مَنْ يَكُنْ﴾ ﴿لَكُمْ وَأَنْتُمْ يَوْمَ كُنْ﴾ القائمة في بنيتها على الاستعارة التصريفية⁽⁵⁰⁾ حيث استعار (اللباس) للزوجين بجامع شدة الاتصال بينهما فاللباس من معاني التغطية والستر، فالمراد هو "قرب بعضهم من بعض واختصاص بعضهم على بعض كما تشمل الملابس على الأجسام"⁽⁵¹⁾ وبهذا

(46) وهو أن يريد دلالة على معنى من المعاني، فلا تأتي باللفظ فقال على ذلك المصنف، بل يلفظ بهذا على معنى هو دونه ويضع له، فليكن ذلك على التابع أحياناً عن التعبير. ينظر عند الشعر، ص 157 وسنبة الخافرة، 1 / 155 وكتاب الصناعات، ص 359. والموسم القصير، لابن أبي الأصبغ القرطبي، ص 207.

(1) ينظر: صفائح المطوط، ص 190

(2) ينظر: قصير القصير والقصير، 2 / 184 الكتاب الأول.

(3) ينظر: قصير القصير والقصير، 2 / 184 الكتاب الأول.

(4) الاستعارة التصريفية هي الاستعارة التي يكثر فيها (الشيء به) الذي هو (الاستعارة منه) صريحاً، ويطلق (الشيء) الذي هو (المستعار له). ينظر: صفائح المطوط، ص 174

(4) تلخيص البيان في عبارات القرآن، للشريف الرضي، ص 12 وينظر للتصنيف من كتابات الأديباء وإشارات البلاغة للمرجاني، ص 7، 18

المعنى الذي أشارت إليه الاستعارة تتجلى وحة الله وعنايته برفق العنت والمشقة بتحليل الرفت
إليه في الليل، لأن الأمساك من قربان النساء في الليل عنت ومشقة لأنه وقت لا يستطيع
على خلاف الأمساك نهنؤ في النهار لإمكان الاستعانة عليه في النهار بالبعد عن نزاله⁽¹⁾ ففي
تحليل الرفت وقاية من تعاطي الفحيح، قال الراجبي: "لبس الثوب استتر به وجعل اللباس
لكل ما يخطئ من الإنسان من فحيح، فجعل الزوج لزوجته لباساً من حيث أنه يمنعها ويصونها
من تعاطي فحيح"⁽²⁾ سواء أكان المقصود بالفحيح ما وجد منهم قبل الزيادة، أو غير ذلك من
منكر أو غيبة، ولذلك تلوح الغلاظة في الاستعارة بين الزوجين بالمعنى للكنى عنه المقصود وهو
'الجماع'⁽³⁾ وبه يتحقق معنى من الزوج الزوجة، والزوجة الزوج، لكلاهما يستر الآخر، كما
دلّ اشتراكهما بمسبة به واحد ﴿يَكُنْ﴾، وليتعمق ذلك اللمع الأسامي في التصاميم، إذ يفسد
الزوجان وكلاهما حالة واحدة، جسداً ونفساً وروحاً، بل هما كذلك، صلة النفس بالنفس،
وهي صلة السكن، قال ابن عباس: 'من سكن لكم وأنتم سكنن لمن'⁽⁴⁾ وهي صلة السر
والشجر، إذ الكتابة دأب علمي تعبير كامل عن حقيقة الصلة التي يفرسها القرآن بين
الزوجين، وبهذه المعاني الإنسانية الكريمة التي أوحست بها كتابة ﴿يَكُنْ﴾ يشار الزوج
زوجته ﴿فَأَكُنْ بِرُوحَانٍ﴾ فكس بالباشرة عن الجماع إما فيه من اللطف البشري⁽⁵⁾ وفيها
إيمانان يتجهان مع السياق.

(1) ينظر: تفسير الصمير والفتور 2 / 182، الكتاب الأول.

(2) الترمذ، ص 694.

(3) البرهان في علوم القرآن 2 / 384 وينظر: التلوي اللغوي في الأسلوب القرآني، صبي أحمد

عالم، ص 424

(4) تفسير القرآن العظيم 1 / 209 وينظر: حقايق التفسير، محمد علي الصابري 1 / 112

(5) البرهان في علوم القرآن 2 / 303 وينظر: التلوي اللغوي في الأسلوب القرآني، ص 424.

(6) كان الناس في رمضان إذا جاء الرجل فإس نام حرّم عليه الطعام والخمر والنساء حتى ينظر في

الند، فنزل الله ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَذَّةٌ مِنَ الْمَرْغُومَاتِ﴾ فرسوا بذلك فرحاً شديداً، ينظر

أسباب الفحور في أسباب الفحول، للسيوطي، يشار تفسير الجلالين ص 67 وما بعدها وينظر

تفسير القرآن العظيم 1 / 209.

... أن للبادة في الفعل المروج، أي اصطاف الفاعلية من خلال الأمر (بإشراء)، وهو أولى بالفاعلية، وهو أشد حاجة بالتكثير بالمعاني الإنسانية التي أوحى بها كتابة ﴿يَمْسُ﴾ فطره، ولقد على وقع هذه العلاقة الاتسائية إلى مستوى القداسة - الإجماع بإبادة العمل (لكنني عت) فلكي كان عرماً قبلًا فلك ⁽¹⁾

والكتابة المباشرة تنطوي على حكمة مدجنة لأنها تحقق العناية للرجوء، كما أناد الصميم الكتاني جلف ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا مَا حَصَّلَتْ لَكُمْ﴾ الذي يند في معناه القريب: طلب ما أياحه لله من مباشرة النساء في غير وقت المصام، أما معناه للكنى عت الجيد فهو (قولد) ⁽²⁾ الشرة لرجوء، فهي الكتابة تحرض الناس على مباشرة النساء حتى أن يتكون النسل من ذلك، وذلك لتكثير الأمة وبقاء النوع في الأرض ⁽³⁾

ثم تنهي الآية بالتقوى ﴿لَتَكْفُرَ يَكْفُرُونَ﴾ إذ التكثير بالله وتقواه تلحظه - على الأهم الأفلح - مع الكثافات الحسية، وهو مقصود إذ يعمل على إظهار الحالة الانسانية الكريمة للزوجين ويرزها في علاقتهما الجنسية لباي بها عن الطمع الخيواني البهيمي، ويعطيها بعداً إنسانياً يرفع هذه العلاقة إلى مستوى القداسة للتصلة بالله وتقواه

وتكرر الكتابة (الرفث) في سياق عبادة الخبيخ فوشي بمعناها بدلة مفصوفة، وذلك في قوله - لعل - ﴿الْمَنَعُ كُنْهَرُ مَمْلُوكَتِ كَمَنْ رَمَى بِرُوحٍ كَلْبٍ فَلَا رَقَدَ وَلَا شُوكَ وَلَا يَسْكُنُ فِي النَّجَى وَتَاخُذُكُمْ مِنْ حَمَرٍ بَسَلَةٍ لَقَدْ وَكَّرْتُمْ مَاءَ مَلَكٍ حَمَرٍ أَكْرَمَ لَقَدْ وَكَّرْتُمْ مَاءَ مَلَكٍ أَكْرَمَ﴾ ⁽⁴⁾ فالكثافة (الرفث) تنسق مع جو عبادة الخبيخ الذي يتجرد فيه العبد لله من كل أوهان الدنيا وأدواتها، والارتفاع على دراجتها، فهو رياضة روحية على التعلق بالله ﷻ دون سواه. ويصعد معنى التجرد الوصل بالوإو الذي جمع الجهد والقسوق بالرفث على صعيد واحد بصيغة النفسي التي يبراد منها النهي ﴿عَلَا رَمَتْ وَلَا شُوكَ وَلَا يَسْكُنُ فِي النَّجَى﴾ أي 'لا يرفث ولا يسق وهو أبلغ من النهي الصريح، لأنه يند أن هذا الأمر عما لا ينبغي أن يقع أصلاً، فإن ما كان متكرراً مستطباً في نفسه ففي أشهر الخبيخ يكون للخبث والخبث، لمي الاتيان

(1) ينظر الكثافة: 1 / 338

(2) ينظر حبر الصبر والفتور: 2 / 183، الكتاب الأول.

(3) سورة البقرة، الآية 197

والقرب إلى التصريح من قولهم: «خلا بها»⁽¹⁾ وهو انشاع مادي ومعوي ملحوظ في العلاقة الزوجية يهدف مسبقاً إلى إثباته والتذكير به في موضعه، لأن السياق سياق (طلاق) ورغبة من الزوجة

فالجملان هو للمنى الرئيس وهو للمنى للمنى عنه، فضلاً عما تحفظه الكتابة من إجماعات تتصل بصلة حيوية بين الزوجين يتحقق بها معنى للمباشرة الزوجية فلم التحق فيلبس كل منهما الآخر حتى كأنهما حقيقة واحدة⁽²⁾ لذلك فإن الكتابة «الفتح» تتطوي على وسائط متصلة بين المكنى به والمكنى عنه فتكون بذلك تلويحاً والطرح أن يُشار إلى المطلوب من هذه أي يتناول إلى المقصود عبر وسائط متعددة⁽³⁾ وفي الكتابة تمثل هذه الوسائط بسمة المباشرة الزوجية بينهما في كل صورها اللغوية منها والمعنوية كما نوحى الكتابة، إذ إن الفعل الكتابي «الفتح» مطلق في دلالة لم يتيده متحول محدد أي لا يفتق مقلوه عند حدود (الجنس) بل هو يشمل المواقف والمشاعر، والأسرار والمفرد، والتجارب في كل صورة من صور التجارب، فالكتابة على «لغاتها» نوحى بكثير من الصور لتلك الحياة المشتركة بين الزوجية أثناء الليل وأطراف النهار فيصاحل إلى جوانب هذه المعاني ذلك للمنى المادي، فيحصل الزوج أن يطلب بعض ما يلمح، وهو يستعرض في خياله، وفي جعله ذلك الحشد من الصور والتذكرات والمشاعر اللغوية في لحظة التفراق الأسف⁽⁴⁾

وفي الكتابة معانٍ أخرى نوحى بها، إذ فيها إجماع التحول من حالة إلى حالة يلمح بها القرآن الزوجين، التحول والانتقال من فردية الزوج - الرجل والمرأة - بالإفضاء إلى قضاء الأسرة الرحيب، أي التحول بالإفضاء من عالم الفرد للخلق على ذلك إلى عالم التواضع الأسري الذي هو قضاء إنساني يتجاوز فردية الإنسان ويسمى به حيث الطمأنينة والسكن والاستقرار، وفيه ينفي ما بداخله إلى روجه، فيلبس أحدهما الآخر إلى حد التوحد من أجل خلق كيان واحد جديد، فيلزم ما يكون الإفضاء انطلاقاً في النفس والروح والمشاعر هو توحيد بالزوج أيضاً وغايته بناء الأسرة التي تنعم بالاستقرار والطمأنينة ويملك لجملي الكتابة أهمية هذه العلاقة

(1) اقترابات - 374

(2) ينظر تفسير القرآن: 4 / 439

(3) ينظر ألبان في البيان، ص 213. وينظر الإيضاح 2 / 466

(4) ينظر في خلال التفريق: 2 / 287-288

الزوجة التي يخطبها الزوج إذا كان الإنهاء بكل مطالبه التي كتبتها ﴿يُكْتَفَى﴾ كما تجسمه الاستعارة للكنية ﴿يُكْتَفَى﴾ ⁽⁶⁾ تعليماً لشأنه وأمره، فهو "حق الصلح والصلابة" كما قيل: وأعلن به منكم شيئاً خليلاً: أي بإفشاء بعضكم إلى بعض، ووصفه بالغلق لقوته وعظمته ⁽⁷⁾ ويكون للمني مؤثراً لإحداث الاستجابة النفسية المرجوة في الزوج، وهي الامتناع من أخذ مال الزوجة للزواج منها.

ولا يفتى ما في الكتاب: **(الْقِسْ)** من معنى يرفع المرأة والعلاقات الزوجية إلى المستوى الإنساني الكريم، وللزوجة القيمة والأجل، ولها حقوق الرعاية حتى وهي مطلقاً
مُرهوب عنها

التفقي :

ورد الفعل ﴿تَقْلِبْهَا﴾ كتاباً من الجماع لي قول - تعالى :- ﴿قُرْآنٍ مُّحْكَمٍ مَّتَدُونٍ﴾^(٥)

﴿تَقْتُلُهَا﴾ كتابه دليلاً عن 'الجماع' ^(١) في موضعها، لقد حُثِرَتْ بإيجادها من جو
السياق الذي تشكلت فيه، فهي متجذرة في معناها ومعلقة بقروله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ لَدُنْهِ وَيَرْتُقِي
وَمَعَكُمْ وَمِنْ بَيْنِكُمْ يَرْسُلُ الْإِنْسَانُ﴾، فالزوجة مخلوقة من نفسه، فهي بعضي منه، وبذلك يتعلق
معنى السكن والحب والإناس على أبلغ وجه، قال الفرهني: ﴿يَرْسُلُ الْإِنْسَانُ﴾ ليطمنن إليها
ويهل ولا يفر، لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه أكر، وإذا كانت بعضاً منه كان السكون والحب
أبلغ، كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه حبه نفسه لكونه بقعة منه ^(٢)، والكاتب
﴿تَقْتُلُهَا﴾ تصعد هذه المعاني وتصورها، يقال: غشي غشاة وغشاه، أتاه أتان ما قد غشيه

(٥) الاستشارة المكتوبة هي الاستشارة التي يحصل فيها المشقة به (المستشار منه) ويرمز له بالآيات هي ثوابت للدلالة عليه يظهر محتاج الطلوع من 179 جواهر البلاغة في النسخة والبيان والبدع، أحمد الخاضعة من 385

- 514 JOURNAL OF DOCUMENTATION

- (2) صورة الأعراس، الألبوم 189

- (3) الإتيان في علوم القرآن: 3 / 144. وينظر: التكميل من كتابات الأعلام والشارات السنية، ص: 10.

- (4) الكشاف، 2/ 145.

أي ستره، والفتاوة ما يُعطى به الشيء⁽¹⁾، فهي تعيد ادخال كل واحد منهما في الآخر بلطف الممازجة وتشدّد اللابسة حتى يفسد الفعل الجنسي معها امتزاج طائفتين لا تغناء جسديته، وفي ذلك إيماء للانسان بالصورة الانسانية في الفعل، والفرقاها عن الصورة الحيوانية البهيمة، فضلاً عن تسهيل الكتابة دلياً مع جو السكس⁽²⁾ والمخلف من طس واحند.
فالكتابة رمز لأنها أشارت إلى المطلوب من قرب بظفاء، وسيت رمزاً للطلب الإشارة⁽³⁾ إلى المصود.

ومن وراء الدلالة الحسية تأتي صوّرتها الكتابة بين الزوج وزوجته التي يمكن إلهامها

نلاحظ

- السّر والندبة التي صوّرتها الكتابة بللابسة الحسية والاحتلاط بشير إلى السّر بالدلالة للصورة كذلك، إذ للمعنى للكس عت (الجساع) يلي حاجة النفس فطوره بإيهام بالكتابة المرحية بإثارة القامصة بين للتغشي والتغشي، وأن التغشي (الزوجة) تتبل لعل للتغشي بارتياع وأس وطمانية.

- لعل التغشي الكتابي فيه غطاء لطيف يتسجم والتصير عن للكس عت (الجساع) الذي يتم بظفاء وستر، وهو من لوازم اللجوء والطمانية والسكن.

- في الكتابة (تَغَشَّى) إيماء بالتعلل الجسدي الأول، فهو (غشاء البكارة) ويعزّز ذلك ويقره سياق الأيتوان هلم التغشي مرتبط ببنده وغايته، فهو ليس مجرد الشهوة (فَلَمَّا تَغَشَّيْهَا حَكَّتْ حَكًّا --) هو لعل انساني عذبة بقاء نوع الانسان والحياة.

ثم يظل الساق كتابة (التغشي) يدعاه الزوجين وتضرعهما له ربهما، مما يشعري صديها ذلك الطابع الإنساني المادني، وهو المعنى للضرورة حسب كل كتابة جنسية.

(1) لقرهنت، 451.

(2) ينظر في خلال التروك، 3 / 701.

(3) ينظر التبيان في البيان، ص 213.

عمارة للكنى عنه بعد تطهرهن، قال الراجز: "الأكيلان عجمي بسهولة"⁽¹⁾ وهي دلالة تسمية ملحوظة بعد تطهر الزوجة من الحيض على خلاف وهي حائض. وتعمق هذه الدلالة بتكرار كناية الايتان في السابق ﴿فَلَمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ متواضعة مع التشبيه البليغ ﴿وَنَزَلْنَاهُمْ مِنْكُمْ فَاكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ﴾ حيث شبه النساء وذلك لاستخدامه مع سياق الاخصاب والسبل. قال الزخشي: "شبههن بالخمار تشبيهاً إما يلقى في لوحاهن من القطف التي منها النسل بالبلور، ونوله: ﴿فَلَمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ تمثيل أي نالوهن كما تكثرن لراغبكم التي ترفقون أن تحرقها من أي جهة شتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة. والمعنى جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون انثى واحداً وهو موضع الحرق"⁽²⁾ قال ابن عباس: "لمن نابتك من حيث يبيت"⁽³⁾ وذلك لتحقيق المذهب الأصمى. حذف النسل لاستخدام الحياء، فكما أن الأرض موضع انبات الزرع الذي به بقاء الحياء والانسان كذلك النساء موضع انبات الذي فيه بقاء نوع الانسان والحياء.

ونلاحظ على الكلمات الثلاث: ﴿فَلَمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾، ﴿فَلَمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾، ﴿فَلَمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ اعطاء النافعية لها للزوج ليطامب ذلك مع السابق والحالة الثانية للزوجة في فترة الحيض، فما الحيض هو ﴿لَكُنَّ﴾، والجساع فيه يضر بالزوجة مادياً خاصة، ولا ترغب هي فيه نسباً كما أبت الطب ذلك⁽⁴⁾ فلا جرم أن تكون قناعاتية للزوج لا للزوجة.

ثم يأتي تذكير الزوجين بقوى الله وملائكته - طرفة القرآن - بعد الكلمات الجنسية، ليفضي على العلاقة الزوجية ذلك الملح الانساني الكريم، فضلاً عن التطهير من آيات المراتة في غير موضع الحرق الذي لا يفتن المذهب الأصمى للرجز من الالتقاء.

(1) القراءات: 7

(2) الكشاف: 1 / 362 ويترجمه قوله: "الأكيلان عجمي سهولة" من 54.

(3) حاشية القاموس: 1 / 142

(4) ينظر الطب البشري، ابن تيمم الجوزية، ص 203 وينظر: "الإسلام والفيزياء الجنسية"، د. وجيه حسن المصطفى، ص 99 وينظر: الإحصاء الطبي في القرآن، د. السيد الجبيلي، ص 234.

ينظر: الملائكة الجنسية مع الشرعية وعقوبتها في الشريعة والفن: 2 / 404

كما يتجلى من الكتابة وميثاق الآلة الذي تشكلت فيه صورة من الأدب الخطابي
الاسمي الوريح يعلمنا القرائن إياه حين يتخاطب البشر فيما بينهم في مثل هذه الشؤون، فقد سبق
الكتابة الجنسية، الكتابة (فَرَحَكَا أَمَّ وَتَكَمَّ بَيْنَ الْكَلَامِ) ، والفاصل كتابة عن حاجة ذي
الجنس الآخر والفاصل هو للكتاب الذي يتم فيه الفعل، فهو يحضى بلذكر المكان والسورة منه لأنه
سلازم له كتابة عما تم فيه، وتصعباً لهذا الأدب في الخطاب لا يستدعي العمل إلى الخطاطين، وإنما
بكونه زيادة في أدب الخطاب للواقع في النص.

— تمثال — ﴿لَا تَجْعَلْ لَكُمْ دِينَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في ثلاثة مواطن في سياق الطلاق، في قوله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ في سورة النجم، وفي قوله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ في سورة النجم، وفي قوله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ في سورة النجم.

وَصِيْفَةُ الْقَوْمِ الْمَخَارِجِ (يَسْتَشِي) فِي مَوَاطِنَ عَلَى لِسَانِ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) فِي رُفُوهُ - تَعَالَى - (كَانَتْ نَوَى اللَّهِ يَتَوَلَّى لِي وَكَلَّمَكَ رَبِّي بَتَرِكَاكَ سَكِينًا) اللَّهُ يَتَوَلَّى مَا يَشَاءُ لِي وَكَلَّمَكَ رَبِّي بَتَرِكَاكَ سَكِينًا (١)

ووصيفة الفعل الضارع ﴿يَتَكَلَّمُ﴾ في مواطن في قوله - تعالى - ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
بَيْنَ يَدَيْهِمْ إِنَّمَا ظَاهَرُوا أَعْيُنَ نَجَسٍ فَقَالُوا كُلُّ مَلَكُوتٍ قَوْلُنَا بِهِ قَوْلُكُمْ بِأَفْسُوسٍ
تَكْذِبُ﴾⁴⁰

تلاحظ أن كثافة (الس) من الجماع أنسب وافق في التعبير عن هذا الموصوف في سياق الإطلاق وما يربط عليه من أحكام نفس قوله - تعالى - : **لَا يَجْعَلُ اللَّهُ سَعَتَ الْغِنَىٰ سَعَتَ الْفَقْرِ** ما لم

43، والمائدة: الآية 90 على الترتيب في نزول الآيات جمعها، ينظر أبواب القول في أسباب

التبويب: 220-229

(1) 15 / 1

(20) سورة البقرة، الأجزاء 236، 237 وفي سورة الأحزاب، الآية 49.

(3) سورة آل عمران: الآية: 47. وفي سورة مريم: الآية: 20.

(4) سورة الجاثية، الآية: 3، والآية: 4 من السورة عليها.

تَسَوُّوهُ^(١) .. إذ لا نجد بين اللفظ الكتابي والمعنى المكتنى عنه واسطة، فاللحن ينتقل إلى المعنى المكتنى عنه (الجماع) إذ لا يشترط أن يكون المسمى باليد قال أبو هلال العسكري "والس يكون باليد وبالجموع وغير ذلك ولا يقتضي أن يكون باليد، لهذا قال .. تعالى - ﴿تَسَوُّوهُمُ الْبَسَاطَةُ﴾^(٢) وقال: ﴿وَلَهُمْ يَسْتَسِفُّ لَقَّةٌ وَبَرٌّ﴾^(٣) ولم يقل يلمسك^(٤) لذلك مرجع أن لا يكون هناك واسطة، وإنما للقعود هو ليس (الجماع) فتكون الكتابة بذلك من السور الغريبة الواضحة، لأن الاتصال فيها إلى للقعود سهل ميسور وهذا الفهم للكتابة يتغلب السياق الذي يهدف إلى بيان هذا الحكم، جاء في التفسير "أي لا أتم عليكم فيها الرجال إذ طلقتكم النساء قبل الميس (الجماع) وقيل إن تفرغوا لمن مهرأ^(٥)

كذلك مع كلمة ﴿يَسْتَسِفُّ﴾ في سياق السيفة مريم (عليها السلام): ﴿وَكَمْ يَسْتَسِفُّ بَشَرٌ﴾ في تجربة نفسها من هذا الرصوف، إلا أننا نلاحظ في الكتابة ﴿يَسْتَسِفُّ﴾ التجزئة عند اللفظ بها، فتوحى بمناها، وكانت بهذه التجزئة للعمل لتضع الرصوف الذي لا تستطيع اللفظ به إلا بتعليقه لبراعتها منه، فالكتابة هنا تجسد الحالة النفسية الظاهرة للسيدة مريم أحسن تجسيد. أما الكتابة ﴿يَسْتَسِفُّ﴾ من الجماع فقد جاءت في سياق الظهار من الزوجة^(٦) ﴿وَلَا يَزْنِ يَزْنِيَةً يَزْنِيهِمْ فَمَنْ زَوَّجَهُمَا مِمَّا زَنَوْا فَلَا مَعْنَى لَهُمَا يُزْنِي وَنَبَوِ يُنْ يَزْنِي فَإِنْ عَصَا فَلْيُزِّنْهُ رَدُّهُ عَلَيْهِمْ جَمْعُهُمْ خَمْسٌ مَنْ عَصَى فَلْيُزِّنْهُ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٧) أي من قبل أن يستمتع أحدهما بالآخر، فيحرم عليهما الجماع^(٨) وقال الزحشرى: "ثم يعودون لعله، كقصة من عاد أن يسود ربة ثم يماس للظاهر منها لا يحل له مامستها إلا بعد تقديم الكفارة^(٩)

(١) سورة البقرة من الآية 214. ينظر سورة يونس، الآية 24 وسورة الأنعام، الآية ٩٥.

(٢) سورة الأنعام من الآية 17. ينظر سورة يونس، الآية. 107

(٣) القرون الأخيرة، ص 249، 250.

(٤) صيغة المفرد. 1 / 152

(٥) كان الرجل في الجاهلية ينسب لأمر من امرأته فيقول لها: (لقد جئت بهر لمي) فحرم عليه، ولا طلاق، وتبقى هكذا، لا هي حل له تقوم بينهما الصلوات الزوجية، ولا هي طلاقه منه فتجد لها طريقاً أسوأ وكان هذا طرماً من المنة الذي ثلاثه المرأة في الجاهلية " ينظر في خلال القرآن.

10 / 8 وتفسير القرآن العظيم: 4 / 319

(٦) صفة البيان لمحي القرآن، ص 707.

(٧) الكشاف 4 / 387. ينظر تفسير القرآن العظيم: 4 / 321، 322.

وبلغت الانتباه أن الكتابة «بشكراً» لمستند فيها الفاعلية للزوجين، والبادي أن ذلك منظور به الحالة النفسية للزوجين، فالسياق يحصد الكفارة بتحرير ربة أو صيام شهرين متتابعين لمن لم يجد ربة محرراً أو لإطعام ستين مسكياً إن لم يستطع الصيام. ولا يخفى على الأقل - ما في صيام الشهرين للتعليم من مشقة وجهه وهي فترة زمنية طويلة نسبياً - فلا يستبعد أن تحرك تلكها ثلثية دواعي الغيرة؛ كما لا يستبعد بلوغه حدوث الليل والمعلل الجنس من أي منهما على حد سواء.

الخير في المضامع:

وردت الكلمة «واقفون» في التكميل في قول - تعالى - ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ مَا نَزَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ خُبَرٍ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْقِيَمَةِ وَالْأَعْقَابُ﴾^(١)

﴿وَأَشْبَاهُ رُوحٍ فِي الْأَشْجَارِ﴾: كقوله: فهي شجر لائق وأكيد به لازم مثناء وهو الارتفاع عن الجذع، قال ابن عباس: "الشجر هو أن لا يحسها وبضاجها على فروعها ويولها ظهره" ^{٥١} ويكون ذلك إذا نشزت الزوجة ولم يقد معها الروح والشجر، والشجر الضيق، وهو صورة حية بعد الحلافة القصية للمرأة للتعليق، لأن الشجر في أصله هو الارتفاع والانصلاء عن المكان ^{٥٢} جاء في التصريح "أي صيناهن وارتفاع طبيعتهن وطياتهن على الأرواح فطوقهن بالمواضع حلست مناصبه لمطوقهن لأن رجس إلى الاحتلال، ولأن الصغيرات في الصباغ، تركهن مفرحات في الضامع، ولا ياتروهن بالضماع، لأن الغلبة من الخير ذلك ^{٥٣}

(أ) سورة النبا: الآية: 34.

(2) تفسير القرآن العظيم، 1/ 466، وعلم القرآن، 1/ 534.

(٥) ينظر أساس البلاغة، ص 456، 457 (كثير).

(46) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، محمد عبد الكريم القاسم، 3 / 381-380.

ثمة تلميح ما في هذه الكتابة من حقبة تقسية بالقوة التأثير للزوجة، لأن العنصر في المصباح يمتلئ بالقوى ما فلكه المرأة النشاز من سلاح في إغواء الزوج واستماتته، فإذا ما عاقبها الزوج من هذه الجهة واستطاع أن يقرر دوائه إزاء هذا الإغواء، فقد سدّد إليها سهماً موجعاً قد يكون علاجاً ناجحاً في إصلاحها والرجوع عن عصياتها وطغيانها، وذلك بسبب ما يوجب العنصر من آلام نفسية، ومن هنا تلميح دقة استخدام الكتابة بلفظ المحبر دون غيره كالاعتزال مثلاً، فقال: ﴿وَأَقْبِرُونِي فِي الْكَتَابِ﴾ ولم يقل: «اعتزلوه» في المضاجع؛ وذلك لأن المحبر يحمل دلالة الارتباط الزوجاني بين الماهر (الزوج) والمهجور (الزوجة)، وهو تحريي بأن ثمة سودة قائمة في نفسيهما على الرغم من تمالي الزوجة على زوجها، ومن ثمّ قد يكون العنصر في المضاجع موعظة حسنة يحقّ الهدف التوعّبي من يرجوع الزوجة إلى الاعتزال وهو الهدف لا إلزاماً والاعتناء عليها.

المجلد ١٠

[illegible]

تتناول «ألاية» سائر أنواع الفحشاء من النساء، أي اللواتي يجرمن الزواج مهتود جاء
 التفسير «مَكْتَشِرُونَ» كناية عن (الجماع)، قال القرطبي «مَكْتَشِرُونَ» كناية عن
 الجماع، كقوله بنى عليها ونسب عليها الحجاب، يعني: اختصمونها السر^١ وفي تفسير
 الجلالين «عَلِمَتْ بِهِنَّ» جالستوهن^٢.

في كتابه واضعة من الجماع حل فيها معنى الدخول على جاني الحقيقة والجمال،
فالدخول حقيقة في ضرب الخيال عليهن ودخلن السر، ويراد منه المعنى المكسب عنه وهو
الجماع⁽¹⁾ وجاء في تفسيرها: 'كتابة من الجماع أي من مسالك اللاتي يدخلن من السر -
قالت ابن عباس - لأن لم تكونوا فيها للزمن قد دخلتم بأهلهن وفكرتموهن فلا جناح عليكم
في تكاح بناتهن'⁽²⁾ وقال القزاق: 'ودخل بأمراته' كتابة عن الإفضاء إليها⁽³⁾ وهو يقصد
بالإفضاء إليها (الجماع)، وأن كانت كتابة الإفضاء التي فسرها غير دقيقة في التعبير عن كتابة
الدخول في الآية، لأنه ليس في كتابة ﴿مَكْتُبِينَ﴾ إجماع كتابة الإفضاء - وإن كانت
الكتابة دالّة على الجماع - كما أن الإفضاء لا ينسجم في الآية كالدخول، فلكن منها إجماع
الخاص وسياقه الخاص في الأكل لا لحظ في كتابة ﴿مَكْتُبِينَ﴾ ذلك الاتساع في المعنى
كما نلاحظ في كتابة الإفضاء عبر الوسائط المتعددة بين اللفظ الكتابي والمعنى المكسب عنه، وإنما
يتغلل المعنى في كتابة ﴿مَكْتُبِينَ﴾ إلى المعنى المكسب عنه عبر وسطة واحدة وهي الدخول
إلى مضجعهما مما لم يكن مسموحاً به قبل الزواج، وهي وسطة حقيقية في معناها تعود إلى
الدلالة الجازية وهي المعنى المكسب عنه (الجماع)، وبذلك تكون الكتابة من النوع القريب
الرائح لأن الانتظام فيها إلى المقصود سهل مبسوط.

وفي ضوء ذلك نلاحظ دالة الكتابة في السياق الذي جاءت فيه تعبيراً عن الجماع، فهي قد
جاءت في سياق آية تقرر أحكاماً تتعلق بالزواج من النساء في أسلوب تقريرى مفصل لا
يشمل غير معناه الذي عطف إليه على وجه من التحديد والتوضيح

(1) ينظر أساليب الجاز في القرآن الكريم، أحمد حد حسن، ص 438

(2) صفوة القاموس، 1 / 389.

(3) للقرينة 380

من الحرمان في هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يَكْنُِونَ كُفْرًا﴾ كتابة عن دعوات الأرواح من أحصائها زوجها إذا حفظها واستغل بها عن غيره^{١٠٠} واستنى ما ملكك اليقين ﴿لَا يَكْنُِونَ كُفْرًا﴾ كتابة من الملوكات بالنسي وفيه يحمل وطهره إذا استبرأ لقوم^{١٠١} و ﴿وَأُولَئِكَ لَكُمْ مِنْكُمْ﴾ وهي كتابة فيها تحليل لحال المخاطبين حال السائر يترك ما وراءه ويتجاوز إلى غيره، والنسي: أصل لكم ما حصد أولئك الحرمان^{١٠٢} ومن اللاتي يحمل الزواج منهن، ويهن تتحقق ثلثة الحاجة القطرية في الاستمتاع بعد دفع أجورهن ﴿لَهُنَّ أَجُورُهُنَّ﴾ كتابة عن اللهور في مقابلة ذلك

وبذلك تتجلى عظمة الخالق وحكمته في خلق العنوس، وفي جعل كل من الجنسين ملأياً بالحاجات النطرية نفساً وحطاً وجسداً - في دائرة ما أحلّ الله - وبالعنوس الاتساق الكرم.

السيرة

وورد (الس) كتابه عن (الك) في قوله تعالى - ﴿وَلَا تَجْعَلْ لِكُلِّ فِتْنَةٍ بَصِيرَةً﴾^١ ووجه
 جعله لئلا يفتنهم به الفتن من كل جهة - لا تتركهم ولا تتركوا ولا تتركوا ولا تتركوا
 ولا تتركوا ولا تتركوا ولا تتركوا ولا تتركوا ولا تتركوا ولا تتركوا ولا تتركوا ولا تتركوا
 ولا تتركوا ولا تتركوا ولا تتركوا ولا تتركوا ولا تتركوا ولا تتركوا ولا تتركوا ولا تتركوا

فحب جهود العلماء على أن (السر) هنا كتابة عن (الكتاب) ⁽⁴⁵⁾، أي: "لا تتقدموا معهم ودعوا صريحاً على التزوج" ⁽⁴⁶⁾، وذلك لأن الواحدة السرية معها - أي مع الزوجه - لها ما تزاله عنها - وسيلة للفتة، فضلاً عن عدم مراعاتها نفسياً بالتصريح على التزوج، لأنها ما تزاله في حديثها حاللة النفس بذكرى زوجها الزوجه عنها في التصريح بإحاطة لها ولكرامتها لذلك هي القرآن وت حرمته على خلاف الصريح الذي هو "إضافة الكلام من منهجه إلى عرض منه وهو الجانب وبقائه التصريح فهو أن تنهم للمحاسب ما تريد بضرب من الإشارة والتلويح

(11) ينظر: تفسير الصمد والذوق: 5 / 5

(C2) ينظر قسم الأوراق المالية 1 / 400

□ **نظم** - نظم الشعر والنثر

(4) سورة البقرة: الآية - 335.

(5) $\frac{420}{2} = 210$

(6) *المصدر نفسه، والمكان نفسه.*

يحتله الكلام على بعد بمعونة القرينة⁵⁹، كان يقول لما مثلاً إنك لجميله ومن يمد يده إليك وزب وأظف إليك، وهذا التعريض وأمثاله هو القول للمروب ﴿إِنِّي لَأَكُونُ لَكُمْ قَوْلًا مِّنْكُمْ﴾⁶⁰ أي ما عرف من عا من التعريض⁶⁰.

وردت هذه الكلمة في قوله - تعالى - ﴿ حَزَبٌ لَّهُ تَكُنَّ اللَّيْلُ بِحِزْبِ آدَمَ بْنِ نَوْعٍ وَمَحْرُكٌ لَوْنُهُمْ أَهْوَى مِنْ دُونِهِمْ سِيَرًا يَسِيرُونَ فَمَكَرُوا مَكْرًا بَيْنَهُمْ لِيَخْلَعْنَ عَنْ آلِهَتِهِمْ فَذَلُّوا أَعْيُنُهُمْ الْإِنْسَانُ إِلَّا ذُرِّيَّتَهُ ﴾^{٤٥}

[illegible]

عقاب لله ﴿فَقِيلَ﴾ لماذا صدمتوهما أو يوم القيامة ﴿كَلِمَةً أَكْثَرُ مِمَّا سَأَلَ﴾ سائر ﴿الْقَائِلِينَ﴾ الذين لا وصله بينهم وبين الأتياء، مع داخلها من إخراجكما من قوم نوح وقوم لوط^(١) في عيانة امرأة نوح وامرأة لوط القدسية التي أحفظتهما اتصلت عوى الزوجة عن معانها الحقيق، ولابد من القول أن الحياة المقصودة هنا ليست (الحياة الزوجية) فهذا مالا يلين بالأتياء المعصومين، وإنما هي (الحياة الدينية)، وهي عبارة من 'نفاقهما وأبطانتهما الكفر، وتظاهرها على الرسولين، قماراً مع ثلاث كفره. إنه جنون، وامرأة لوط دلت على شبقها، ولا يجوز أن يراد بالحياة النجور لأنه سمج في الطبع نقيضاً عن كل أحد. ومن ابن عباس - رضي الله عنهما - ما يفت امرأة نبي قط^(٢) فهي الحياة الدينية، والأغراف عن المدى الإلهي، ولا شك في أنها أبلغ أنواع الحياة، لأنها مقاومة للظلمة الإنسانية^(٣)

والقرآن يستعمل كلمة ﴿أَمْرًا﴾ بذلك (زوج) بالنسبة لامرأتي نوح ولوط، وهما زوجتان، وهذا الاستعمال الدقيق ذو دلالة اجتماعية واضحة، توضحه الذكورة عائشة صدم الرحمن بولها ' وتقدر استعمال القرآن للكلمتين (امرأة وزوج)، فهذهما إلى سر الدلالة كلمة زوج تأتي حيث تكون الزوجية هي مناط التوفيق حكمه وآية أو تشريعاً وحكماً ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَاذْكُرُوا أَنفُسَكُمْ إِنِّي أَلْقِيهَا فِي النَّارِ فَتَنْسَوْنَ﴾^(٤) فإن تعطلت أيتها من السكن والمودة والرحمة بغاية أو بلين في الطهنة، لمرأة لا زوج^(٥)، وهذا ين بامرأتي نوح ولوط، فلبنت عوى الزوجية، وهذا كل زوج منهما امرأة لمصب، لا تربطهما وباطة من سكن، ولا صلة من مودة^(٦)

وفي ضوء هذه الحفيلة التي نودتها الآية للمحظ الكتابية ﴿لَسْتَ بِمَدِينٍ﴾ وهي قائمة في بيتها على الاستعارة ﴿لَسْتَ﴾ لأن وصف المرأة بأنها تحت الرجل ليس يراد به حقيقة الفوق والنبذ، وإنما المراد أن منزلة المرأة منخفضة عن منزلة الرجل لقيامه عليها، وعيشه على امرءا، كما قال الله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ عَلَى الْكُفْرِ كَيْفًا لَّكَ اللَّهُ يَتَذَكَّرُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَتَذَكَّرُ عَلَى نَفْسِهِ﴾

(1) الكشف: 4 / 457. ونظر تفسير القرآن العظيم: 4 / 393

(2) الكشف: 4 / 458. ونظر تفسير القرآن العظيم: 4 / 393

(3) الصورة الفنية في لسان القرآني، ص 320-321

(4) سورة الفرقان، من الآية: 21

(5) الإحصار الديني للفرق وسئل ابن الأوزاعي، ص 212-213

(6) الصورة الفنية في لسان القرآني، ص 349. ونظر ابن القيم رحمه الله في تفسير القرآن، د عبد الفتاح لاكون، ص 132

لَكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ⁽¹⁾ . . .⁽²⁾ فالاستعارة تعبر عن تقاصر مكثفة لثراء عن مكانة الرجل، لا التحية في العرف واللغة وهي الجهة المعروفة بالجلس في اللوضح، فاستعارها وهي محسوسة لأمر معقول وهو المكثفة والمثقلة⁽³⁾.

إلا أن التعبير ﴿كُنْتُمْ حَبَشِينَ﴾ يتطوي على معنى مكنى عنهما هما

- الأول: الفعل الجنسي (الجماع) بحكم قرأه عليها، وهو معنى بين واضح

- الثاني: الدونية والتسفل لحائز للراكين في المكثفة والمثقلة، وليس المقصود بها المكثفة

والمثقلة في حالتها الطبيعية التي كُشِرت إليها الاستعارة والآية ألقا، وإنما مكانة

ومثقلة أوحى بها التعبير الكتابي ﴿كُنْتُمْ حَبَشِينَ﴾ بمعونة سياق المثل القرآني - وهو

إيماء دقيق في سياله - يشير إلى مكانة حائز الراكين ومثقلتهما تهيأ واجتماعياً إزاء

التيهين الكريمين (عليهما السلام) فهما امرأتان كافرتان منحرفتان عن الهدى الإلهي،

وسلوكتهما يحسد عملياً دوتيهما، لأنه سلوك مبيت من الكفر والضلال

ومن ثم نلاحظ دقة القرآن الكريم في اختيار التعبير ﴿كُنْتُمْ حَبَشِينَ﴾ كتابة عن العلاقة

الجنسية في سياق المثل القرآني، فليس المقصود التعبير عن هذه العلاقة كما حيرت منه

الكتابات الجنسية السابقة في ظل تحقق الزوجية القائمة على المودة والرحمة اللتين تهيان الجانب

الإنساني بين الزوجين، وإنما التعبير عن هذه العلاقة في ظل انعدام الزوجية بمعناها الحقيقي

بسبب التباين والخيالة في العقيدة، وقد حيرت الكتابة بإيجازاتها عن هذه الحالة غير تعبر

المكثفة والمثقلة

وردت الكتابة ﴿يَكُونُونَ﴾ في نساء أهل الجنة في موطنين، الأول في قوله - تعالى -

﴿يَوْمَ يَكُونُ الْأَنْثَى آنثَى أُولَىٰ وَلَدٍ لَّحَبْلٍ﴾⁽⁴⁾

(1) سورة النساء، من الآية 34

(2) تلخيص البيان في عبارات القرآن، ص 334 وينظر الكشف 3 / 139

(3) الصورة الفنية في المثل القرآني، ص 207

(4) سورة الرحمن، الآية 56 والآية 74 من السورة نفسها

وردت الكتابة ﴿وَكَيْفَ تَكْتُبُ﴾ فهي نداء لأهل الجنة - أيضاً - في موطئ، في قوله -
تعالى- ﴿وَكَيْفَ تَكْتُبُ ۖ لَا تَكْتُبُونَ ۚ فَكَيْفَ تَكْتُبُونَ ۚ﴾ ﴿١٣﴾

نلاحظ في الآية الأولى للكتابة الجنسية ﴿كَيْفَ تَكْتُبُونَ﴾ ، وقد توالتجت معها الكتابة
﴿فَكَيْفَ تَكْتُبُونَ﴾ وهي على الرغم من أنها كتابة إغلاية تصور بطريقة حسية مؤثرة صفة
الغلاف لنساء أهل الجنة والفتاة بأزواجهن، إلا أنها قد توالتجت من حيث للمنى والصورة مع
الكتابة الجنسية ﴿كَيْفَ تَكْتُبُونَ﴾ في وصف هذه الكتابة فتكتمل الصورة الجمالية لمن التي تعد
القرآن تزيينها إلى الأبدان.

﴿فَكَيْفَ تَكْتُبُونَ﴾ كتابة من اللطاف على سبيل التواضع والأدب، نال أبو هلال
المسكوي ' وقصور الطرف في الأصل موضوعاً للشفاف على جهة التواضع والأدب، وذلك
أن المرأة إذا حُفَّت فصرّت طرفها على زوجها، فكان تصور الطرف رمزاً للشفاف، والشفاف
رديف وتابع لتصور الطرف^(١) في ذلك من المعنى الخاص إلى لفظ الأدب، ولذلك تحققت
بالكتابة صفة الشفاف على نحو فهم^(٢) لأن كل من صفة طرف الطرف من مطروح إليه، فقد
يمتد نظر الإنسان إلى شيء ونشبهه نفسه، ويحب منه مع اللذة حبه لأمر أسر، وتصر طرف
المرأة على بعلمها، أو تصر طرفها حياة وخفراً أمر زائد على العفة، لأن من لا يطمح طرفها
للحبه بعلمها، أو لا يطمح حياة وخفراً لأنها ضرورة تكون عذبة فاصرة للطرف^(٣) فالكتابة
تصوير مؤثر للشفاف ولو أن القرآن استخدم التعبير المباشر "عذبات" لما اطلعتنا على تلك العذبة
الراضية القائمة لنساء أهل الجنة اللاتي لا يطمحن لبها إلى غير أزواجهن، ولا يتكبرن في
غيرهم^(٤) وهذا الوصف بالصورة الكتابية يكاد يكون صفة جمالية خاصة بنساء أهل الجنة،
وتصنف هذه الصفة بصفة جمالية أخرى تزيينها الكتابة ﴿كَيْفَ تَكْتُبُونَ﴾ فهي كتابة عن صفة
(الكبرياء) أي (لم يحلمهن) أتس قبلهم ولا جان، وفيها دلالة للعمل الجنسي الأول (الحسن

(١) سورة الواقعة، الآية: 34-38 ونظر: سورة التلوة، الآية: ١٣

(٢) كتاب المصاحف، من 35 ونظر نظمهم البيان في عجائز القرآن، من 277 ونظر
البيان في علوم القرآن: 5 / 146.

(٣) عجائز القرآن الثاني، حتى عند طرف، من 347

(٤) نظر من بلاغة القرآن، من 227.

البكارة) لأن الطمء هو "الجماع اللودي إلى خروج دم البكر"⁽¹⁾ وقال الراغب: "طمئت المرأة إذا انتضها، ومنه استبرأ ما طمئت هذه البروضة أحد قتلنا - أي ما انتضها -"⁽²⁾ فالكتابة دقيقة في مياقتها ونجلي إجماداً عاماً مناسباً في وصف نساء الجنة، وبسبب هذا الإجماء الخاص - فيما يبدو - لم ترد هذه الكتابة في القرآن إلا في هذين الموطنين في صفتين ويوسفون لوساً من ألوان النعيم في الجنة لعباده للفتين، ولتروحي الكتابة بذلك ما أعد الله لأهل الجنة من نعيم هو أعظم ولعمرة وجمالاً ومنعة مما هو متعارف عليه في الحياة الدنيا

كما أن الكتابة ﴿تَرْوِيهِمْ﴾ الدالة على صفة البكارة تكتسب دلالة الذهومة لهذه الصفة من وصفون بالآية الثانية بأنهن ﴿كَرَّيْنِ﴾ "قال الزخشي: ﴿كَرَّيْنِ﴾ على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاها من أزواجهن وجفوهن أبكاراً"⁽³⁾، فافعل الجنسي الأول (نفس البكارة) دائم متكرر، وبذلك يتصاعد هذا النعيم، حتى يحقق قبي ذعن المطلق معنى الخلود في الجنة وصورة دهره

لم تأتي الكتابة ﴿تَرْوِيهِمْ﴾ في النص القرآني لتروحي بصفات جالية جديدة تشهق من خلالها حاصر عانية محسوسة محبة إلى النفس بحيث تصعد من وصف العلالة الزوجية ولتتمتع الجنسية إلى مستوى جمالي غير معروف في الحياة الدنيا.

﴿تَرْوِيهِمْ﴾ الفرائس ملازوم ولزوم به لازمه، وهي الزوجة في الجنة، لأن "المرأة يكتسب عنها بالفرائس"⁽⁴⁾ يقال أبو حلال المسكرى - ﴿تَرْوِيهِمْ﴾ كتابة من النساء⁽⁵⁾ وقد دل على ذلك قوله - تعالى - ﴿وَالْمُتَّقِينَ لِلَّهِ﴾ ﴿لَهُمْ فِيهَا نِسَاءٌ كَرِيمَاتٌ﴾ ﴿وَهُنَّ فِيهَا﴾ ﴿كَمَا قَالَ إِبْنُ حِبَّاسٍ - "التصحيات إلى أزواجهن"⁽⁶⁾، فضلاً عن الدلالة الحسية التي أفادتها الكتابة ﴿تَرْوِيهِمْ﴾

(1) صلوة البان لماني للقرآن، ص 491

(2) لقرءات: 457-458. وينظر أساس البلاغة، ص 284 (طبعة)

(3) الكشف: 38 / 4. وينظر تفسير القرآن العظيم: 294 / 2

(4) الكشف: 367 / 4. وينظر المختص من كتابات الأعلام والفتاوى البغدادية، ص 3

(5) كتاب الصائمين: 368

(6) تفسير القرآن العظيم: 294 / 4

(هـ) وصف الله بالنساء أهل الجنة بصفتين جالية شتى بألفاظ مختلفة وحشيقة، مثل قوله - تعالى - ﴿لَهُنَّ فِيهَا نِسَاءٌ كَرِيمَاتٌ﴾ ﴿مِثْلُ بَرَقَاتٍ أَمْشِيْنَ فِيهِمْ﴾ ﴿وَلَهُنَّ فِيهَا﴾ ﴿كَمَا قَالَ إِبْنُ حِبَّاسٍ - "التصحيات إلى أزواجهن"⁽⁷⁾، فضلاً عن الدلالة الحسية التي أفادتها الكتابة ﴿تَرْوِيهِمْ﴾

فإنها موحية بالرفعة والظهور، وهي دلالة معترية فوق الدلالة الحسية تستعصي أحداً من الآخرين، فهو نعيم تكتسب به الأجسام والغنى⁴⁹.

وعما تقدم من كتابات جنسية تتجلى دالة القرآن الكريم في استعماله الكتابة بوضعها تعبيراً غير مباشر عن المعنى، إذ إن لكل كتابة جسدية، فضلاً عن المعنى المكسب من الوضوح (الجماع) إيماءات خاصة بها تتجسم مع السياق الذي تتشكل فيه، فهي موصوفة في موضعها للاتق بها وهو وجه من وجوه إيجاز القرآن. كما يتجلى من الكتابة الجنسية البعد التهديفي، فالقرآن بالكتابة يتسامى ويرفع عن التصريح بالألفاظ البليغة المقحنة التي تهدش الشعوب ولحط من الذوق الإنساني، وهو يرتفع بالعلاقة الزوجية إلى أفق كرم يسأى بها عن الصورة الحيوانية الغليظة، ومن مجموع إيماءات الكتابة الجنسية تلحظ إيماءاً للانسان بالصورة 'الإنسانية' في البهارة والافتاء

الصفحة، الآية 49. والرحمن، الآية 38، والرقعة، الأجزاء 22 على التوالي. وكلها تشبهت
ترب إلى الألفاظ معاني جملة مطروقة، فهي مصونات كالقوى في أصلها، مع رقة ولطف وبسرة وصداء
فمن نعيم خالق يكتسب به الأجسام والغنى ينظر الكتاب 4 / 35، 360. وتفسير القرآن العظيم 4 /
393. وتفسير الجلالين، ص 392، 708، 710.

الفصل الثاني

الكناية اللونية

الفصل الثاني

الكتانية اللونية

بعد اللون، وسيلة حلقة من وسائل التعبير والعلم، وقد دلت الأبحاث والتجارب على أنه لا يزال كثيراً حيواً لم يستطع الإنسان أن يصل إلى قدره. وإليه قوة مرجعية تؤثر في جهازنا العصبي.⁽¹⁾

ونلاحظ اللون - في الأغلب - من خلال ذكر الألفاظ الثلاثة عليه يوصفه مدركاً بصرياً، إذ يستلزم ذكر اللون حاسة البصر الخاصة للكلفة بتوصيل دبلجات اللون الإيجابية إلى المخ، وذلك من جراء استشارة المراكز العصبية ولحركاتها بواسطة التخيل.⁽²⁾

كما نلاحظ اللون من خلال ذكر مفردات ليست دالة على الألوان دلالة مباشرة وإنما تدل عليها في صورة غير مباشرة، فهي تدعو للتفاني إلى إدراك اللون بعملية ذهنية أكثر منها صلبة لعدد الألوان مرقية كما في الألوان المباشرة.

وتفهم اللون في التعبير الأدبي - سواء كان محصلاً بصورة مباشرة من المفردات، أو يتلهم منها في صورة غير مباشرة - لا يقل أهمية عن العناصر الأساسية الأخرى في بناءه كالوسيط والمادة والخيال لذلك كان حضوره في الشعر أهمية في اللون حضوره، وفي تحريكه أجواءه، منذ عصر ما قبل الإسلام وحتى اليوم.⁽³⁾

وانطلاقاً من أهمية اللون في نفس القرطبي الكريم، يحاول هذا الفصل دراسة الكتابة القرطبية اللونية، في حدود ما وردت فيه من نصوص كرمية، إذ نجد آيات قرآنية قد تشكلت فيها الكتابة باللون برهه، الأول، ذكر اللفظ الدال على اللون مباشرة في التعبير عن المعاني والمشاعر والمواقف النفسية المتعددة، كالكتابة باللون الأبيض، والأسود، والأزرق، والأخضر، والأصفر. والثاني، التعبير عن اللون بصورة غير مباشرة إذ يترك اللون فيها من خلال الصورة

(1) اللون، محمد يوسف، ص 10 ونظر اللغة واللون، د. أحمد خضر صبر، ص 148

(2) إبداع اللون في القصيدة العربية الحديثة، د. طلوي الحناشي، ص 209 ونظر جدل اللون في شعر خليل حاوي، د. بشرى البطي، ص 165.

(3) نظر التعبير عن اللون في الشعر العربي القديم، د. دوق دقوش فيشر، 11، 12.

الكتابة التي يتفصل فيها اللون فتتفاضل للمتلقى بطريقة ذهنية، فيشعر بذلك إلى المعاني والامحاءات الصريحة، إذ إن الإيحاء بالمعاني سمة من سمات الكتابة باللون لما فيها من قوة تعبيرية تتجاوز مدلولها الظاهر إلى جملة من المعاني الواجبة فتتصل بالقلوب والنفوس فتربطها بالوفاة.

ولما كانت الكتابة القرآنية باللون نوعين لارتباطا دراسة كل نوع على حدة انسجاماً مع طبيعة كل نوع في سلك أسلوبه. وجمعنا كل لون على حدة أو لوبين على ميل التقابل إما في ذلك من تصعيد الدلالة وتكثيفها.

الكتابة باللون المائل:

تتبع الصور الكتابية بالألوان المائلة في القرآن الكريم في مشاهدنا وإيحاءاتها تبعاً للون المكتسب به من المعنى، من ذلك:

الكتابة باللون الأبيض والأسود:

بأي هذا القرآن على التقابل في مشهد من مشاهد يوم القيامة في قوله - تعالى - ﴿يَوْمَ يَبْسُ وَجُوهٌ وَتُسَوَّدُ وَجُوهٌ أَلَمْ يَكُنْ أَتُؤْتُونَ مَالَكُمْ وَثَرْتُمْ بَيْنَكُمْ يَدَايُهَا الْمَذَابُ يَسَاءَ كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْتِغَتْ وَجُوهُهُمْ فَبُذِيَ رَحْمَتُ اللَّهِ عَنْهُمْ فَهُمْ لَا يَكُونُونَ ۝﴾⁽¹⁾

لكل من اللون الأبيض واللون الأسود إشارة كتابية مكتوبة وذلك لفظة ترسل بين اللون وما يشير إليه مع وضوح الدلالة، وتطوي هذه الإشارة الكتابية معاني وإيحاءات وهي تملأ على الوجوه فتشير إليها دون وساطة بين المكتسب به (اللون الأبيض) والمكتسب عنه (حال المؤمنين في ذلك المشهد)، والمكتسب به (اللون الأسود) والمكتسب عنه (حال الكافرين على التقابل)، وعنده هي الإشارة في الفهم الكتابي⁽²⁾ يتخللها القرآن وسيلة من وسائل التعبير العلمي

واعتمد تركيب الآية المذكورة طواصر بلاغية متصلة في تصوير حال الصريقتين في هذا المشهد، ومن شأن هذه الطواصر هو تصعيد دلالة الكتابة باللون بطرقها للتقابلين والتقابل هو

(1) سورة آل عمران، الآية 106-107.

(2) ينظر - مناهج العلوم، ص 194، وينظر علم البيان في الدراسات البلاغية، د. علي السدي،

الأطوار التي تلي الذي يشد أجزاء الصورة على سبل التضاد وعلة الأجزاء كما هو واضح للصين الراسدة هي:

﴿ يَمَّ تَبَّحْ وَجْهٌ ﴾ يتابها ﴿ وَكَلَّ وَجْهٌ ﴾ .

﴿ قَلَّوْا التَّكَلَّ ﴾ يتابها ﴿ قَلَّ وَجْهٌ لِحُجْرَتِهِمْ ﴾

والتقابل بين الفريقين من شأنه الكشف عن فنية الأسلوب والفني مستويات الفهم بأبعادها المختلفة⁽¹⁾ لأنه يجمع بين متضادين متناظرين، والتضاد والتناظر تتبين الأشياء، وتجد النفس في ذكرهما مجموعتين للذات لأن اللذة في التقاء الضدين⁽²⁾ . وبذلك فإن التضاد حركة مركزة يأتي يتكرر عليه هذا للشهد في مكوناته وعلاقاته، لأنه يشع في فواصل النص حركة بين عناصر متضادة تفهم المعنى للصورة أجملي بيان⁽³⁾

لشئى الغريب في المعنى تلحظه بالكتابة اللونية الحسية في أسلوب غيري اعتد (الاجال) ' ﴿ يَمَّ تَبَّحْ وَجْهٌ وَكَلَّ وَجْهٌ ﴾ ثم يتبعه التفصيل: ﴿ قَلَّ لَوْنٌ كَسُوْرَتْ ... ﴾ على سبيل الاطبات التي تتجلى بلافته في تطويل الشهد في كل لقطاته وهو يفرغ للمتلبي لترسيخ المعنى في اللحن والوجدان.

وأيضا في الوجه: كتابة من (السر) ⁽⁴⁾ وحل بعضهم الكتابة على الخليفة كما يفهم من قول الزهرشي: ' والياض من النور والساد من الظلمة، نس كان من لعل نور الحق وسم يياض اللون وأسفار، وأشرق وأبيض صحفته وأشرق وسمى النور بى يديه ويديه ومن كان من لعل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوله وكلمه وأسودت صحفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب' ⁽⁵⁾ والأرجح أن يفهم على الكتابة كما ذهب إلى ذلك

(1) في البنية والدلالة، د. سمير أبو القزعا، ص 37

(2) ينظر الروش الرابع في صيانة القبيح، ابن القيم، ص 111

(3) ينظر في البنية والدلالة، ص 42 وينظر الجسي والدلالات في لغة القصص التركيبي، د. صمد عبد يحيى، ص 284

(4) المقدمات، ص 359 وينظر بشار قوي الصغير، للنبيذ آهني، 2 / 134

(5) الكشف 1 / 439

الراغب "لأن ذلك حاصل لم سوداً كانوا في الدنيا لو بضعاً" ⁴³ فهو "مشهد حسبي، ولكنه سبعت عن تأثر نفسي الذي ظله على الوجوه فابيضت" ⁴⁴

كما أن بين اللون الأبيض والحالة النفسية للمؤمنين (للجنة) التي هم فيها في موقعهم ذلك تلازماً وارتباطاً، فإن هذا اللون قد اكتسب عرفياً كثيراً من التعلق بأجواء الصفاء والإشراق والسعادة ⁴⁵، ولما كان الأبيض أفضل لون عند العرب، فقد جبر عن الصفاء والكرم بالياض حتى قيل لمن لم يتلمس بحجاب هو لياض الوجه ⁴⁶ كناية عن الطهر والنقاء، والعرب تقول: كمن قال بغيره ولما يظنونه: أبيض وجهه، ومعناه الاستبشار والتبجيل، وقد انتهت بالسور يقولون: الحمد لله الذي بياض وجهك، ويقال لمن وصل إليه مكروه أريد وجهه، والميراث، وتبليت صورته ⁴⁷.

ونقل الرادي قول أبي مسلم الأصمعي (ت 322 هـ) في تفسير هذه الكناية ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ...﴾ "أَنَّ لِلْوَجْهِ يَوْمَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا قَدِمَتْ بِهِ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ بَيَاضٌ وَجْهَهُ، يَمْسَى اسْتَبْشَرَتْ بِنِعْمِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ، وَعَلَى شِدَّةِ ذَلِكَ، إِذَا رَأَى الْكَافِرَ أَمْسَاةَ الْقِيَامَةِ عَمَاسًا: اسْوَدَّ وَجْهَهُ، بِمَعْنَى شِدَّةِ الْحُزْنِ وَالْحُزْمِ" ⁴⁸.

وتصاعد المعنى الكناية لكون الأبيض في الآية يقول - تعالى - ﴿وَالَّذِينَ كَانَتْ يُدْعَوْنَ لَهُمْ لِكَيْ تَسْلُبَ لَهُمْ نِفَاقَهُمْ﴾، وهو المستوى الثاني البعيد في التصور عن حالتهم النفسية المشروطة بالسور، إذ تصور الرحمة على سبيل الجواز المرسل القائم على العلاقة الحالية، فالرحمة هي حال أهل الجنة، لذا استعملت في هذا الموضع بدلاً من الحبل (الجنة)، وتوأم بلاغة التعبير ﴿كَيْ تَسْلُبَ لَهُمْ﴾ أن الرحمة تنسرحهم وتحسبهم، و"في" تبدل على الطريقة

(1) القرطبي، ص 399

(2) مشاهد يوم القيامة في القرآن، سيد قطب، ص 304.

(3) ينظر الجنة والجنون، ص 69، وينظر: اللون في الأدب العربي القديم وملاحظات أخرى، علي الشوك، ص 26، وينظر شامية الأكراد عند العرب، محمد عبد المطلب، ص 59.

(4) القرطبي، ص 66، وينظر: صخر لوي السبيز، 2 / 135

(5) التفسير الكبير: 4 / 170

(6) قه 4 / 170

والانغماس في الشيء⁽¹⁾ فضلاً عن إصابتها بالاستمرار والامتداد. وهذه هي الندوة في تصوير حاتم وما هم عليه من سعادة وسورة وإشراق. وإزاء هذه الصورة القاتنة بالبهرة والنور صورة الكافرين للشوكة وجوعهم باللون الأسود، والمكرية فوسهم.

فألون الأسود كنايةً عن (الساعة)⁽²⁾ فهو مشهد حسي كفى غلظ على تلك الوجوه غسوت دلالة على ما يعيش في قلوبهم⁽³⁾ وفي هذا اللون والساعة والحزن تلازم وإرتباط وقد ارتبط اللون الأسود عربياً بأجواء الكآبة والحزن⁽⁴⁾ ويصاحبه معنى الكآبة بالامتغاط الإكثري بالمسرة التضمن معنى التورخ والتخريج مع التصبب من حطيم⁽⁵⁾ ﴿أَكْثَرُكُمْ مَبْدِيَّتَكُمْ تَكُونُوا أَلْمَدَّةَ﴾ فهو عذاب نفسي لوق حذيقهم اللادي، وهم يصحسون ملين اللونين من الملباب على نحو عيش كما أوجعت الاستمارة الكنية ﴿تَكُونُوا أَلْمَدَّةَ﴾ ، فالملباب لا يُلَاقَ وإنما يحس به، ولكن لما كان اللون أصغر الرأ في الشعور بالملباب استمارة، لثبته العذاب بشيء محسوس يُلَاقَ، ثم حذقه وألغى شيئاً من لوازمه وهو (اللوق) على سبيل الاستمارة الكنية⁽⁶⁾ وبذلك فالآية تجميس التعتيف بالقول، وهو عذاب نفسي من جهة والملباب اللادي⁽⁷⁾ الذي يعاينته من جهة أخرى.

وهذا للحنك في مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة يكتس فيه باللون الأسود عن المذاب قوله - تعالى - ﴿وَهُمْ فِي الْعَذَابِ أَلْوَنٌ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَكُفُّوا أَلْسِنَهُمْ فِي يَوْمِهِمْ تَكُونُ﴾⁽⁸⁾

(1) القرآن والصورة اليتيمة، د. عبد الصادر حسون، ص 148. وينظر القرآن إحصاءه، د. علاء الدين حسون، ص 196.

(2) المراتب، ص 339. وينظر سائر ذوي التفسير 2 / 134.

(3) ينظر، مشاهد القيامة في القرآن، ص 304.

(4) ينظر اللغة واللون، ص 186. وينظر شاعرية الأثر عند ابن جني، ص 58.

(5) ينظر التكتيف، 1 / 633.

(6) ينظر الاستمارة في القرآن الكريم، أحمد عيسى ومشارق، ص 79.

(7) ينظر البحر السبط 3 / 36. وينظر انقضاء التوب في القرآن الكريم، حماد عبد الجبار، ص 196.

(8) سورة الزمر 84: 60.

بهذه وجوه للشرك الذين كذبوا على الله بسبب الشرك له والولد⁽¹⁾، تحول بالكتابة ﴿شُرَكَاءٌ﴾ إلى خلق مشوه يثير الاتصاف والسخرية على المعنى الحقيقي القريب للكتابة، أما المعنى البعيد للكتابة عنه فهو تصوير للحالة النفسية التي هم فيها من حزن وكمد وكآبة، فالكتابة لجسد ذلك على وجوههم كمداً من الحزن والحزن دائماً من الكآبة. والكتابة التي صورت وجوههم مشوهة فيها إيماء على أنهم قد شوهوا بطرحهم الصائبة التي فطرها الله على التوحيد ﴿فَكَرَرْتَهُ لَوَّالِي فَكَرَّرْتُكَ سَبَّحُ﴾⁽²⁾ شوهوها في حياتهم الدنيا بالتحاكم بالشرك والولد، وبصاحب عدائهم بغيرهم بالاستغفار التفريري بالهجرة ﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِمُتَّكِفِينَ﴾⁽³⁾، ويتكف دلالة السخرية بهم بلفظة ﴿مَثْوًى﴾ وهي من قبيل العكس في الكلام للسخرية منهم والتهمك بهم، لأن المَثْوَى في الحقيقة المنزل والمأوى، يقال: نوى بالمكان: نزل فيه، وبه سمي المنزل مَثْوًى، والمَثْوَى، الموضع الذي يُقام به ومَثْوَى الرجل: منزله. والثواني الرجل أصلاني يقال: أنزلني الرجل فالثواني ثواء حسناً⁽⁴⁾، فليس جهنم منزلاً للمتكبرين يعيشون فيه الطمانينة والراحات، وإنما هو المكسي في الكلام تهكماً بهم وسخرية⁽⁵⁾ بمصعد من عذاب المشركين الكاذبين بتوجيه الثاني والاعني ليس المَثْوَى وليس العذاب.

وبصور القرآن بكتابة اللون الأسود في موضع آخر حال الذي يشير بولادة بنت له، بصوره لا مجرد حزن أو فتن، وإنما بصوره وقد تحول بالكتابة إلى صورة غير صورته، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَالْأَقْطَابُ كُلُّ رُوحَةٍ مُّسَوِّغَةٍ وَفَرَحْنَاهُمْ ۖ هَٰذَا الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ قَوْلِهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ فِي سَمَاءٍ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَادُ عَنْ عَرْشِهِ يَوْمَ يَبْدَأُ الْكَلْبَ الْأَسَدَ مَا يَكْفُرُونَ﴾⁽⁶⁾.

﴿كُلُّ رُوحَةٍ مُّسَوِّغَةٍ وَفَرَحْنَاهُمْ﴾ وصوره الذي يشير بولادة بنت بهذه المقابلة مبنية على الكتابة ﴿كُلُّ رُوحَةٍ مُّسَوِّغَةٍ﴾ وعلى الاستعارة التصريحية ﴿فَرَحْنَاهُمْ﴾ فقد تواشجت الكتابة والاستعارة في تصوير المعنى على نحو حقيق، قال الطبري في ﴿كُلُّ رُوحَةٍ مُّسَوِّغَةٍ﴾: 'كتابة عن

(1) ينظر الكشاف: 4 / 107. وينظر صورة التفسير: 3 / 86.

(2) سورة الروم، من الآية: 30 والقطر: الحفلة التي فطر الله الخلق عليها، إنك تعال فطر خلقه على معرفته وتوحيده وإنك لا فطر غيره. ينظر: تفسير القرآن العظيم: 3 / 416.

(3) أسد العرب: 14 / 125، 126 (تو).

(4) ينظر: الاستعارة في القرآن الكريم، ص: 96.

(5) سورة النحل، الأيات: 58، 59. وينظر: سورة الفرقان، الآية: 17.

الغم والحزن وليس يريد السواد والعرب تقول لكل من لقي مكروهاً قد أسود وجهه⁽⁴¹⁾ فهو يدالب ثورة من الحزن والصيق (**وَيَرْكَبُ**) أي: 'علوه غيظاً وغضباً'⁽⁴²⁾ يكتبه ويدلوه كما صوّرت الاستعارة (**يَكْتُمُ**) فقد شبه استلاء قلبه بالغم والحزن باعتلاء الثوب بالذهب وبشبه كتمانته وضيقة ما يصر به ضم الثوب للمطوية بالذهب حتى لا يخرج منها شيء⁽⁴³⁾ ثم يصوره وقد شعر بقاري ودوان يعملانه لا يستطيع مواجهة الناس فيتزوي عنهم ويخفي (**يَتَوَكَّلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**) هو يعني ذلك المصراع العتيق الذي يثوي في نفسه خوفاً من العار الذي يلحقه بسبب البت، كأنها بلية وليست حبة إلهية⁽⁴⁴⁾

والكتابة باللون الأسود تكثف للحالة النفسية الذي يستر بالآسى ولا شك في أن الكتابة لها سحرية لأذهل، وهي تصور هذا الشخص مسود الوجه، متوارياً عن الناس، مغالياً لصراح وهيب في نفسه من مجرد أن يستر بولادة بنت له، فعمل هذه الكتابة كل من تولد له بنت في هذا المجتمع، قبل أن يفكر في نسبتها إليه، وقبل أن يشعر بأثر ذلك في نفسه، يتمثل هذه الصورة للمرأة، التي لا يرصها آسان لنفسه، ولا يرضى أن ينظر إليه الناس بعبء فيها.⁴⁵

وروى أن يحيى الكتبة باللون الأسود في سياق وأد البسات خروف العمار أو خروف القفر كما حكى القرآن ذلك ^(١) فضلاً عن أنها لم تكن حوان للمرأة وما لآلاتها من تمسك وعظم في المجتمع، دالة قوية على تشييع هذه المعادة الجماعية ونقضها، إذ للأناظر أن هذه الكتابة اللونية لا ترد في القرآن إلا في وصف حال الكافرين والمشركين في مشهد يوم القيامة، وهي مشاهد عصية سرودة.. ولا نشأ هذه الكتابة إلا في مجيئها في سياق (ولد البسات) مذكورة مرتين ^(٢) ليعمل التكرار على تضيق هذه الجزمة وتشبيها على نحو مؤكد. ويتصاعد هذا المعنى يذكر ﴿التَّوْبَةُ﴾ في سياق الانقلاب الكوني الذي سيحدث يوم القيامة، ويحسن بنا إيراد، وهو قوله - تعالى - ﴿إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ يَخْلَقُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الشُّجْرَةُ • وَالْأَنْشَارُ مُخْلَقَةٌ

(1) الجاهل لأحكام الفريضة: 10 / 116.

(2) صفواً طيباً لا يفسد ولا يفسد به غيره.

(3) ينظر إلى تدعيم هذا الاستنتاج في النصير المذكور 18 / 196، والمركب والصورة البيانية من 192

[illegible]

(5) *الطوبى لمن آمن بالله ورسوله*

(6) 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 2679, 2680, 2681,

(7) سورة الصافات: الآية: 58. وسورة الزخرف: الآية: 17.

وقيل: حمياً يخرجون من قبورهم بصراء كما خلقوا أول مرة ويموتون في الحشر، وإنا نيسل
﴿لَآ أَن السَّوَادُ يَزِيدُ إِذَا ذُهِبَ مَوَاطِرُهُمْ، وَيَقَالُ: زَوْناً طَامِعِينَ فِيهَا لَا يَتْلُوهُ⁽¹⁾﴾
فالكلمة تشير إلى إيمانات متعددة تتجمع لوحده حال الجرمين عند حشرهم. إيماء
العطش من شدة ما هم فيه في ذلك الموقف، وإيماء العسى لأنهم عطشوا أبحارهم في حياتهم
الدنيا من النظر في آيات الله ولتباع الحق كما أشير القرآن من ذلك في مواضع أخرى⁽²⁾
وكرر ما أنزل الله ويضوء. فما هم في صورتهم البنيضة كما تصورهم الكلمة فأبيض لون
هو اللون الأزرق - ليس لذلك - وإنا يكون بنفيضة مستطباعاً عنما يرتسم حول حركات أعينهم
ليشوء خلقهم فهي مغرة تمت السحرة من هؤلاء الجرمين في مشاهدتهم، وهم يمارون الحشر
والمراد، والكمد والكربة.

ويمكن أن تصور اللون الأزرق وهو يرتسم على وجوههم دون تخصيص حول حركات
حيوتهم كما قال بعض القسرين، أي يحشر الجرمون زرق الوجوه من الدم والكربة⁽³⁾ وذلك
لأن القرآن لم يخص في رسم صورتهم، وبذلك يكون اللون الأزرق كلمة فيها طراوة في
التصوير غير الجرمين في مساحة الحشر من غيرهم، لأنه لم يحدد عند البشر اللون الأزرق صفة
لبشرتهم، وإنا هو معبره في طواصر طبيعة كالماء والماء. وهو مصدر إشارة جمالية تصحبها
النسب الإنسانية. فمتى ينقل القرآن ويغرس في هذا للفرد الجديد (وجوه الجرمين) في الحشر فإنه
يفتح تلك العراة والجلدة في التصوير إذ فيه إيماء السحرة منهم فضلاً عما أشار إليه من كمد وهم
وكربة من شدة الموقف، ومن شدة موقفهم وكربة يتضاد في حسهم لفرسان، وتطوي معه الحيلة
التي كانت مسرحاً لأجرهم ﴿يَكْفُرُونَ بِحَبْلِهِمْ وَإِن يَأْتِهِمْ لَآ حَبْلٌ مِّنْ سَحَابٍ مِّمَّنْ يَلْعَلُ أَكُنْهُنَّ أَكُنْهُنَّ
طَبَقَاتٍ لِّقَسْرِ الْإِيْمَانِ﴾.

ومن شأن هاتين الآيتين تصعيد معنى الكلمة إذ تلمس حلاهم النفسي وحيرتهم لهم
بهماسون بينهم ويرر بعضهم إلى بعض ولا يرمسون صوتاً من الرعب والفرار، فما هي
الحقيقة تتكشف لهم، فليست تلك الحيلة الدنيا التي أجروا فيها، مطمئنين إليها إلا عشر نبال بل

(1) لسان العرب، 10 / 139 (زرق).

(2) ينظر سورة طه، الآيتين 124، 125 ملاً.

(3) ينظر مشاهد القياس في القرآن الكريم، ص 105. وينظر التفسير القرآني واللبنة العربية في
مشاهد القياس، إتمام مرحون الصغار، ص 152.

في يوم كما يقول أرشدتهم وأسويهم. قال الزخشي: "لخاتمهم لما هملاً مسدودهم من الرب والمول، يستصرون مدة ليثهم في الدنيا أما لما يمايئون من الشدة التي تذكروهم أيام النعمة والسرور فيستأنفون عليها ويصفونها بالفضل، لأن أيام السرور قصار، وأما لأنها دعت عنهم وتقصت، والمصاب وإن طال مدته قصير بالانتهاء. وإما لاستطاعتهم الأجر وأنها أبد سرمد يستصغر إليها عمر الدنيا، يقال: لث أهلها فيها بالقياس إلى ليثهم في الآخر، وقد استرجح الله قول من يكون أشد نفاقاً منهم في قوله - تعالى - ﴿يَذْكُرُوا لَكُمْ أَيَّامَ الْبَيْتِ﴾⁽¹⁾ وفي لخاتمهم هذا وشعورهم بحس منهم الحسرة والتذمة، فضلاً عن السخوة منهم جزلة بما كانوا يعمرون.

وطالباً ما يخرج القرآن تصوير طلب الجرمين على نحو خصوصي، تحس فيه الشدة في علمهم، والتصيف بهم بالقول حتى وهم يقولون في شر جهنم، من ذلك هذه الصورة الكتابية لتسلسل الكتابة السابقة صورة ومعنى في قوله - تعالى - ﴿يَرْجُو الشُّجْرَةَ يَسْتَكْبِرُ فِيهَا وَيُكَلِّمُ الْوَيْلَى وَالْأَقْلَامَ﴾⁽²⁾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَكَلَّمُوا بِكَلِمَاتٍ لَا تَكُونُ لَكُمْ بِهَا نَصِيبٌ﴾⁽³⁾

الصورة الكتابية. ﴿يَرْجُو الشُّجْرَةَ يَسْتَكْبِرُ فِيهَا﴾ فللمجرمين علامة لونية تميزهم يعمرون بها، فقله ﴿يَسْتَكْبِرُ فِيهَا﴾ فيه إشارة إلى الكتابة باللون الأزرق، فضلاً عن الكتابة باللون الأسود، فهما من علاماتهما، قال الزخشي: "يعرفون بسيماهم وهي سواد الوجوه وزرق العيون"⁽⁴⁾ أي: يعرف يوم القيامة أهل الاجرام بعلامات تظهر عليهم "قال الحسن: سواد الوجه وزرق العين كقوله - تعالى - ﴿وَيَكْفُرُ النَّجْرُ بِرَبِّهِمْ﴾"⁽⁵⁾

واجتماع علمي اللونين فيه دلالة حميلة على الكتابة والشم، فهما تجسيد لما يحتمل في نفوسهم من شدة الموقف وعوله وما يمايئون من الطاب المهيئ الذي صورته الكتابة الأخرى ﴿يَكْفُرُ النَّجْرُ بِرَبِّهِمْ﴾ والاحالة واضحة في صورة الطاب التي يؤخذ بها الجرم على انفراد لسهولة صورها وتبسيطها وإبرازها للعبان ﴿يَكْفُرُ النَّجْرُ بِرَبِّهِمْ﴾ فهي كتابة عن شدة العذاب وعنفه، أي: "يجمع بين تاصيه وقلمه في سلسلة من وراء ظهره، وقيل تحميمهم

(1) الكشاف: 3 / 49

(2) سورة الرحمن، الآية 41-44.

(3) الكشاف: 4 / 398

(4) الجلبج لأحكام القرآن: 17 / 175.

ولا تنف الدلالة في هذا الجمل، بل هي توحى بالعبرة البالغة التي تزويها للإنسان في رحلتها هذه بين الحياة والموت، حيرة تغمي الإنسان من أن ينسى نفسه وللإله التي يقطعها بين حياته وموته تؤدي به إلى الكفر والظن.

لعل صيد الكتابة باللون الأخضر تقرأ هذه الآية الدالة على قدرة الله التي تهيئ الأرض للجنة بالماء النازل من السماء، فتصبح الأرض خضرة بالنباتات والزرع وهي قوله - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ تَنْصِتُونَ لِكَلِمَةٍ تَنْصِتُونَ﴾⁶³

يتخذ القرآن من هذا المشهد الطبيعي الخلاب جليلاً حسيّاً مشاعداً على قدرة الله في بعث الحياة من الموت في مشهد منظور تتلاء العين وتتجسد الوجوه، وهو مشهد صعب كما دلت الاستغناء بالمعزة الذي تصدر الآية ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ وهو استغناء بعيد (كتمجيب) من هذه الظاهرة المتكررة، ظاهرة بعث الحياة من أحقاد التربة الميتة، فيلفت الانتباه إليها بهذا الاستغناء، فهي تشبه نوازع التامل والتفكير في المشهد.

ومعه الحياة للنبذة من الموت تدل عليها الكتابة باللون الأخضر التي تصبغ الأرض على امتداد البصر ﴿تَنْصِتُونَ لِكَلِمَةٍ تَنْصِتُونَ﴾، وفلسفي القريب الذي تشير إليه الكتابة هو "أصبحت الأرض ممتدة عطره بعد يسها وعروشها، وجاء للمسيح بصبغة الفساح ﴿تَنْصِتُونَ﴾ لاستحضار الصورة وإقادة بقاتها كذلك مدة من الزمن"⁶⁴ فهي قدرة الله العظيمة تتجلى ليس في بعث الحياة في الأرض الميتة فحسب، وإنما الحياة المعادلة المرتبطة بحياة الإنسان لارتباطاً بغيره نوازع الحير وتحسس الجمال من خلال هذه الأرض المكسوة بالجمال المنظور.

أما للمسيح الكتابي البعيد الذي تشير إليه، فهو إثبات البعث والنشور، أي بعث الموتى إلى الحياة لحسابهم وجزائهم، وقد لحظ ابن عباس - رضي الله عنهما - هذا المعنى والفرض الذي تهدف إليه هذه الكتابة بقوله "إقادة الخليل على كمال قدرته وعلى البعث والنشور، ومن ثمر على هذا قدر على إعادة الحياة بعد الموت"⁶⁵ وهذا المعنى يتجلى من الكتابة أولاً، وس طبيعة القرآن ومنهجه في إثبات فكرة البعث والنشور ثانياً، فالقرآن على الأغلب "يتخذ من صور الطبيعة الحية، وسيلة لإثبات البعث والنشور، ولما كانت الأحوال البهات حية ماثلة للعيان،

(1) سورة الحجج، الآية 63.

(2) صلوحة الفطير 2 / 297. ويترجم: الكشاف: 3 / 132

(3) صلوحة الفطير، 2 / 297

يشهدها الناس مراراً وتكراراً، فإن القرآن اعتم بها كثيراً وبعض أحوال النبات والشجر، لها صورة مقاربة لعملية البعث والنشور فيها، كما يدلنا عليها التصريح القرآني⁽¹⁾ وهذه المقاربة بين بعض أحوال النبات والشجر وعملية البعث والنشور تتضح من خلال مفهوم عملية البعث، فمفهومها هو "أن الأجسام التي قدسنت الحياة، لا تثبت أن تبقي بالحياة من جديد، وتخرج من باطن الأرض، فهذه هي صورة البعث، كما يستحضرها الحيلال بدلالة القرآن، وغروج النبات من الأرض للمساعدة الساكنة التي لا تبدو فيها حياة شبيهة بهذا الانعراج"⁽²⁾ كما أن الماء هو أثب ما مثل به الحياة، فقد التفتت الحياة في كل أشكالها في القرآن بالماء ويشير إلى ذلك كثير من آياته⁽³⁾ فهو قوام الحياة، والعنصر الرئيس في بنائها وتركيبها⁽⁴⁾ للحياة والماء كالشيء وظله، وما يقرأ على الشيء من تحول أو تبدل، يستتبع بالضرورة تغييراً مماثلاً في ظله، ومن هنا جيء بالماء، لأن التحكم بالشيء متحكم بظله، فمن تسيطر عليه فهم حقيقة الحياة وماهيتها، يرسمه أن ينظر إلى مصدورها، وما جعله الله سبباً لها⁽⁵⁾

والمنع المنعني عنه أثبات البعث والنشور الذي أشارت إليه الكتابة بتناسق نبدأ مع جو سورة الحج التي وردت فيه الآية⁽⁶⁾، فهي تعالج فكرة البعث بعد الموت معاجلة كبيرة في تسلي الصور، منها الصورة التي نحن بصدها في مشهد من مشاهد الطبيعة.

ولا ينحى ما في الكتابة باللون الأخضر من بعد جمالي محسوس لأن هذا اللون أكثر سحراً، وأبعد عمقاً في تنبكه وتأثيره⁽⁷⁾ في اللطفي من أي لون آخر وهو يصيغ الأرض شمسلة على طول البصر ولبه إجماع كمال القنوة المظلمة التي تيمت الحياة في لزم صورها ترى بها حلة الوجود ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَحِيدُ الْحَيُّ﴾ عظام للآية بتناسق مع ما أشارت إليه الكتابة في معناها

(1) الطبيعة في القرآن الكريم، د. كاسم ياسر القدي، ص 346.

(2) المصدر نفسه ص 346، 347.

(3) ينظر سورة النحل، الآية: 65، وسورة الأَنْكِبَاتِ الآية: 34، وسورة الحج، الآية: 5 وسورة فصلت، الآية: 39.

(4) الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر القليلوي، ص 319.

(5) ينظر الأَنْكِبَاتِ: 7، مثلاً.

(6) هناك عناصر أخرى، ص 136 وينظر القنوة واللون، ص 79 وينظر العناصر التركيبية والبيئة الحسية، ص 279.

القريب والبعيد فقييب الحياة في الأرض آتية، وهي حياة عادية فيها الخير والجمال، أو قيسه بالحياة في الآخرة حسابهم وجراتهم يجعلها فيها لطف الله الخير ونوره.

والبعد الجمالي فلون الأخضر يتجلى من خلال ارتباطه بالحدائق والمناطق والأشجار، وهذا ارتباط يشير إلى الحسب والرفق^(١) ومن ثم فهو لون النعيم في الجنة، وقد ورد في القرآن الكريم وصف ملابس أهل الجنة بالخضرة كما في قوله - تعالى - ﴿وَيَسْتَلْبِذُونَ فِيهَا خَضِرَيْنَ سَمَكَيْنِ﴾^(٢) وقوله - تعالى - ﴿يَسْتَلْبِذُ فِيهَا خَضِرَيْنَ سَمَكَيْنِ﴾^(٣) لذلك يمكن عد اللون الأخضر في الجنة كتابة تشير إلى معناها الفكنى عنه البعيد وتمثل في الخلود أي عودهم في جنات النعيم لكرامتهم على الله الذي أنعموا له بفضلهم وأكرمهم بالنعيم الدائم، فهو لون يشير إلى النعيم للأبد والروح، سوره

[illegible]

(1) ينظر: اللغة والثقافة، ص 164

(2) جدول الكهف، ص 49-51.

(3) صورة الإنسان من الآية 21 ويظهر "صورة الجسد" الآية 76.

(4) مسودة مع الأمانة، 20-01-2017، ومطلوع مسودات الأمانة، 20-01-2017.

(5) اسم الخط: 7 / 348، وموقع الكتاب: 4 / 24.

أَيُّ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مَقَدْرَهُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا تُحْرَقُ الشَّجَرِ، لَا يَتَّبِعُ عَلَيْهِ دَعْوَى مَا أَرَادَ وَلَا يَهْدِي أَحَدًا عَنِ الْمَقَادِيرِ الْبَاقِيَةِ وَأَعَادَهَا خَلْقًا جَدِيدًا^(١١٠)

فالتفسير الكتابي: ﴿جَنَّاتُ لَّزْزٍ مِنَ النَّجْوَى الْأَخْضَرِ كَأَنَّ﴾ - قائم على التضاد في المعنى، والتضاد من ذلك أن يقال للمنى للكمة مع في أعمق صورة، فالشجر الأخضر بما فيه من رواء وما هو تقيض (النار)، لأن الله بطني، النار، تخرج مما هو مشتمل على التقيض، وهي حالة محسوسة متعلقة في صورتها وممتلئة تشير إلى للمنى للكمة عنه البعيد وهو إخراج الحياة من الموت فالذي أخرج من الشجر لئلا، أي يكن يطلع أن يخرج منه قلدر على أن يخرج الإنسان - الذي ملأ للشركون أنه لن يخرج - من مركب الذي لوى فيه، بعد أن خبه إلى... بين ظهري³⁰³

فالقرآن في هذه الصورة المكتانية يقرب إلى الأدمان حقيقة البحث والنشور، فهو يجعل من هذه المحسوسات في الطبيعة القريبة إلى الحس والوجدان دليلاً حسيّاً شاغصاً لنديان يستغل بها على أن الناس سيبتون وأنهم سيحسبون على ما يقدرون⁴⁵⁹

أما على صعيد الكتابة فباللون الأصفر التي تشير إلى الموت والنساء بعد الحياة، وإنما تلطعها في سياق عالم النبات أيضاً في تلبه السريع بين الحياة والموت، نقرأ ذلك في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَأْخُذُ بِنَفْسِكُمْ إِذَا خَلْتُمُ الْمَسَارِعَ ثُمَّ مَثَّلَهُم فِ الْجَنَّةِ مَا رَجَعُوا فِيهَا وَكُلٌّ فِي الْفَخْرِ الْعَالِيَةِ ﴾

استهل الآية بالاعتماد بالقرآن الذي أنادى بالصجب فبقلت الانتهاء إلى هذه الظاهرة الطبيعية المذكورة في كل زمان ومكان، وهي ظاهرة عينية خالصة على قدرة الله ورحمة بالإنسان. قال الزمخشري: «فلكه قاعدته ونظمه ﴿يَتَجَمَّعُ﴾ في الأرض» غير أن مسالك ومجاري فالعروق في الأجساد ﴿تَجْتَمِعُ إِلَى قُلُوبِهِ﴾ حياته من غيرة وحرة وصورة وبهاشي وغير ذلك، وأصنافه من برّ وشمر ومسمم ﴿يَهْبِطُ﴾ يتم جماعه، عن الأصمعي: لأنه إذا تم جماعه حان

(1) جوامع اليونان في تفسير القرآن، 23 / 21، 22.

(3) يتلقى المصلحون القسمة من 350.

(4) صورة الزمر، الأكي 21، ويظهر صورة الخليل، الأكي 20.

له أن يورث من مثله ويحبب ﴿حَسْبُنَا﴾ فَنَأْتِي ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فَنَكْبَهُمْ وَتَبِيًّا، عَلَى أَنَّهُ لَا يَدُ مِنْ صَانِعٍ حَكِيمٍ، وَإِنَّ ذَلِكَ كَالَّذِينَ مِنْ تَقْدِيرٍ وَتَدْبِيرٍ، لَا عَنْ تَعْطِيلٍ وَأَعْصَالٍ⁽¹⁾ وقوله ﴿لَا تَرْجِعْ بِهِ رَبَّنَا حَتَّىٰ نَحْكُمَ الْأَمْرَ ثُمَّ يَرْجِعْ قَضَاءً نُنصِّرُكَ لِرَبِّكَ حَتَّىٰ نَحْكُمَ حَسْبُنَا﴾ عَلَى وَجْهِ الْأَجْمَلِ بِمَثَلِ حَقِيقَتِي. الْحَيَاةُ لِلْمَجْدَةِ ﴿لَا تَرْجِعْ بِهِ رَبَّنَا حَتَّىٰ نَحْكُمَ الْأَمْرَ﴾ فِي أَرْحَمِ صَوَرِهَا وَبِرِهَا، وَحَقِيقَةُ الْمَوْتِ وَفَنَاءِ ﴿لَا يَرْجِعْ قَضَاءً نُنصِّرُكَ لِرَبِّكَ حَتَّىٰ نَحْكُمَ﴾ فِي صَوَرِ حَسْبَةِ مَشْهُودَةٍ تَتِمُّلَاهَا الْعَيْنُ وَيَحْسِبُهَا الْفِكْرُ وَالْوَبِيلَانِ، ذَلِكَ فِي حَالِ الْبَيَاتِ الَّذِي يَرْتَبُطُ بِالْإِنْسَانِ أَوْتِبَاطًا مَصْرِيًّا

وَالَّذِي يَهْمُنَا الْكِتَابَةُ بِاللَّوْنِ الْأَصْفَرِ ﴿لَا يَرْجِعْ قَضَاءً نُنصِّرُكَ...﴾ الَّتِي أَشَارَتْ إِلَى مَعْنَا الْقُرْبِ وَهُوَ (اللَوْنُ) لِرَتْبِطٍ بِالزَّوْجِ فِي كُلِّ حَيْثُكَ وَلَشَكَاةٍ وَلِقَوَانَةٍ بِمَعْنَى تَجَرُّدِهِ مِنْ ذُرْوَةِ الْحَيَاةِ فِي تَشَكُّلِهَا الْجَسَادِيِّ فِي الْفَرْقَةِ وَخُطْرَتِهِ وَبُخْرَتِهِ إِلَى الْمَوْتِ فِي تَبِيٍّ وَجَفَاةٍ وَرَوَالِهِ أَمَّا الْمَعْنَى الْبَعِيدُ الَّذِي تَطْوِي حَلِيهِ الْكِتَابَةُ، فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ عَدَدٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: "كَفَا الدُّنْيَا تَكُونُ خُطْرَةً مَقْرَعَةً حَسَنَةً، ثُمَّ تَعُودُ عَجُورًا شَوْعَانًا وَالشَّابُّ بِمَعْنَى شَيْخًا حَرَمًا، كَبِيرًا ضَعِيفًا، وَبَعْدَ ذَلِكَ كُلُّهُ الْمَوْتُ"⁽²⁾ وَقَالَ الْفَرَطِيُّ: "إِنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَالزَّوْجِ بِسَبَبِ النَّاطِقِينَ إِلَيْهِ لِحَفَرَتِهِ بِكَثْرَةِ الْأَمْطَارِ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَصِيرَ حَشِيمًا كَمَا لَمْ يَكُنْ"⁽³⁾ وَقَالَ الدِّمَشْقِيُّ: "يُمَثِّلُ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَمِمَّا طَلَّ عَصْرَ الْإِنْسَانِ لِلْمَوْتِ مِنَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ مَصْرَفَ اللَّوْنِ، مَتَّحِمًا الْأَعْضَاءَ مَتَكْسِرًا كَالزَّوْجِ بِمَعْنَى تَبَرُّجِهِ، ثُمَّ يَكُونُ حَاقِبَتُهُ الْمَوْتُ"⁽⁴⁾ فَفَصَّرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا أَوْ مَصْرُوحَةَ الْإِنْسَانِ مِنَ الْمَعْنَى الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ⁽⁵⁾ وَقَدْ دَلَّتْ عَلَيْهَا الْكِتَابَةُ بِاللَّوْنِ الْأَصْفَرِ وَبِاخْتِصَاصِ مَصْرُوحَةِ الْإِنْسَانِ لِلرَّيْبَةِ بِهَيَاةِ الْبَيَاتِ. وَبِلَاغَةِ الْكِتَابَةِ أَنَّهَا تُثَلِّلُ الْمُسَى بِالطَّرِيقَةِ الْحَسْبَةِ فَالْقَوْلَةُ لِلْإِنْسَانِ لِيَكُونَ الْمُسَى الذَّهَبِيَّ مُؤَثَّرًا فِي الْحَسَنِ وَالْفُسْ وَلِيَحَقِّقَ بِذَلِكَ الْاِسْتِجَابَةَ الْفَضْلِيَّةَ الَّتِي يَهْدَفُ الْقُرْآنُ لِمُقَابَلَتِهَا فِي الْخَلْقِيِّ، فَهَلَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا هِيَ كَالزَّوْجِ فِي تَغْلِبِهِ وَتَجَرُّدِهِ مِنَ الْحَيَاةِ إِلَى الْمَوْتِ، وَالْإِنْسَانُ يَشَاهِدُ هَذَا

(1) الْكِتَابُ: 4 / 34

(2) تَفْسِيرُ الْفَرَطِيِّ: 4 / 50

(3) الْجَمَاعَةُ لِاحْكَامِ الْقُرْآنِ: 17 / 253

(4) حَقُولَةُ الْفَرَطِيِّ: 3 / 76

(5) يَنْظُرُ السُّورَةُ الْأَنْبِيَاءُ: 24، وَالْكَهْفُ: 45، وَالْغُلْفَةُ: 20 مَثَلًا

القلب ويحس هذا التحول في مشهد الكروور فلا يشتر بها ولا يسى نفسه وهو يقطع رحلته بين الحياة والموت. وحياة الإنسان أو الحياة البشرية في نهاية المطاف لا تكون للعادل، الإنسانية لعالم النبات، وذلك لأن الإنسان يخرج من رحم أمه، لكن ما يلبث بعد رحلته تطول أو تقصر، أن يذبل ويموت ويبس ثلثاً في قلب التراب⁽¹⁾ فالمرث هو النهاية التي ينتهي إليها كل حي بعد حياة ومدة قصيرة كما دلت الكتابة باللون الأحمر، بل أن القرآن يتناول هذا الزمن اختزالاً، فلا يلقى بين الحياة والموت أي فاصل زمني. نقرأ ذلك في كتابة لونية أخرى⁽²⁾ في سياق النبات أيضاً، هي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أُتْرِجُوا الْأَعْيُنَ عَنْ حَقِّهِمْ كَيْفَ كُنْتُمْ﴾⁽³⁾ والمعنى القريب: "ثبت ما تركه الدواب، من الحشائش والأعشاب، ﴿كَيْفَ كُنْتُمْ﴾ أي نصيره بمعد الحفيرة أسود بالياً، بعد أن كان ماضراً وأخيراً⁽⁴⁾ والبادي أن الشمس اشعل من هذا، وذلك لأن الرمي كل نبات، وما من نبات إلا وهو صالح خلق مما خلق الله، فهو هنا اشعل مما يمهده من رمي، تنمنا، والله خلق هذه الأرض وتكر لها أنوارها لكل حي يذبل فوق ظهرها، أو ينحني في جوفها، أو يطير في جوفها⁽⁵⁾ والكتابة باللون تتجلى في قوله: تعالى: ﴿كَيْفَ كُنْتُمْ﴾ والأحمر هو اللون الأسود الذي ينتهي إليه الرمي عند ذبوله وموته. جاء في أساس البلاغة: "وشعر أسرى: أسود، ورجل أسرى: شاب أسود الشعر"⁽⁶⁾ والفتاة ما يتلف به السبل على جانب التوازي من الحشائش والأوراق والنباتات⁽⁷⁾ فهو الثوت والبلى بعد الحفيرة والحياة في تلك السرعة التي لا تسمح فيها فاصلة زمنية بين الحياة والموت كما اتضح ذلك حروف المعطف الفاء الذي يند التعلب، أي تعقب الخروج بالذبول والموت، فلا يبقى في مدى الرؤية غير الموت الذي يكتسح الحياة.

(1) مع القرآن في مكة العربية، ص 380.

(2) هذه الكتابة تنح إلى القرن الأسود أرجاعاً إلى هذا الوضع لأنها في سياق عالم النبات

(3) سورة الأعلى، الآية 4، 5.

(4) صورة التفسير 3 / 548.

(5) ينظر في خلال القرآن، 2 / 549.

(6) مادة (حوى)، وينظر: كتاب النسخ، للنسري، ص 69.

(7) ينظر لسان العرب: 15 / 116 (16).

أما المعنى الكنفائي البعيد خلف الصورة الموحية فهو سرعة زوال الحياة الدنياه التي يمتز بها الإنسان ويؤثرها على الحياة الباقية. وهنا المعنى الكنفائي عنه ينسج مع جو السورة والحديث عن الحياة الدنيا والحياة الآخرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ (١)

الكنائية باللون غير المباشر:

في القرآن كتابات لونية يدرك اللون فيها في صورة غير مباشرة فيشير اللون الشداهي إل دلالة، وترد هذه الكتابات غير المباشرة في مشاهد يوم القيامة، للحظها علو وجوه الفريقين المؤمنين والكافرين على المقابل في تلك اللحظه، ألوان مشرقه تدل عليها هذه الكتابات ترسم في وجوه المؤمنين الفائزين والوان قائمه ترسم على وجوه الكافرين الماهجرين على المقابل في الصورة والمعنى.

وبذلك فإن القرآن الكريم قد استعمل ألواناً محدده تدل عليها هذه الكتابات منها للدلالة على ثواب المؤمنين ولوزعهم بما توحى به من إعجابات الاشراق وانتهل والجمال والامتنان، ومنها للدلالة على عقاب الكافرين وخسرانهم بما تحمل من إعجابات الغم والحزن والمصر والانتساب (٢) من ذلك.

الكنائية بالأسفار والغبرة والنفث:

ترد هذه الكتابات في مشهد من مشاهد يوم القيامة في وصف حال الفريقين في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الشُّرُكُ عَنْكُمْ كَافً كَذِبًا﴾ (٣) ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الشُّرُكُ عَنْكُمْ كَافً كَذِبًا﴾ (٤)

المقابل القائم على التضاد بين حال الفريقين هو الأسفار التي الذي يجرّ للشهد ويكشف عن عمق المعاني والإعجابات للكتابات الضفاده التي تجسد الحاله النفسية لكل من الفريقين بما يرسم على الوجوه في صورة حيوة مؤثرة. كتابة الاسفار تصور المؤمنين في هذه الصورة المشرقه: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الشُّرُكُ عَنْكُمْ كَافً كَذِبًا﴾ (٥) إذ يشاهي لون مشرق من وجوههم، قال الزخشي "أسفر المصبح" أسماء وخرجوا في السفر في يباين

(١) سورة الأمل، الآيات: ١٤-١٦.

(٢) ينظر نقاط الثواب في القرآن الكريم، ص ١٩٨.

(٣) سورة عبس، الآيات: ٣٨-٤٠.

التجر، وُح بِا يَسْتَرْ. يبيض قبل الليل. ووجه مسر مشرق مسروراً⁽¹⁾ فالإسفار ينحصر باللون⁽²⁾، يعني وجود صبغة مشرقة من البهجة والمسرور. وجاءت الكتابة ﴿تُسْرًا﴾ بصيغة اسم التفاعل لتوحي بتسكين هذا الوصف مضمناً حلماً للعنى ويصغره الآية ﴿حَكِيمًا تُسْرِرًا﴾ بصيغة اسم التفاعل أيضاً لتدل على الثبات والديموم⁽³⁾، أي 'فرحة مسرورة بما رآه من كرامة الله ورحمته مستبشرة بذلك التميم الدائم'⁽⁴⁾.

واللون المتلهم من اشراق وجوههم وأخامتها في ذلك الوقت يمكن وصفه باللون الأبيض، وهو من الألوان الناعمة الخالصة⁽⁵⁾ يحمل على تكتيف تلك الخلة العسية المسرورة البهجة التي هم فيها ويشير إليها على نحو لا يمكن وصفها بالكلمات، بل بتصليها للتقليد وتبليها ليدرك معناها وتأثيرها في حسه ووجدانه في ذلك للشهد المصيب.

ويقابل هذه الصورة في إثرائها وسعادتها لعلها الصورة الكتابية الثالثة التي ترسم على وجوه الكافرين ﴿تُكْفَرُ تَكْفِيرًا﴾ ﴿تُكْفَرُ تَكْفِيرًا﴾ ﴿تُكْفَرُ تَكْفِيرًا﴾ إذ تراشجت كتابتان لونيتان ﴿كُفْرًا﴾ و ﴿تَكْفِيرًا﴾ في إخراج صورة الكافرين الناجرين لتصعيد الدلالة في الصورة وللمنى في الصورة بتشويه منظرهم بلونين متضادين، فمن الكتابة ﴿كُفْرًا﴾ ينشأ لون الغبار وهو بُرْدٌ إلى الألوان غير الناعمة الخالصة⁽⁶⁾ ومن الكتابة ﴿تَكْفِيرًا﴾ ينشأ اللون الأسود. قال الراغب 'ومن الغبار أشق البهرة وهو ما يملأ بالشئ من الغبار، وما كان على لونه. قال تعالى - ﴿تُكْفَرُ تَكْفِيرًا﴾ كتابة عن تغير الوجه للقم'⁽⁷⁾ والفترة أصلها 'من الفناء والفقر، وهو الدخان الصادر من الشراء والمواد ونحوهما. وقوله تعالى - ﴿تُكْفَرُ تَكْفِيرًا﴾ نحو

(1) اسم المسرور، ص 212 (سلي)، ونظر: التكملة 4 / 364.

(2) القراءات، ص 341.

(3) الأصل في (اسم التفاعل) أنه يعود وتكتف من الفعل في دلائله، ولكنه لا يرمى إلى ثبوت الصلة للشبهة. ينظر، معاني الأبيات في العربية، د. فاضل صالح السلي، ص 47 وب. ص 164. أما هنا في الآية فقد جاء اسم التفاعل للتكرار (التيك والديموم) بالنظر إلى السياق فهو كالمعنى للشبهة في ثباته ودوامه.

(4) حقايق الضمير 3 / 522.

(5) ينظر كتاب القمع، ص 2.

(6) ينظر، كتاب القمع، ص 2.

(7) القراءات، ص 335. وينظر صفراء البيان لمحيي التركن، ص 785.

فيرة، وذلك شبه دخان يمشى الوجه من الكذب⁽¹⁾ وقال الزخشي⁽²⁾ خيرة غير يعلموها ﴿لَقَدْ﴾ سواد كالسحابة، ولا ترى أوحش من اجتماع الفيرة والسواد في الوجه، كما ترى من وجوه الزوج إذا فترت، وكان لله جمع إلى سواد وجوههم الفيرة، كما جمعوا النجور إلى الكفر⁽³⁾.

فالكتابان في لونهما التام تشيران على غير مكتب إلى تلك الحالة النفسية لحولاء في ذلك الوقت الذي يواجهونه، حالة نفسية مكتوبة ملوفاً بالنم والحزن ومصيرها الحيرة والحسرة وهي الصورة التي تلقى على القضاة إزاء صورة المؤمنين، والقياس يترسخ للمنى في ذهن المتلقي حال التفتين.

ويهدى اللون الأسود في صورة كهيئة إزاء صورة مشرقة على التقابل في مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ لِمَنْ بَدَّلَا وَلَا يُرْمَىٰ بِهِمْ وَلَا تُرْجَىٰ لَهُمْ وَلَا تُمْسَىٰ لَهُمْ نَارٌ وَلَا يَسْكَنُونَ﴾⁽⁴⁾ والقياس كسوا كسيتهم بركبتهم يبدلونها ويبدلهم ولا تملكهم من قوين عليهم⁽⁵⁾ الآية وتوجههم فكما في الآية تملكها لوقيتهم استلب أكثرهم فيما سكتهم⁽⁶⁾.

فالصورة المشرفة للذين أسسوا تشداه من خلال غنى القدر واللغة عن وجوههم ﴿وَلَا يُرْمَىٰ بِهِمْ وَلَا تُرْجَىٰ لَهُمْ وَلَا تُمْسَىٰ لَهُمْ وَلَا يَسْكَنُونَ﴾ أي أي لا يمشى وجوههم دخان ولا سواد كما يحترق وجوه أهل النار، ﴿وَلَا يَسْكَنُونَ﴾ أي هوان ومضار⁽⁷⁾ ونفي القدر عنهم بلونه الأسود إثبات لإفساد وجوههم وإزالتها كتابة من معادتهم وحالتهم النفسية المرودة للنتيجة فهي كتابة تشير إلى كتابة (الاسفار) والاشراق السابقة، إلا أن الكتابة هنا تبدو أكثر إشراقاً وإضاءة، وذلك لأنها تلف على القضاة مع الذين كسوا السيئة في صورتهم الشبيهة ﴿لَمَّا تَشْهَدُ لَهُمْ وَتُرْجَىٰ لَهُمْ وَتُمْسَىٰ لَهُمْ﴾ أي تملكها... أي كما ليست وجوههم من فرط السواد والظلمة قطعاً من ظلام الليل⁽⁸⁾ والليل بخصه مظلم فلا يحتاج إلى وصفه بالسواد وهو اللون المتلحي من ﴿تَمْلِكُهَا﴾، لكن التقابل في سياق المشهد يعمل على إبراز عنصر القضاة حاداً قوياً من خلال تكتيف اللون الأسود

(1) لغزات، ص 393. ويظهر أساس البلاغة، ص 354 (نقرا).

(2) الكشاف 4 / 364. ويظهر الصلح القرطبي والبيد البرية، ص 140.

(3) سورة يونس، الآية 27.

(4) سورة الفاتح، 1 / 581. ويظهر الكشاف 2 / 369.

(5) صفوة الخفاص: 1 / 581.

يلجئ الصورة للقبلة في صورة بارزة قوية في اصاحتها واترافها. قال الشريف الرضي في (مكتوباته): "وفيه روحه معنى. لأن الليل قد سمي ليلاً وإن كان ممتدحاً فإنما قال الله: ﴿مُتَلَكِّئًا﴾، على أن الشيء إما وقع فيه سود ما يكون جليلاً، ولهم التلويح^١ لكأنهم يستخلص صورة بالغة في السواد والفتح^٢ لتلويح بشير اللون الأسود الكثيف الذي يشترى وجوههم إلى لئس المكس عنه بعمق وهو عظم الغم والحزن والاحتساب الذي يصرطح^٣ في أنفسهم في ذلك الوقت الربيع.

تأليف: د. محمد عبد الله بن عبد الوهاب

تصور حاتان الكنايتان اللوينان حال السرقة. (المؤمن والكافرين) في مشهد من مشهد يوم القيامة نلاحظ فيه تصاعد الشقاق وجوه المؤمنين إلى اللوة حيث تتطلع إلى النظر إلى جلال ربها والامتراق ليه. وبالمقابل نلاحظ وجوه الكافرين وهي كالخض صمراء تتروقع خائبة وعلماء ينزل بهم ليردائون علماء فوق علمهم. وذلك في قوله تعالى - ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْكَافِرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (٥٥)

المؤمنون وما هم فيه من سعادة وصوره الكتابية: ﴿تَتَجَلَّىٰ لَكَ الْجَنَّةُ﴾ جده في لسان العرب: 'التجلى: التعمق والتمشيد، وقيل: الحسن والرويق، وقد نضر الشجر والوروق والوجه واللون، وكل شيء ينظر فهو نضر أي حسن'.⁽⁴⁰⁾ ويجلا المئين تشير إليهما الكتابية ﴿تَجَلَّىٰ﴾ التعمق والتمشيد، والحسن والوروق لقوس على وجوههم، وأحدهما متصل بالآخر يدل عليه. قال الفراء: 'أما مشقة بالنهم'.⁽⁴¹⁾ وقال الطبري: 'حسنة جميلة من النعم'.⁽⁴²⁾ يمثل هذا قول الزمخشري: ﴿لَوْ جِوَّهُمْ غَافِرَةٌ مَشْقُوعَةٌ﴾ كما قبل - تعمل - في راسخ أخرى ﴿قَدْ لَبِثْتُ فِي جَهَنَّمَ نَارًا تَلْبَسُ﴾⁽⁴³⁾ ﴿وَقَدْ لَبِثْتُ فِي جَهَنَّمَ نَارًا تَلْبَسُ﴾⁽⁴⁴⁾

(U) تلخيص البيان في عبارات القرآن، ص. 135.

2) ينظر المتقاعد في القرآن الكريم، و حامد صادق كوي، ص. 358.

٢٢٢

Environ. Biol. Fish. 2012 94: 601

(5) 2007/3 2007/3 2007/3

(5) جامع البيان في تفسير القرآن، 29 / 119.

⑦ الكشاف: 4 / 529

[illegible]

كثيراً^{٤٩} أي: إذا رأيتهم تعرف أنهم أصحاب نعمة إيا ترى في وجوههم من السور والياض والحسن، ومن بهجة السور ورواقه^{٥٠} وتقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا شِدْقَهُ﴾ أي: وأعطاهم مضرة في الوجه، وسوراً في القلب، والفتور في (شِدْقاً) للتعظيم والتضخيم^{٥١} و﴿كَثْرَةً﴾ أي: ذات بهجة وحسن^{٥٢} تنجم لجلالة الذي هم فيه مغمورون يرسم على وجوههم يريقه ونشأه لأن القرآن الكريم حينما يصعب وجوه المؤمنين بالفتور لا يمر عن معنى الحسن فيها حسب بل يحمل اللفظ الدلالة على الإشراف والبريق والحلوص^{٥٣} ولذلك تمكس هذه الكتابة اللوية صورة حية في وصف وجوه المؤمنين، فقد لقرنت الفتور بأحب صورة إلى نفس العرب، ألا وهي صورة ثياب الناس، وذلك أن يكون شدة الفتور مع إشراف ولحان مشابة من طراوة الزرع ولحانهم بحراً حسناً^{٥٤}.

فهذا اللون المشرق من الفتور والياض والخضرة للخصائص من الكتابة ﴿كثيراً﴾ يشير إلى تلك الحالة النفسية التي ملأها البهجة والسور والسمامة بما يلقى معها لم تكتفها من النظر إلى وجه الله الكريم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ كَرِيمٌ﴾ أي: تنظر إلى جلال ربه، وتبسم في جماله، أعظم تبسم لأهل الجنة رؤية المولى - جل - وحلا - والنظر إلى وجهه الكريم بلا حجاب^{٥٥} وقال الطبري: قال الحسن البصري: تنظر إلى الخالق، وحتى لما أن تنسهر وهي تنظر إلى الخالق^{٥٦} والجناس بين الكلمتين ﴿كثيراً و كَرِيماً﴾ بحيث تأمل عبيق كما ذهب إلى ذلك أحد المفسرين^{٥٧} في الصلة بين معنى الفتور وما يترقب عليه، والنظر إلى الله وما يترقب عليه، من الاسترواح في جلال الله ورضاه.

(1) سورة الأنعام، من الآية ١١

(2) سورة الأنعام، الآية ٨.

(3) سورة الأنعام، ٥ / ٥٢٣

(4) المصدر نفسه، ٣ / ٤٩٣.

(5) التفسير، ٤ / ٥٩٤

(6) القاموس اللغوي في القرآن الكريم، ص ١٩٩.

(7) التفسير القرطبي والروية السريعة، ص ١٤١

(8) معجم التفسير، ٣ / ٤٨٦.

(9) جامع البيان في تفسير القرآن: ٢٩ / ١٢٥

(10) انظر أحد مفسري المعاني التي في الأسلوب القرآني، ص ٤٣٨.

أما الكالرون فكما تصوره المكنية (كبرية) «فجوعهم» شديدة للكلوحة والعيرس⁽⁴⁰⁾ فهي غبطة لا ينتظرها من العذاب، ولعلها من ذلك فهي وجوه صفراء كالخلة كما لوححت الكتابة، لأن البشارة للذة السخل قبل أن تصير وطياً⁽⁴¹⁾ لأن أول التمر طلع، ثم غلات، ثم بلع، ثم، ثم وطب، ثم شتر⁽⁴²⁾، فهي صفراء كالخلة⁽⁴³⁾، تشير إلى ما يصطفرح في أنفسهم من الدم والحزن والاكتاب ويتصاعد حلهم وعذابهم لنفسي، بما يتوقعونه من العذاب الشديد القاسم الذي صوره (كبرية): «تَرَىٰ أَهْلَ عَذَابٍ أَكْبَرُ» أي: تتوقع أن يفعل بها فعل هو في شدة وقساوته (كبرية) داعية لتقص ظفار الظهور⁽⁴⁴⁾ فهي صفة لوصوف الخلف ولعبة التي تأتي بملاب عظيم يحل بهم، فهو الخوف والرعب والقلق في مشهدهم المصعب، فهم يتجسسون أن تنزل بهم لعبة لتقص الظفار، والخوف شر من وقوع العذاب⁽⁴⁵⁾، متهد لرحمتهم لفضي وجوعهم ما خشها من صفرة وكلاحة وعيرس وقطوب، من قبل أن تلقى هول العذاب الأكبر في نار جهنم⁽⁴⁶⁾

[illegible]

الكتابة (يُتَر) مثل لفظة تصويرية ضمن مجموعة لفظات يرسمها التعبير التواصلي
الرحى للغة وهو ينكر ويحذر ومعهما دمرة هي لفظاء (تُرْطِلَا) واستحار كله استهزاء

(١) حقوق الطابع، ٩ / ٤٨٣.

(2) لسان العرب: 4 / 28 (ص).

(3) اتفاق العرب في القرن الكريم، ص 197.

(4) ڪٽاڻي 4 / 530

(5) ينظر: مشاهد الكهانة في القرآن، ص: 49.

(6) ينظر الإمبراطور الياباني للقرآن رسائل ابن الأروبي ص 441.

(هـ) قد وردت روايات المصنفه بأن النبي صاب القريدس للفقراء المجرومين، ينظر كتاب القسوس في أسباب القريدس ص 773.

٢٥ صورة للبشر، الأوقات: 18 دقيقة.

﴿كَلَّمَكَ﴾ ثم تكرر الدعوة والاستنكار فزيادة الأيماء بالتكرار ولقطة وهو ينظر هكذا وهكذا في جند مصطنع متكلف يوحي بالسحرية منه والاستهزاء. ولقطة وهو يتطرب حاجبيه عابساً، ويتبعض ملاحظ وجهه بأسراً، ليستجمع فكره في حبة مضحكة! وبعد هذا المعاص كَلَّمَهُ، وهذا الحق كَلَّمَهُ لا ينتج عليه شيء. إنما يدبر عن التور ويكبر عن الحق⁽¹⁾ ويقول: ﴿إِنَّ كَلَامَ رَبِّكَ﴾ **﴿يَا كَلَامَ رَبِّكَ كَلَّمَكَ﴾**.

فالكتابة ومست تطيب وجهه الكمال، فضلاً عما لوحث به من السجدة الصفراء التي تملو وجهه وهو يتصوّل بوضع القرآن بالسحر، قال الراجز: "السر الاستعجال بالشيء قبل لوائه". وقوله **﴿يَا كَلَامَ رَبِّكَ﴾** أي أظهر العيوس قبل لوائه، وفي غير وقته⁽²⁾ فهو التلطيف للتكلف المصطنع ليخفي به الحقيقة التي يستشعرها بعدما ضاقت به الخيل ولم يشر ما يقول في حقيقة مصدر هذا القرآن. ولكنه التكبر يصدّه عن قول الحقيقة، يواجه القرآن بالتهديد الحاسم، والسحرية الثلاثة كمال تصورها الكتابة **﴿يَا كَلَامَ رَبِّكَ﴾**، أي: "أدبر عن الحق واستكبر عنه فقال ما قال"⁽³⁾ والسحرية تتجلى بالكتابة **﴿كَلَّمَكَ﴾** إذ فيها إشارة إلى (استناد) وهو يتولى عن الحق للسحرية منه والاستهزاء، وقد فُهم السياق ابتداءً على استكباره ليرحم أن إدباراً عن الحق ونفوره منه كاس في طيئته التي لا تنطبع إلى سماع الحق أصلاً، وكأنه لم يسمعه لقرب عليه الاستكبار، فضلاً عن أن (الإدبار) حركة حسية مربية فهد لصفة عقلية

(1) في خلال القرآن: 5 / 362-363.

(2) القراءات، ص 46. ونظر: لسان العرب: 4 / 57 (نسر).

(3) الكشف، 4 / 519.

(هـ) إن الله في القرآن الكريم يؤدي دوراً كبيراً في البطء اللوسبي، ذلك أن القرصاني لم لا تبع من دور شعري كالمدي حرفاً في تعليلات الشعر العربي، ولكنّها تبع من القصة نفسها، من اختلاف الأصوات في اللقطة الواحدة وفي سياق الألفاظ وتناصها وتناصها للمعنى ودلائل عليه، وقد بلغت هذه المصبة في القرآن الشؤد في التفاضل والوضوح "المعنى والألفاظ في تسيير القرآن، د كاسد بأسر حسين، ص 342-343. ونظر: لغة القصة العربية، د كاسد بأسر القزويني، ص 136 ونظر: جرس الألفاظ ودلائلها في: البلاغي والقصدي عند العرب، د. مكرم خليل، ص 289 وما بعدها.

لاستكمال تقريراً في نفس الخطى، ثم لا يغفل إيقاع السياق الموسيقي الذي اعتمد الفاصلة حرف الراء يعلّب هذا التعليل لإختفاء المعنى⁶⁰.

ويبين لنا من عرض أمثلة الكتابة باللون المباشر وغير المباشر أنها كانت غنية بإيماءاتها فهي قيمة فنية في تصورها للمعاني والمشاريع فيها ترسمه من خلال حول المعنى فتوحى بأكثر من دلالتها الظاهرة. وهي أكثر ما ترد في مشاهد يوم القلياسة بوصفها أسلوباً ذا قوة تعبيرية في تجسيد المعاني المفعلة والتعبية في حيوية وقوة تأثير وإنتاج.

الفصل الثالث

الكناية النفسية

الفصل الثالث

الكتابة النفسية

تحدد النماذج الأساسية من دراسة الكتابة النفسية في الوقوف على الإشارات الوجدانية والشاعر النفسية التي تجسدها الكتابة بالتصوير الفني الزلزال والتصوير هو الأداة الشائعة في أسلوب القرآن، فهو يعبر¹ بالصورة الخمسة المختلفة من المعنى الذاتي، والحالة النفسية، وعن الحوادث المحسوس، والشاهد للظهور، وعن التصوُّج الانساني والطبيعة البشرية ثم يوتلي بالصورة التي يرمسها فيسميها الحياة الشخصية، أو الحركة الشخصية، فإذا للمعنى الذاتي حركة، وإذا للحالة النفسية جسمة مرمية. أما الحوادث والشاهد، والتفحص، والمناظر، فيوردها شخصية حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة، بإدراك أفعال إليها الحوار، فقد احتوت لما كل عناصر التخييل².

والكتابة القرآنية لا تنف في معانيها ودلالاتها عند التصوير الحسي، وإنما يوحى التصوير فيها بتضامف دلالي معنوي ونفسي مؤثر بقرب الأتكار والمعنى إلى الحس والوجدان فتعمل له النفس انفعالاً من شأنه أن يحدث استجابة نفسية معينة في القارئ.

فالكتابة القرآنية تخرج فيها المعنويات والمجردات والانفعالات النفسية باللباس الحسي الذي يكون قائم في النفس واللمن أحياناً من المجرعات، ولي ذلك بقول الزلاي: "إف التمس مع الحسيات أتم من إتقها مع العقلية لهذا ذكرت للنفس العقلية الجلي" ثم عتبه بالتدليل الحسي فكانه قد نقلت النص من القريب إلى القريب³.

فمثل المعاني في صورة حسية يزيلها قوة وثائماً، وهذا ما ملحظه مع الكتابة النفسية في القرآن الكريم إذ تظهر بالتصوير الحسي دخال النفس، والمشاعر الباطنة، والانفعالات النفسية والمخالجات الشعورية في حركات حسية تابعة بالحياة ترسم نموذجاً جلاء بشرياً بكل عواطفه ومشاعره وانفعالاته المختلفة من تدم وحيرة وخيف وحقد وحسد، وجعود وإحراض ومزعة،

(1) التصوير الفني في القرآن، ص 32.

(2) بداية الإيضاح في دراسة الإعجاز، ص 108 وعلم تفسير التفسير والتفسير 268 / 9 الكتاب الثاني، ص 10 / 25.

ويعرف وعلق وزعم، واحتجاز واستهانة، وفرح وسرة وطمانينة تعرض كل هذه للماني النفسية في سياقات مختلفة وأحوال متباعدة في الحياة الدنيا في مواقف متنوعة، وفي الأخرى في بعض مشاهد يوم القيامة المروعة.

فالكلمة القرآنية أسلوب تصويري من أساليب التصوير الفني يعمل على إثارة الاتصالات الوجدانية، وتنبئة الخيال بالصور والمعاني والظلال وهو يرضى تلك المشاهد المتروكة في طريقة لا تلجأ بالأسلوب الفني التجريدي، إذ إن الأسلوب الفني يعرض المعاني والأفكار في طريقة "تخاطب الذهن والروح، وتصل إليهما بجمرة من ظلالها الجميلة، وفي الطريقة التصويرية يتخاطب الحس والوجدان، وتوصل إلى النفس من مثالب شتى من أحسن من طريق الخواص، ومن الرجلان المتصل بالأصنام والأفهام، ويكون الذهن متصلاً واحداً من مثالبها الكثيرة إلى النفس لا مثقلاً للقدرة العقلية".⁴⁰

لذلك سيجي هذا الفصل ببيان الأثر النفسي الكامن في الكتابة القرآنية في ميادينها وعلومها التي صورتها

وسنعود إلى تناول الكتابات الفكرية النفسية كل كتابه على انفراد، ومن ثم لحاول إبراز الأفكار النفسية التي انطوت عليها برصفتها أحد الأساليب العلمية البارزة في القرن.

ملحق الأسماء:

وردت هذه الكتابة في سياق توبيخ للمؤمنين على موالاتهم لمناصري أهل الكتاب الذين يفسرون الحق والباطل حسب كما يحسد التفسير القرآني بالتصوير الكتابي في قوله - تعالى - : ﴿ كَانَتْ لَوَاكِدٌ فَجُوزِيْتُمْ زَكَرِيَّا وَنَحْمُوسَ وَتُؤْسُوتُ بِكُلِّ كَلِمَةٍ وَلَئِنْ لَمْ يَنْزَلْنَا عَلَىٰ آلِكَ الْقُرْآنَ لَكُنُوا عَذَابًا لَّهُمْ وَأَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْإِزْدِيقُ إِلَّا الْمَاءُ عَذَابًا لَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

الكتابة ﴿ حَسْبُوا عَلَيْهِمُ الْآيَاتُ ﴾ تشير موجز يحسد تلك الاتصالات النفسية لمولاه للتائين بهذه الحركة للنادية للفضلة، وهي حتى اطراف الأصابع (الأنازل) إذا خلا بعضهم إلى

(12) مشاهد القمامة في القرى، ص. 8-9.

(2) مسودہ کی جرحیاتی ایک 119

(٥) لقد صدق بالحركة الكتابية، الحركة للكتابة المرفوعة في التعبير الكتابي سواء أكانت باليد أم بالآلة، أم بالعين لم يغير ذلك من أعضائه جسم الإنسان، وهي كتابة لأنها تطوي على نفس مكنى عنه هو القصد.

بعض، وهو النظم الظاهر الذي تدل عليه هذه الحركة الكتابية⁴⁴، إلا أن هذا المعنى ليس هو المقصود للمادة وإنما المقصود ما يرتبط بهذه الحركة ويلتزمها من مشاعر وانفعالات هؤلاء اللغتين تجاه المؤمنين وهو المعنى للكنى عنه بهذه الحركة. قال أبو حيان: "يوصف للتمناط والاسام بعض الأناهل"⁴⁵، ومسياق الكتابة في الآية يدل على الحق والنيظ ﴿سَمِعُوا عَزَّيْزًا أَتَوَلَّوْا الْكِبَرُ﴾ فالكتابة تدبر عن ذلك الاتصال النفسي وهو شدة النيظ، فمبدأ من التألف والتدمع هنا يوتهم من إلهاء المؤمنين. وشدة النيظ التي تتأهم حقاً وحسباً بمحمق التصير ﴿كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرِهِ﴾ لأن فعل الأمر ﴿تَوَلَّوْا﴾ هو عجز في دلالته يولد منه الدعاء وهو موتهم بميظهم. قال الزخري: "دعاء عليهم بأن يزداد عيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة النيظ زيادة ما يعيظهم من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم في ذلك من اللذ والخزي والتبار"⁴⁶، وهذا إجماع بشدة العيظ الذي يمثل في نفوسهم ليسلمهم إلى الهلاك والموت، وفي هذا تطيب لنفوس المؤمنين وبعث الرجاء فيها والامتناع بوجد الله أن يهلك للناقون عيظاً يامزج الإسلام وإدلاهم به⁴⁷، وهذا كان الله ﷻ يكتف عيظهم وحققهم وحسنهم بذلك الكتابة الحركية التي ظاهرة لمن المؤمنين، لأن الكتابة التي انتهت بها الآية ﴿يَكُنْ الْكُتُبُ﴾ هي مكشوفة لله ﷻ كذلك. وفات الصدور كتابة عن الأسرار الخفية للصاحبة للصدور اللازمة لها لا تفرحها وهي كتابة تتكرر في مواضع أخرى من القرآن⁴⁸، وهي هنا تشير إلى معانٍ تتناسب مع السياق ليكتفها في التور يطلع عليها المؤمنين. جاء في تفسيرها: "فهر يعلم ما تهم صدوركم من شعور النيظ والبهنض، وموجدة الحقد والحسد فكيف يفتي عليه ما تقولون في عيظكم وما يديه بفسكم لبعض من ذلك، ويعلم كذلك كما تنطوي عليه صدورتا معشر المؤمنين من حبة الخير والنصح لكم"⁴⁹.

(1) البحر المحيط: 1 / 341. ونظر: الكشف: 1 / 499.

(2) الكشف: 1 / 499.

(3) نظر: الكشف: 1 / 499.

(4) ينظر سور أكرم: الآية 134، والقصص: الآية 7، والأصفياء: الآية 48، وهود: الآية 5، والقصص: الآية 33، وفاطر: الآية 38، والفرص: الآية 77، والشمس: الآية 24، والحمد: الآية 6، والهمزة: الآية 4، والملك: الآية 3.

(4) شرح القرآن: 4 / 91.

وبذلك تصور هذه الكتبة، فضلاً عن كتابة (عضو الأناضول) مشاريعهم الباطنية، وانعزالهم الظاهرة بتلك الحركة الضميمة قترينهم للأ وغيثاً، وهي تتكشف في السور يطلع عليها عباد الله المؤمنين فينادوا استبشروا بوجه الله باقرهم وعملك أعملهم غيثاً ودلاً

نرد هذه الكتابة في مشهد من مشاهد يوم القياسة في قوله تعالى - ﴿الْمَالُ يَبْسُودُ وَالْعِلْمُ يَنْبُغُ﴾ - وقد سئل العلامة عن كيفية بقاء العلم في الدنيا فقال: «العلم لا يبق إلا في القلوب».

والكتابة في سهاقه التي وردت فيه نسب ولقد في تصوير الحالة النفسية التي فيها الظالم في موقفه المعبر من أي كتابة أخرى عما ذكره الزخسري كعصى الأناجيل مثلاً التي شترك في إعلاها من التمدد في حركتها وصورها مع كتابة (حصى الدين)، وذلك لأن موقف الظالم هنا في مشهد من مشاهد يوم القيامة، وهو موقف مروع عسير يعاين فيه الظالم عذابه ويستيقن بما كُتب من قبل.. فالتعبير عن حالته النفسية ولججها بكتابة حصى الدين توسي بذلك الاتساع الشديد المضطرب وهذا يتناسب الحركة الخلقية المصورة للمعنى النفسي المقصود، فهو لا تكفيه يد واحدة يحض عليها، إنما هو يدخل بين هذه وتلك، أو يجمع بينهما لشدة ما يعانيه من اندمغم في صف على الدين فكون رمزاً مناسباً لحالة الضحية فتجسدها تجسداً لله وهو معنى يتسق بأسلوب النبي الذي يصاحبه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتَكَلَّمُونَ هَهُنَا﴾ إذ تحس الالهام الكروية في هذا النبوءة وكيف تتصلق نفس الظالم بما نطق، وكيف مما لهذه الصرخة الملصقة بهذا الصوت

المبى بقوله (يا) وهي دعوة العبد الذي لا يتحقق حلماً يتمناه ثم تصاعد هذه العبرة في حثها وألها بقوله: ﴿يَتَذَكَّرُ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ وذلك لأن التذم حث على الله لم يشغل سبيل الذين آمنوا سبلاً لله، وأعم حث على الله لثقت سبيل المؤمنين، وهو ليس دعماً لسبيل الذين آمنوا فحسب وإنما هو فرق ذلك معانته له ودعاه في الوجه للقتل⁴¹ وقوله ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ يساهي فيه والله يهي حركته كما قال الزعزعي يقول لما تعال فهنا لوقت⁴² وفلان كتابة من كمن من أطيع بمعصية ولوحى بإسقاط الله⁴³ وقال الزعزعي: نكل من لثقت من المؤمنين غلباً كان خلبه اسم علم لا عالة، فجعله كتابة صه⁴⁴ فهي تشمل كل صاحب سوء يصد عن سبيل الرسول ويضل عن ذكر الله.

وبذلك يتجلى من خلال هذا للشهد التركي فثلاً من الكتابة: هض الينين صورة نسبة بالغة التأثير لجسدها الانفعالات الظاهرة بمركاتها للضرورة من النظام في ذلك الموقف الصعب.

ويستل على هذا للشهد، مشهد النظام يحس على يديه من التسلم العلوي في عرضه حتى يتل للناس أنه ان يتهى، وذلك زيادة في طاب النظام ندماً ولجراً من جهة، ولزينة تأثير للشهد في الخطي⁴⁵ من جهة أخرى.

تقديم الكفّين

وردت هذه الكتابة في سياق قصة الرجلين، جعل الله لأحدهما جنتي فكبر على الآخر وأخر بما عنده من الخير والنعيم ولم يؤمن بربه الذي وهبه هذه النعمة، ففسر الله جنتيه، وحسب يزروعها وشاهداً، فأصبحت أثراً بعد عين، وذلك في قوله: تعال - ﴿وَأُفِيدُ بِتَرْبَةٍ فَتُحْبَرُ عَلَى مَا تَلَقَّى فِي رَأْيِ كَيْفَةٍ عَلَى مَوْجِدٍ وَتُحْبَرُ بِرَأْيِ كَيْفَةٍ بِرَأْيِ كَيْفَةٍ﴾⁴⁶

(1) ينظر دلائل التراكيب، د. محمد أبو موسى، ص 209.

(2) ينظر الكشف، 3 / 328.

(3) تاريل مشكل القرآن، ص 262.

(4) الكشف، 3 / 218.

(5) ينظر مشاهد القرآنية في القرآن، ص 99.

(6) سورة الكهف، الآية: 42.

المصورة للكناية «تَسْبِيحٌ بِحُرِّ كَلِمَةٍ» منجاة في مناجاة عن الاستعارة الكناية «وَلَيْسَ بِشَيْءٍ» ومتصلة بها، لأنها تجسد بالحركة للحالة النفسية الفائقة بتدبير الجنتين الذي صورته الاستعارة بقوتها التصويرية، فقد استعار الاحتارة وأصله من احتار به العدو، لأنه إذا احتار به فقد ملكه واستولى عليه⁽¹⁾ ثم حلف للصارته (العدو) ولقي شيئاً من لوزمه وهي الاحتارة على سبيل الاستعارة وفي ذلك تمثيل لمن تدبير الجنتين لأنها احتارة أمت على شرها وهو نفس ما يكون في الجنتين، ثم تصاعد مشهد الموت في تأخير بالكناية «رَبِّكَ كَلِمَةً مَرْدِيَةً»⁽²⁾ أي: مهشمة معطلة لد سقطت السقوط على الجنتين فأصبحت غراباً ياباً⁽³⁾ فهي صورة كناية لوعي بالتهليم والموت. وصاحبها يقلب كفيه ظهراً ليعلم إشارة لذلك الاحساس النفسي الذي انتابه بعد البطر والاستكبار وهو التندم والتعسر على فسخ ما أقره فيها من مال وجهد، فمبّر باللازم وهو تقلاب الكفين ولزاد المازوم وهو التندم والحسرة⁽⁴⁾ فقلب الكفين أصبح عنواناً ودمراً لهذا المعنى النفسي، وفي الكناية إيماء لطيف بناسب السياق والحالة النفسية تمثل في حركتها التي توحى بتدريج الكفين بعد قبضهما على شيء، أي غياب الشيء بعد حضوره، وكان تقليبهما إعلان من هذا، فضلاً عن التندم والتعسر عليه. كما تكشف هذه الصورة الكنائية من الجانب النفسي الضمير في شخصية هذا النمط من البشر المشحونة بالقيم المادية باعتدائه على غير الله، ورسم التحول الداخلي في هذه الشخصية من غرور التجاح إلى الشقاء والافلاس والظلمة⁽⁵⁾

(1) الكشاف: 2 / 265 ونظر الاستعارة في القرآن الكريم، ص 125
(2) فذكر هذه الكناية في موضعين آخرين في القرآن، ينظر: سورة الفجر، الآية 299 وسورة الحج، الآية: 345

(3) صورة الظلم: 2 / 193

(4) ينظر القرآن والمصورة البيانية، ص 149 ونظر: القرآن، ص 220

(5) ينظر: المصنفون النفسي في القرآن، ص 47. وينظر: الجني والذلال في القصص القرآني، ص 205

وردت هذه الكتابة في سياق عيادة بني إسرائيل للعجل، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا تِلْكَ الْأُمَّةُ الَّتِي كَانَتْ يُدْعَوْنَ لِلْغُفْرِ بِهَا وَاتَّبَعَتْكُمْ ذَلِيلًا فَأَنذَرْتَهُمْ يَدِي أَنْ يَدْحَوْكُمُ فَاسْتَبَسَّوْا وَشَاقُّوا لَهُمْ خُذْ غُلَامًا زَوِيًّا ذَا قُوَّةٍ وَأَوْصِي الصَّالِينَ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَهُمْ وَأَيُّدَهُمْ وَأَرْجُلَهُمُ الْمُسَمَّى وَكُلُوا وَشَرِبُوا أَتَدْرِكُونَ﴾ [البقرة: 238-244].

﴿ثُمَّ كُنْتَ تَرْجُوهُ﴾ صورة كتابية حركية تشير إلى شدة النعم والحسرة على عبادة العجل. قال الزحري: ﴿وَكُنْتَ تَرْجُوهُ﴾ ولا استند ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل، لأن من شأن من استند نعمة وحسره أن يعلق يده عنها، فخصر يده مسقوطاً فيها لأن يده قد وقع فيها. و ﴿ثُمَّ كُنْتَ تَرْجُوهُ﴾ مستند إلى ﴿كُنْتَ تَرْجُوهُ﴾ أي ندموا استند اليهم فسقوط الأيدي لازم له، غير بالضرورة وأراد المقوم.

فالكثابة تصوير لتلك الحالة النفسية المتدهرة المتصاعدة، يخرجهما في صورة تنملاهما العين
ويتأثر بها الحس، وكان التمدد يسقط في أيديهم انعكاساً للفلسفة المنتشرة منه، وهذه الكثابة وإن
كانت تشترك مع غيرها من الكثابات التصويرية التي تشير إلى التمدد والتصغر، إلا أن فيها إيحاءً
لغنياً يناسب مبالغها، لا تعبر عنه كثابة أخرى. فالسباق سياق عبادة العجول والأشراك به، وعادة
الكثابة ﴿شُكَّكَ﴾ ترمي بمثلها الأصلي، وهو السقوط من أعلى إلى أسفل، جاء في أساس
البلاغة "سقط من الجبل، وسقط الشيء من يده، وهذا سقط السوط. وهذه مساقط الخيول
ومواقفها" ^(١) فالكثابة وإن كانت تعبر في دلالتها الرئيسة السقوط النفسي للتصلل في التمدد
والتصغر والذي يتجسد في صورة حبة إلا أن فيها إيحاء السقوط لانهم للزوم (لمعجون) من
أعلى إلى أسفل في قومهم وفي واقعهم، وفي ذلك تتجلى السحرة منهم ومن إلههم الذي لا
ملك حياة ولا مملة

وبذلك فإن الكتابة تؤدي للمعنى المراد غير انه في موضعها الذي تشكلت فيه وتوصي
بمعان إضافية مع السياق واللطف الذي يقصد إليه القرآن.

(1) سورة الأعراف: الآيات 148، 149.

② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿ ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿

التكرير: القارأان: حميد أبو زهره، ص: 241.

• 4. 219, ③

رَدَّ الْأَلْفَاءِ فِي الْأَفْوَاحِ:

وردت هذه الكتابة في قوله - تعالى - ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ يَقُولُ بَلَغَ أَجُّهُمُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَخْرُجُونَ خِلْفَكَ وَقَاظَ عَنَّا إِلَهُكَ لِئَلَّا يَخْلُتَ إِتْرَافَكَ وَنُفِخَ فِي السُّورِ الْأُولَىٰ﴾ (١).
الكتابة للصورة للمعنى في سركتها الثانية العليقة ﴿قَرَأُوا الْقُرْآنَ﴾ فيها معان وإيماءات متعلقة ومن هذه المعاني ما يعود الزخرفي في تفسير ﴿قَرَأُوا الْقُرْآنَ﴾ (٢) معصوها غيظاً وضجراً بما جاءت به الرسل، كقوله: ﴿يَا كَذَّابًا لَا تُدْرِكُهُ الْيَمِينُ﴾ (٣).
لو عصبنا واستهزاء بمن على الضمك فوضع يده على فمه، أو أشاروا بأنهم إلى أنفسهم وما بطلت به من قولهم جفلة صبيح أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره، التناطح فم من الصديق أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون، وقيل الأيدي جمع يده وهي النعمة بمعنى الأيدي، أي: رَقُوا نعم الأنبياء التي هي أجل للنعم من مواهبهم ومصلحتهم وما أوحى إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم، لأنهم إذا كثروها ولم يملوها، فكأنهم دفنوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق التثليل (٤). وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بهذه الكتابة كما يقرئ الشريف الرضي: "لأن الكفار كانوا إذا بدأ عليهم الرسل بالكلام مستوا بأفواههم أسماهم دفناً، وألغواهم دفناً، إظهاراً منهم لقلَّة الرغبة في سماع كلامهم وجواب مقالهم، فيدركهم جهلاً القمل حلى أنهم لا يصغون لهم إلى مقال، ولا يحيونهم عن سؤال، إذ قد أبهموا طريق السماع والجواب، وهذا الأكلان والألفاء" (٥). وقال بعض المحدثين 'رَقُوا أفواههم في أفواههم كما يفعل من يريد توقيف الصوت ليسمع من بعده، يتصمك كلسه أمام فمه وهو يرفع صوته دفناً ولهاًياً ليموج الصوت ويضع يده على فمه الحركه التي تثبت على جهرهم بالكلام والشك واضحاهاهم في هذا الجهر، وإيتاهاهم بهذه الحركه العليقة التي لا أدب لهما ولا ذوق، إمعاناً منهم في الجهر بالكفر' (٦).

(١) سورة إبراهيم الآية: ٩

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ١١٩.

(٣) التكملة: ٢ / ٢٢٢. وينظر القرطبي، ص ٢٨٥

(٤) تلميح البيان في جازات القرآن، ص ١٨٢

(٥) في شلال القرآن: ٥ / ١٤١.

وكل هذه المعاني توحى بها الكتابة وتتجمع فيها تشير إلى (معان حولاء بالكتابة والكفر وإصرارهم وتصميمهم على عابية رسول الله - صلوات الله وسلامه عليهم - بالإلهاء والحرية منهم، وهذا الإصرار منهم على الكفر والكتابة لئلا يوحى به الكتابة تصوره على أنه سلوك منهم دائم متكرر لأنه حركة كتابية متكررة، فالتأمل (وقد) الذي بُنيت عليه يوحى بهذا التكرار، جاء في أساس البلاغة: "وقد القول: كثره، ولا غير في القول المردد ورواه القول واجده ناه" ⁽¹⁾ وقال الخليل في هذه الكتابة: "ولست عال الرد في ذلك تيهياً لهم فعلموا ذلك مرة بعد أخرى" ⁽²⁾ فليتعمق بتكرار هذه الفعل الكتابي وتأكد للمعنى المكتسب منه الذي يصمم بالكتابة والجهر بالكفر وإصرارهم عليه، لغرضهم غلبة كائنة يناسبها التصور بتلك الحركة الكتابية الغلبة.

جعل الأصابع في الأذان واستغشاء الشهاب:

وردت حاشيتان الكتابتان في آية واحدة وصفاً لقوم مرح ⁽³⁾ وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْمَعُونَ دَعْوَةَ رَبِّهِمْ إِذْ يَقُولُ حَتَّى يَسْمُرُوا السُّمُومَ فِي كُفْرِهِمْ وَاسْتَنْصَرُوا نَجْوَكَمُ﴾ ⁽⁴⁾ لئلا يسلط تولدج الكافرين حركتهم: ﴿يَسْمُرُوا السُّمُومَ فِي كُفْرِهِمْ﴾، ﴿وَاسْتَنْصَرُوا نَجْوَكَمُ﴾ في تأدية المعنى النفسي المقصود على نحو في مؤثر.

الكتابة الأولى: ﴿يَسْمُرُوا السُّمُومَ فِي كُفْرِهِمْ﴾ تعبر مرح بعد حاشية لفهم نوح ⁽⁵⁾ بهذه الحركة المادية وهي صد أنانهم بأصابعهم كيلا يسمعوها رسولهم وما يدهوهم إليه من الهدى والنور والعمرة. وهذا هو المعنى الظاهر الذي تدل عليه هذه الحركة الكتابية البهيمية التي تشي بسوء أدهم وتصرفهم مع نبي الله واستهزائهم به إلا أن هذا المعنى ليس هو المراد لمصنف، وإنما المراد المعنى المكتسب من الذي يرتبط بهذه الحركة ويلزمها وهو إحالة النفس لغرض تجاه الناعي والدعوة، وهذه إحالة النفس تشتمل في تصميمهم على الإصرار وعدم الاستماع إلى ما يدهوهم إليه البشة. وهذا التصميم في الإصرار من الاستماع والشفقة في مكابرتهم، لئلا يوحى به بية الكتابة، فهو لم يقل (يعلمون أنانهم في آياتهم) كما يقتضي التصريح في

(1) ص 159 (رد).

(2) لقرآن، ص 280.

(3) سورة نوح، الآية 7. ونظر: سورة البقرة، الآية 19 حيث تكرر كتابة (جعل الأصابع في الأذان) ونظر: سورة هود، الآية 5 حيث تكرر كتابة (استغشاء الشهاب).

الظاهر، لأن الأنازل (الطراف الأصابع) هي التي تجعل في الأنازل وليس الأصابع كلها، قال الرخشي: "فهذا قيل كمالهم. قلت: هذا من الاستعاضات في الكلمة التي لا يكاد الحاصر يحصرها وليس في ذكر الأصابع من ذكر المبالغة ما ليس في ذكر الأنازل"⁽¹⁾، وهذه المبالغة تتمثل في الضبط الشديد بالأصابع على الأنازل فتوحى بذلك الإحراش الشديد وضدودهم وبضضهم للدهوة وكراهتهم لها وهم إذ قد حطوا سمعهم، فأنهم يمدون إلى نقطة أنفسهم بنهاهم حتى لا يروا الداعي، فضلاً عن عدم سماعه إماماً في الإحراش والاستكبار، كما تصور ذلك الكتابة الثانية ﴿وَيَسْتَكْبِرُوا يَكْتُمُونَ﴾ قال الرخشي: ﴿وَيَسْتَكْبِرُوا يَكْتُمُونَ﴾ وتطاولوا بها، كأنهم طابوا أن تشاهم نياهم أو تشبههم تلاً يصرون كراهة المنظر إلى وجه من ينصهم في دين الله⁽²⁾، لهم كارهون للداعي والدهوة سواء، وهم لم يكتفوا بتطويل أسماعهم بلأنهم قد عطلوا أبصارهم كما أوحى الكتابة ليس أبصارهم التي نوح⁽³⁾ ورؤيتهم في أثناء دهوتهم ثم فحسب، وإنما الكتابة وأمره ودالة على تعطيل أبصارهم في المعنى الشامل للشاهي والدهوة والتفكر فيما يدعوههم إليه، فهم بمنزلة من مسح بصره بوصفه وسيلة للإدراك والمعرفة. وبذلك تضاعف الكتابة في التعبير بصورهم سلوي وسائل الإدراك (السمع والبصر) المادية إلى التفكير والإيمان، قال أبو حيان: "ذلك كلمة عن المبالغة في إحراشهم حساً دعاهم إليه، فهم بمنزلة من سح بصره"⁽⁴⁾ ﴿وَيَسْتَكْبِرُوا يَكْتُمُونَ﴾ أي واستمروا على الكفر والظلمان، واستكبروا عن الإيمان استكباراً عقلياً، وفيه إشارة إلى فرط عناوهم، وغلومهم في الضلال⁽⁵⁾.

وأحراش قوم نوح⁽⁶⁾ وضدودهم الذي صورته الكتابان بطولهما التصيرية في التصوير اللوحي يتبع بالاستهارة: ﴿وَيَسْتَكْبِرُوا﴾ إذ إن الإصرار على الضرب من إصرار الحصار على المالة كما قال الرخشي⁽⁷⁾، فقال في تفسير قوله ﴿وَيَسْتَكْبِرُوا﴾ 'الإصرار: من أصر الحصار على المالة إذا صرّ قوته وأبلى عليها بكنهها وطردعا، استصر للإقبال على للعاصي والاكباب

(1) التفسير: 1 / 217

(2) نفسه: 4 / 493

(3) البحر المحيط: 8 / 338

(4) ينظر: التفسير: 4 / 493

(5) أساس البلاغة، ص 232 (أصروا).

عليها⁴⁰⁹ والاستعارة موحية بأن قوم نوح ٣ كانهم صعدوا وسائل للمرشد، ونسوي هذا إن شاء الله ٣ شبه عمل البشر من الجن والإنس الذين صعدوا وسائل للمرشد، والعباد والأذن، صعدوا وعلموا بالإنسان فقال: ﴿...وَلَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ يُعْذِرُكُمْ فَتُكْفَرُونَ﴾⁴¹⁰
فدلالة الاستعارة نوحى بأن قوم نوح أشبه بالخمر الذين يركضون وراء الأتني لطلبها، فأكابهم على الماضي، كإكباب الخمر على العانة⁴¹¹.

وراء حال قوم نوح يوصفهم الذي صوره التصوير الكتابي والاستعاري، فإن الكتابين فهما إلهام يلهم من طرف غيبي، هو تصميم النبي نوح ٣ وبجاءته في تليف الدعوة لقومه في كل فرصة سانحة وودت بالوصولها إلى أسماهم ويزاجهم مواجهة بلغ عليه أنقارهم رغم إصرارهم الفاسم واستكبارهم الثابت.

الهدوء وراء الظهور:

وردت هذه الكتابة في موطنين من القرآن فتشبه بشأن اليهود مصورة لحقيقهم في اعدائهم الباطخ المين وطرحه وراء ظهورهم، كما نقرأ من قوله - تعالى - ﴿قَدْ كُنَّا كُفَّاءً لَّكَ صَاحِبِينَ﴾⁴¹² ﴿لَقَدْ كُنَّا كُفَّاءً لَّكَ يَوْمَئِذٍ كَالَّذِينَ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾⁴¹³ ﴿لَقَدْ كُنَّا كُفَّاءً لَّكَ يَوْمَئِذٍ كَالَّذِينَ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾⁴¹⁴

التعبير ﴿قَدْ كُنَّا كُفَّاءً لَّكَ يَوْمَئِذٍ﴾ يصورهم بحال من يطرح الشيء وراء ظهورهم وهذا التعبير في حقيقته قائم في بيته على الاستعارة (اللبس) وعلى الكتابة ﴿قَدْ كُنَّا كُفَّاءً لَّكَ يَوْمَئِذٍ﴾ لقد توارتج الاستعارة والكتابة في أنه الدلالة التي يهدف إليها القرآن في حركة مصورة، لعل الشريف الرضي⁴¹⁵ والمراد أنهم فعلوا عن ذكروهم وتشاغلوا عن فهمه، يعني الكتاب المنزل عليهم، فكان كالشيء للأفنى خلف ظهر الإنسان، لا يراه فيذكره، ولا يلتفت إليه فيظهره⁴¹⁶ والطرح والتفكير للشيء ليس فيه معنى (اللبس)، لأنه لا يتبدل إلا الشيء الخفي التافه الذي لا

(1) الكشاف: 4 / 493.

(2) سورة الأعراف، من الآية: 179.

(3) الجن والدلالات في لغة القصص القرآني، ص 263.

(4) سورة آل عمران، الآية: 187. ويظهر: سورة البقرة، الآية: 181.

(5) لمحيي البيان في مجازات القرآن، ص 126.

يُقال به ⁽¹⁾ فالنبي يدل على احتلالهم وسخرتهم وخفتهم للمعركة التي فيها استغناء وكراهية لكتاب الله.

فلاستعارة (النبي) التي عدل إليها القرآن بدلاً من (الفرق أو الطرح) مثلاً يعني استعارة تصريحية فيها تشبيه من يترك أو يطرح كتاب الله وراء ظهره احتقاراً له واستهانةً به مع شيء فيه وراء ظهره، فاستعير لشيء به (الاستعارة منه) وحذف الشيء (الاستعارة له) على سبيل الاستعارة التصريحية.

فلاستعارة التي أخرجت المعنى في حركة تصورية، موحية للخيال أشد الإيحاء بهيكل اليهود وكبرهم لكتاب الله، ويتصاعد هذا الإيحاء وينمق بالكتابة ﴿وَرَاءَهُ ظُهُورُهُمْ﴾، قال الزحري: "وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم عنه مثل ما يرمي به وراء الظهر استهانة وقلة الخشوع إليه ⁽²⁾ ونقول العرب "جعل هذا الأمر وراء ظهره أي تولى عنه مبرحاً لأن ما يعمل وراء الظهر لا ينتظر إليه، فهو كتابة عن الإعراض عن التوراة بالكتابة ⁽³⁾

فالكتابة لتدل على الإعراض لأن من أعرض عن شيء تجاوز، فخلقه وراء ظهره، وفي إضافة الراء إلى الظهر تأكيد لبعث التوراة بحيث لا يلقاه بعد ذلك، فالظهر تأكيد لعنى وراء كقول النكاح، من وراء وراء ⁽⁴⁾ وعلمنا التصوير الكتابي يدع الخيال يتلقى هذه الحالة الزمنية الموحية بمخافتهم وخفتهم وشاعة نصرتهم، فليلاً هي جبروتهم لكتاب الله وحجبه عن الناس.

والكتابة فضلاً عن الاستعارة تنسي إحساساً نفسياً في الخلق وانفعالاً بعبثاً يتأب شعور، ووجدانه تجاه اليهود، لأن الدلالة الإيجابية النفسية فيها ترتبط بكتاب الله وهو يُنبذ وراء الظهور، ويعمق هذا الإحساس الاستعارة التصريحية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا بِهِ كِتَابَ﴾ التي انتهت بها الآية. بالاستعارة ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا﴾ بدلاً من (استبدلوا) توحى بأن هؤلاء اليهود لا يكتبون بنبذ كتاب الله وراء ظهورهم سرية واستخفاء، وإنما لا يتورعون كذلك على عهد الصفقات التجارية بأيات الله من عهد الوعد وتجمع على الله والناس ليتألوا (الذين القليل) طغياناً منهم

(1) ينظر الفرق الثاني، ص 385 ونظر: أساس البلاغة، ص 643 (نبي).

(2) الكتاب، 1 / 300، 486.

(3) صورة الخشوع، 1 / 84.

(4) ينظر: تفسير السمرقاني، 1 / 626، الكتاب الثاني.

وكتراً وريادةً في الشعرية وإسماءً في الاعتناء، فضلاً عن أن التعبير القرآني يُوسّي بأن هؤلاء اليهود يرون في كتابهم شيئاً لا قيمة له في حياتهم فيستقنون عنه بالبيع ويأكلون لحمه، ولا ريب أن هذه الأفعال تثير استهجان وانفعالات في النفس المؤمنة، فهم يبخلون بالعمود في كل مرة، ويبدلون كتاب الله ورثه، ظهورهم، ويشقرون به ثمناً قليلاً فبشيء ما يفعلون وشيء ما يشقرون.

الانقلاب على الأعقاب:

وردت هذه الكتابة في سياق يُوسّي بالتعليق على المؤمنين فيما كان منهم من العار والانسحاب عن رسول الله ﷺ من أرض الميركة في أُشدّ، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿وَمَا تَسْأَلُوا إِلَّا رَسُولًا قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَكُنَّ كَأَنَّ لَيْسَ لَكُم مَعَهُ حَقٌّ مِّمَّا كَفَبْتُمْ وَعَن يَدَيْكُمْ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۚ﴾¹⁴³

الكتابة التصويرية ﴿كَفَبْتُمْ مَعَهُ كَفَبْتُمْ﴾ تصور للمعنى النفسي في صورة حسية مؤثرة في النفس، وهي تتمثل هنا للشاهد الحسي المتصور للتمثل في هذه الحركة الصيفية السريعة في أرض الميركة. والمعنى القريب للكتابة هو الانصراف عن رسول الله ﷺ والاكتشاف عنه في الميركة¹⁴⁴ قال الفراء: "قلب الشيء" تصريفه وحصره من وجه إلى وجه كقلب الثوب، وقلب الإنسان، أي حصره من طريقته والانقلاب الانصراف¹⁴⁵ إلا أن الكتابة تدعنا لتفصيل حركة صيفية تتمثل في الانقلاب على الأعقاب في حركة مصف دائرية مهبأً وشمالاً تشير إلى المعنى المكتنى عنه بعميقة وقوة تأثير. وهو الحركة النفسية العنيفة في أرض الميركة التي انتهت لقوس المؤمنين ولؤلؤهم فزلزلتها خوفاً وحلماً فانتلبوا منهزمين. ويبدى جمال الكتابة شيئاً في انبساطها بحرکتها المنعقدة الغليظة المصورة للهجرة النفسية مع جو معركة أُشدّ الذي جاءت فيه والتي كان وقدها حيناً شديداً على قلوب المؤمنين ونفوسهم.

والكتابة ذات بعد شامل في معناها يتجاوز الخزمة في أرض الميركة إلى معنى الارتداد عن الدين جاء في التعبير ﴿كَفَبْتُمْ مَعَهُ كَفَبْتُمْ﴾ من قيل لقتل تضرب لمن رجع عن الشيء بعد الإقبال عليه والأحسن أن تكون عامة تشمل الارتداد عن الدين الذي جاءه بالدعوة إليه بعض

(1) سورة آل عمران، الآية 144 ونظر سورة البقرة، الآية 143

(2) نظر الفراء، 1 / 468، والمفردات، ص 628.

(3) المفردات، ص 620.

للمنصفين، والارتداد عن العمل كالجهاد ومكافحة الأعداء وتأييد الحق^{١١٦} ويتأكد هذا الجهد الشامل للكتابة حين أحس عدد من المسلمين في معركة أحد أن لا جفوى من قتال المشركين، حين حذب الخائف أن عملاً قد بُدئ، وظنوا أن موتهم نهاية أمر هذا الدين، ونهاية أمر الجهاد للمشركين. وهذا الخائف، وما أطلق من فراخيف في أرض المعركة كانت من قول المنصفين.. ولارتباب الزميين وحركتهم النفسية تجسماً للكتابة، فتصورها حركة ارتداد على الأعداء، كارتدادهم في المعركة على الأعداء^{١١٧}.

تذكير الزوار:

ثاني هذه الكناية في موضعين، أحدهما في مشهد من مشاهد يوم القيامة وصفاً لحال
الجرمين وهم ماكس رؤوسهم عند ربهم في قوله - تعالى - ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْزِلُ الْآيَاتِ لِلْغَافِلِينَ ﴾ (آياتنا
ننزلهم عند ربهم ذواتها فجاءت آياتنا تسفل سفلهم) ^١ الله
الصورة الكنائية لمركبة ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْزِلُ ﴾ ينطوي تحتها معانٍ وإيمادات فهي تشير إلى
عجز الجرمين واعترافهم بالخطية والإقرار بالحق الذي جعلوه في حياتهم الدنيا ^٢ هي تجسد
للحالة النفسية العصية في موقفهم هذا وهي دالة على اللذ، والانتكاس، والتدمل والحجل نما
أبجود، لمطالون العود إلى الأوس لإصلاح ما فات في الحياة الأولى وقد فات الأوان، وهذه
الوقوف الخسفي للمجرمين يعكس المشهد وسنذكره بحلف جواب (لو)، وذلك لترك لحال الخسفي
أن يصور، ولتعب فيه تنس كل ملعب في تقديره، قال الفراهيدي: "لو الاتصاف قد حلف
جوابها، وهو لرايت أمراً فليحاً. لو: لرايت أسوأ حال ترى ^٣، فحلفه ليبلغ من ذكره في
وصف حال الجرمين في هذا الموقف العظيم عند ربهم، لأن في ذكر الجواب تنصيفاً له وتجليداً،
لهو موقف مروع صعب على الجرمين الذين كانت رؤوسهم شاخية في الدنيا لا نسمع نول
الحق ولا تبصر طريق الهدى، فهلم تنس رؤوسهم ذلاً وانتكاساً، وهم الآن قلس يسمعون

162 J. A. Jón et al.

(2) ينظر في خلال المراجعة، 94 / 2، ويظهر الكشف، 1 / 408

G) سورة المجدة الآية 12. ويظهر التفسير الأخير سورة النساء الآية 65 في سياق لغة سيدنا

ایران و جهان ۱۳۸۸، ص ۱۰۸.

(4) ينظر في خلال الفترة: 6 / 6 / 16.

(5) 403 / 3 403 / 3

ويصرون في موقف العذاب والحزني والمؤلم، والألم يلهون ويستثبون - حين لا يضع الدعاء ولا تنجي الاستعاذة ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَفْوَاجًا﴾ أي: أضرنا صلف وعكس وعبدك رصعنا منك تملق رسولك أو كنا عبياً وصفاً فاصبرنا وسمعت ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَفْوَاجًا﴾ إلى الدنيا ^(١٠)

فهم كانوا مبدئياً وصحياً في الحياة الدنيا كما يشهدون على أنفسهم، فيسبحون بربهم ويكبرون، لأنهم عظماء وسبق للحرقة الكفالة إلى الحق والنور والمبدأ، فمالوا بربهم من الحق بكبراً وعيلاً، فاجتهدت الصورة الكتابية لتصور تلك الرؤوس مطاطة غاشمة مطرقة ولتلك على جزائهم من جنس معلوم.

وقدم لنا القرآن نظاماً من مولا، بالآلة الكتابية نفسها، تصور موقفهم في الحياة الدنيا من الإيمان والهدى بعد لزوم الحجة والبيان في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه بعد تكفير الأصنام، ليجادلوه بالباطل لينسحبوا به الحق، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُكُمْ مِمَّا كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٥] ﴿ قَدْ أَفْلَحَ عَبْدُ اللَّهِ إِذْ كَفَرَ ﴾ [الشورى: ٢٦] ﴿ ثُمَّ لِيُوَافِقَهُ رَبُّهُ فَذُرِّيَّتُهُ لَكَ وَتَكُونُ مِنْكَ لَوْ كُنْتَ عَلِيمًا ﴾ [الزمر: ٤٠] ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَمْ نُجِبْ لَهُ إِلَّا عَنَاءً ﴾ [هود: ٩٨] ﴿ ثُمَّ لِيُوَافِقَهُ رَبُّهُ فَذُرِّيَّتُهُ لَكَ وَتَكُونُ مِنْكَ لَوْ كُنْتَ عَلِيمًا ﴾ [الزمر: ٤٠]

الزهرى. "نكس قلبه فجعلت أسفله أصلاً، وانكس انقلاب" (١٥) فهم قد نابوا على رؤسهم حقيقة عما بهتهم به إبراهيم (عليه السلام) أحاروا جواباً إلا ما هو حجة عليهم (١٦)، فثبت هذه الحركة إلى ما أثبت لقوسهم من عجل وانكسر عند لزوم الحجة بالحركة التكنائية تصوير لا تكناهم الذي بعد أن ادعوا: استظفروا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة لم انكسروا وانقلبوا من تلك الحالة، فاعلموا في الجادلة بالباطل والمكابر أو انكسروا من كونهم مجادلين لإبراهيم (عليه السلام) مجادلين عنه، حين ضوا عن أصنامهم القدرة على التطق (١٧) واستقامتهم حين رجعوا إلى أنفسهم بصورة الآية: ﴿فَرَجَعْنَا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَنُصِرْنَا إِلَى رَبِّهِمْ أَفَلَا تُفْقَهُونَ﴾ (١٨) فهم شهدون على أنفسهم بالقليل بمقابلة هذه الأصنام، وهي رجعة إلى النطرة والاستقامة فيسلطهم

400 1998 (19)

(2) معرودة الألبان والأغذية (20.08.02)

[3] كيتان، 3 / 98 ونظر أمام البلاط، ص. 471-472 (ك.م.).

(4) الكتاب: 3 / 98 ويطلب: تلخيص القرآن، وعمل فيه القرآن، ص: 231.

(٢) الكتاب: ٣ / ٩٩

تصوية الأرض بالكثاويق:

هذا هو الحب القريب الذي تدل عليه الكتابة، أما الحب البعيد الذي أشارت إليه
الخطبة من قبله الأمر عليهم وهو أنه تصوير لحالهم النفسي المشقة عجباً وتناماً، وغزياً
ومهاة في ساحة العرض بمشهدها العظيم الذي تشهد الرسل والأمم، كما أخبر قبل الكتابة.
﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّبُوا بِكُتُبِنَا كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّبُوا بِكُتُبِنَا ﴾^(٤٥) فهم مكشوفون في
ساحة العرض لا تخفى منهم حاليه، والشهد حاصر يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبينهم^(٤٦) فما
يصنع هؤلاء الكافرون في هذا الموقف الذي كلوا به لا يؤمنون؟ إن جمال التصير الكشفي هنا
يتمثل في حق الظلال النفسية والشعورية التي يجلبها، والجمال الذي يفتحه لتأمل بواطن النفس،
وعلمجات الحس، في هذا الموقف الذي يفتحه الكافرون، ولقول النبي الذي يمتدح من عجل
غزى وتنامة^(٤٧)

(6) ينظر: مشاهد القيامة في القرآن، ص 207-208.

خضوع الأعتاق:

وردت هذه الكتابة في قوله - تعالى - خطاباً للرسول ﷺ ﴿ فَكَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ إِذِ انبَثَرَتْ عَلَيْهِمْ أَجْنَادُهُ مِنْ سَبَإٍ خَلَقُوا ذُرًى ذَرِيَّةً فَأَنزَلْنَا مِنَ الْمَدْيَنِ بَنِينَ ذَكَرْنَا آلَ هَارُونَ إِذْ هُمْ يُصَلُّونَ ﴾⁴³

جاء في التفسير: " لعل للأعتاق، يعني أثنى على نفسك أن تغلبها حسرة على ما لك من إسلام قومك ﴿ الْإِنشَاءُ ثَمُودُ ﴾" فلا يؤمنوا، أو لا تمتنع لإعتاقهم، أو خيفة أن لا يؤمنوا، (آية) أزداد آية ملجئة إلى الإيمان قاصرة عليه.⁴⁴

والكتابة ﴿ فَكَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ ﴾ ذات تشكيل في في التعبير عن المعنى المتصور وقد لحظ الزحشري ذلك فقال: "إن قلت: كيف صحَّ بيء خاضعين خبراً عن الأعتاق قلت أصل الكلام، فظنوا لها خاضعين، فالتصمت الأعتاق ليان موضع الخضوع"⁴⁵ وهذا الاتهام للأعتاق في الصورة وبجيه ﴿ ثَمُودُ ﴾ غير أنها، أعطى الصورة الكتابية حيويتها وقوة تأثيرها صورةً ومعنىً لتأكيد دلالة التفسير والتفهيم في خضوع أعتاقهم كرهاً بآية تفسرهم على الإيمان فسرناهم بها المعنى للكنى عنه للتأمل في ذلهم وهولتهم، لأن أعتاقهم عاصمة لا تستطيع حركة في حقيقتها التي رسمتها الكتابة، فهم عليها مقيمون ثابتون.

ولا يخفى ما في هذه الصورة الكتابية من تسلية للرسول ﷺ وتوسية عنه كما كان يدنيه من تكذيب قومه، وهو يحرص على إعتاقهم وحلهم.

بلوغ القلوب العناجر:

وردت هذه الكتابة في موضعين من القرآن، الأول في سياق معركة (الأحزاب) في قوله - تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَئِنْ فَعَلْتُمْ كَيْدِي فَلَنَهْلِكَنَّ كَيْدِيكُمْ وَيَمْسِلَنَّ رَبُّكَ عَلَى الْكَافِرِينَ أَهْلًا مَدِينًا وَلَيَذَلَّنَّ اللَّهُ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَحْكُمُونَ بِالْهَوَىٰ وَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْكِتَابِ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ عِثْرَ الْأَوَّلِينَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ عِثْرَ الْأَوَّلِينَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ عِثْرَ الْأَوَّلِينَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ عِثْرَ الْأَوَّلِينَ ﴾⁴⁶

(1) سورة الشورى، الآية 3.

(2) الكشاف 3 / 235.

(3) تيسر 3 / 235.

(4) سورة الأحزاب، الآية 9.

والموضع الثاني في مشهد من مشهد يوم القيامة في قوله - تعالى - ﴿ وَنُفِثَ مِنْهُمْ هَرَمٌ ۚ﴾¹⁰

في الآية الأولى مهدت كائنتان متلازمتان في معامعا لمعنى الكتابة ﴿ وَكَانَتِ الْكُتُوبُ الْمَكْتُوبَةُ ﴾ هنا ﴿ بِمَا كُتِبَتْ مِنْ قَوْلِكُمْ وَمِنْ أَفْعَالِكُمْ ﴾ و ﴿ وَكَانَتِ الْكُتُوبُ ﴾ ، ﴿ بِمَا كُتِبَتْ مِنْ قَوْلِكُمْ وَمِنْ أَفْعَالِكُمْ ﴾ كتابه من إحاطة جيش الأحزاب الكتابي يتحدون من سوق دأوس ومكتبتهم منهم كل فكن، وكان جيش الأحزاب بالتصوير الكتابي يتحدون من سوق دأوس للمسلمين، وكان الأرض تنصر عنهم من تحت أقدامهم⁽³⁾ فالكتابة تصور كثرتهم، فهم كالمحول يحيط بالمسلمين ليكرهم فيبدأ نفوسهم غولاً ورجلاً، وهو المعنى الذي تصور الكتابة الثانية في حركة ميولهم وميلاتها حيرة ودمعة عمداً ﴿ وَكَانَتِ الْكُتُوبُ ﴾ قال الزهرشي: ﴿ وَكَانَتِ الْكُتُوبُ ﴾ حالت من سبتها وسوى نظرها حيرة وشغواً ونيل عدلت من كل شيء فلم تلت إلا إلى حفرها لشدة الروح⁽⁴⁾ فالتصوير الكتابي يتدرج في وصف الحالة النفسية للمسلمين ليزع الأبصار بمثل أولئك أصحاب الشدة، فالتكروب المفاجئ يرسل بصره، ويقلب عاجره، يثقت هنا ومساءً خيفاً حاراً، والكتابة ﴿ وَكَانَتِ الْكُتُوبُ ﴾ عبرة من هذه الصافي، لأن الحيرة والندش لازمة من لوازمها⁽⁵⁾ ثم لتساعد معاني الحرف والاضطراب والفرع التي انتهت نفوسهم بالكتابة ﴿ وَكَانَتِ الْكُتُوبُ الْمَكْتُوبَةُ ﴾ فهي كتابه من شدة الحرف والفرع، حتى تكاد الحروف يتصاعد بالقلب ليعمل به إلى حيث يخلق كما تصوره الكتابة، قال الزهرشي: "قالوا، إذا انتصت الفرقة من شدة الفرع أو الغضب أو القم الشديد رمت وارتفع القلب باوتقاعها إلى رأس الحنجرة"⁽⁶⁾، فالكتابة من لوازم هذه الأحوال النفسية.

$$10.45\text{ g } \text{Sn} \times \frac{1\text{ mol}}{118.7\text{ g}} = 0.0885\text{ mol} \quad (3)$$

(2) ينظر من أسرار المسيح القرائي دراسة تحليلية لسورة الأحزاب - د. محمد أبو موسى، ص 47.

(٥) الفصول ٣ / ٤١٦

(4) ينظر: من أسرار الصبر الفراقى، ص 48.

(5) الكسالى 3 / 417. ينظر الألفاظ الفصيحة في القرآن الكريم، دراسة دالية، ص: 29

وبذلك يجد التعبير الكتابي للمعنى الحالة النفسية الفزعة المذكورة للمسلمين في مشهد من مشاهد التواخية مع أبناء الله والمسلمين.

وعن تصور شدة الخوف والفزع التي تثابت للمسلم في هذه المعركة وعظمها أن الكتابة ترد في مشهد مشاهد القيامة، وهي مشهد مصيبة مروعة ﴿وَكُنُوزُهُمْ فِي الْأَيْدِي إِذْ الْكُوفُ بُدِيَ الْخَشْيَةِ قُلُوبُهُمْ مَا يَلْعَلُوهَا مِنْ يَحْيَى وَلَا تَنْجِيحٌ لِمَنْ﴾.

ثم لاحظنا القلوب كأنها تفرق مواضعها ويبلغ الخطر حداً من شدة الضيق⁽¹⁾ والكرب بالتصوير الكتابي ﴿إِذْ الْكُوفُ بُدِيَ الْخَشْيَةِ﴾ الذي يشير إلى الحالة النفسية للقلوب وما يتلهاها من حلع وخوف من شدة الموقف وعوله إلا أننا نلاحظ تبايناً في التعبير عن المشاهد النفسية وتصويرها على الرغم من استعمال الكتابة نفسها مع اختلاف في تركيبها، حيث نلاحظ هناك ﴿وَلَقَدْ أَقْبَلُوهَا فَتَشْكِرُ﴾ وقال هنا ﴿إِذْ الْكُوفُ بُدِيَ الْخَشْيَةِ﴾، وكل من التركيبين يناسب المشهد الذي جاء فيه في إيضاحه رغم اشتراكهما من حيث الدلالة العامة للكسبي عنها والمتشكلة في شدة الخوف والفزع.

لشدة الموقف وعوله في مشهد القيامة أعظم على النفوس والقلوب، إذ نلاحظ الظلال في أول أمثال الأكلة قلوبهم لدى الخطير، ثم هم ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ أي كاشفين على قلوبهم لدى الخطير، أو قلوبهم كاشفة على هم وكرب فيها مع بلوغها الخطير، كلا العنيتين يحملانه حاسم ﴿قُلُوبُهُمْ﴾⁽²⁾ فالقلوب المذكورة تنفخ على الخطير، وهم كاشفون عاجزون من الكلام لثروها، لأن الكظم هو الإمساك والجس⁽³⁾، وفي ذلك تصعيد للملابس والضم والضيق، فليس لهم صديق يثرون له، ويمنونهم من صدورهم بالث ما تفتيق به، وليس لهم من ضيق ذي كلمة مسومة⁽⁴⁾ يسمى لهم في تفريج الكرب، ورفق المخرج، وهم هنالك بين الضيق والافتراء والإهمال⁽⁵⁾.

(1) للشاهد في القرآن الكريم، ص 383.

(2) ينظر لكشاف 4 / 122.

(3) ينظر لسان العرب 12 / 519-520 (كظم).

(4) مشاهد القيامة في القرآن، ص 141.

شخص الأبنسان والاهطاع والفتح الرؤوس:

كانت الرؤوس منكتة إلى أسفل في الكتباة السابقة، أما هنا فإن رؤوس الطالين مرلوعة إلى أعلى لصراً كما لصورها الكتباة الثلاث المتابعة في هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة في قوله - لعل - ﴿وَلَا تَحْصُرُكَ فَتَهْلِكُ مِنْهَا يَسْتَلِ الْكِنُزُوتُ إِلَيْنَا يَحْمِلُهُمْ رَبُّهُمْ قَلِيلًا يَوْمَ الْآخِرِ﴾ ⁽¹⁾ **مخطوطة** مخطوطة مخطوطة لا يركب إلههم فربهم فربهم فربهم

تصارت ثلاث كتباة في تصوير الحالة النفسية للطلين في هذا الموقف المصعب، ويمكن تتبع حافهم مشهداً مشهداً حتى تكتمل الصورة الكلية في أداء للنسب المقصود.

الطلون موعرون إلى اليوم الذي هم فيه موعودون: ﴿إِلَيْنَا يَحْمِلُهُمْ رَبُّهُمْ قَلِيلًا يَوْمَ الْآخِرِ﴾ فهو يوم رهيب تكون فيه أبصار الطالين شاحصة، أي: ⁽²⁾ تغل مفتوحة مبهوتة لا تطرف ولا تصرف ⁽³⁾ وذلك كتبة عن شدة الحروف والطلع الذي باعث أنفسهم فهم قاعلون، وتعمق هذا اللعول من الحروف بكتبي (الاهطاع والفتح الرؤوس): **مخطوطة** مخطوطة مخطوطة أي مائتين موعراً مائتين موعراً مائتين موعراً وهي مشية للدهور غير ملتصين إلى شيء ⁽⁴⁾ وقال الرافض ⁽⁵⁾ مطع الرجل يصره إذا صوته ويعبر مطع. إذا صوب عنه ⁽⁶⁾ فهم قد مثروا اعتناهم إلى الداعي مخرجين يقاتلون كما قتاد الثواب في اعتناهم، ورؤوسهم مرلوعة إلى أعلى كما دلت الكتباة **مخطوطة** مخطوطة مخطوطة أي: ⁽⁷⁾ رافعيها ⁽⁸⁾ في مستأما الظاهر، ومن وراء الكتباة (الاهطاع والفتح الرؤوس) لسلح للنسب لكتبي عنه في مشهد الحروف والطلع هو السخرة من هؤلاء الطالين لهم كالذواب يقاتلون لا كرامة لهم، وهم مرلوعة رؤوسهم على أعلى فسرراً ومهانة، فهم كانوا في حياتهم الدنيا لا يقاتلون للنسب ولا يستجيبون، وعطّلوا احساسهم ووعيهم بالنور والمغنى، وهم في مشهدهم هذا كما تصفه الآية وتؤكد له **مخطوطة** مخطوطة مخطوطة أي: لا يرجع إليهم أن يظنوا بموتهم، أي: لا يظنوا، ولكن حيوتهم مفتوحة مملوءة من غير حريك

(1) سورة ابراهيم، الأبنسان: 42. وتطالع: سورة الأبنسان، الآية 97 في كتباة (شخص

الأبنسان) وسورة القمر: 8، وسورة الماعج، الآية 36 في كتباة **مخطوطة** مخطوطة مخطوطة

(2) صفة الطالين: 181 / 2

(3) ينظر صفة الحروف والفتح الرؤوس: 177 / 7 ونظر: الكتباة: 2 / 438

(4) لقرنات، ص: 791

(5) الكتباة: 2 / 438

للأجسام أو لا يرجع إليهم نظرهم لينتفروا إلى أنفسهم⁽¹⁾ فهم لا حصر لهم ولا وهي **﴿وَلَيْسَ لَهُمْ مَوَدَّةٌ﴾** بهذه الصورة التشبيهية البليغة حيث شبه قلوبهم بالموائد المرفوعة، قال الشريف الرضي: "انفتحت لا تمي شيئاً، فارتب الذي دخلها، والمثل الذي استوفى عليها"⁽²⁾ فلوهم حالة من العقل لشدة الفزع⁽³⁾ فهي حواء خواء والآية يجعلها بما فيها من طوافير بلاغية كتابية وتشبيه توصيل إلى الحس مشهد القرق والحرف والملمع الذي يأخذ الظلمة، فهم غافلون من كل وهي وإدراك فضلها عن الصخرة بهم والذل الذي يصيبهم، فهم مملوون الرؤوس قسراً، يفتنون كالدواب الشديدة لا تلتفت أعينهم إلى شيء ولا تتعرف من حول ما يرون فهم غافلون.

غشوع الأبصار

ترد هذه الكثافة في مشاهد يوم القيامة وصفاً لحال الكافرين من ذلك قول - تعالى - **﴿حُشِيَ الْأَبْصَارُ وَخُيِّرَ مِنَ الْأَشْيَاءِ كَثِيرٌ﴾** **﴿تُطَوَّنُ إِلَى الْخَالِدِ بِلَاسٍ مُتَشَرِّفَةٍ﴾**⁽⁴⁾ الكثافة: **﴿حُشِيَ الْأَبْصَارُ﴾** تصور حال الكافرين عند معيشتهم من أبصارهم. جاء في أساس البلاغة: "وغشعت دونه الأبصار، وغشع بعصره غشعته"⁽⁵⁾ فهم يفتنون أبصارهم عند خروجهم من الأجداث لا يرمونها إلى شيء، وذلك كثرة من طعم وهو قبيح، قال الزهري: "وغشع الأبصار كثرة من القلة والاضيقال لأن ذلة الليل وعزلة القوم يظهر في ميوتها"⁽⁶⁾ للحالة النسبية لم تصعد في ميوتهم فهي غائمة ذليلة، ثم تأتي الصورة التشبيهية لتضيف ملمحاً جديداً وتزيد الصورة توضيحاً وتقريراً إلى الأعداء، فقد شبه خروجهم من القبور بالجراد للفتش، وفي حلق إجماع الكثرة، فهم يخرجون جرحاً متشراً هتاً وعتاك، قال الزهري "الجراد مثل في الكثرة والتمرج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض. جاءوا كالجراد متشرب في

(1) الكشف: 2 / 438. ونظر الماور التركية والدية القرينة، ص 129

(2) تلميس البيان في مجازات القرآن، ص 185

(3) صفة القضاة: 2 / 101

(4) سورة القدر، الأيدان: 7. و. ونظر سورة القلم، الآية 4. وسورة المخرج، الآية 44

وسورة القاضات، الآية 9.

(5) ص: 111، مادة (غشع)

(6) الكشف: 4 / 344. ونظر: تفسير الصمد والفتور: 27 / 377.

كل مكان لكثرته⁴⁴ وهم على كثرتهم وتمازجهم وانتشارهم في كل مكان حيازي فزعين⁴⁵ يستتر بعضهم ببعض من شدة الخوف، مروعين ماذي أمانتهم إلى الشاهي ﴿تَهْلِكُونَ إِلَى كَلْبٍ﴾ في صورتهم اللذيلة الخشنة يدعوهم لأمر غريب شديد ﴿يَجِدُ الْكَافِرِينَ كَذَّابِينَ يُخْرَفُونَ﴾ ولا يوصف اليوم بالصر، وإنما هم أنفسهم في صر وضيق وكرب، فهو قوت من أثر ما في قلوبهم من خوف وشدة، فهو مجاز عقلي باعتبار كونه يوماً لأمر عسرة شديدة من شدة الحساب وانظار العذاب⁴⁶.

الزئبق بالابصار:

لقرأ هذه الآية في قوله - تعالى - ﴿وَلَا يَخْلُفُ عَنْكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾⁴⁷ تعبير عن الحالة النفسية للكافرين تجاه الرسول ﷺ تبعث من خلال حركة العين المحركة في نظرها شراً مثلاً وبعضاء وهي ظنرات في شدتها وقوة تأثيرها تكاد تدمر الرسول ﷺ مثل منها كما تصور، الكتابة، قال القرطبي: يعني أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شراً يبرون المفاوة والبنفساء يكادون يزلون قدامك أو يهلكونك، من قلوبهم، نظر إليّ نظراً يكاد يصيرمي، ويكاد يأكلي، أي: لو أمكنه ينظره الصرع أو الأكسل لعدله⁴⁸.

وذلك لا يكون إلا نظر للقت والابشاش، وعند النزاع والمصام⁴⁹ فالكتابة تعيد الحالة النفسية للكافرين من خلال حركة عيونهم بتحديق النظر بشدة، وهي حركة فيجحة تشير إلى تلك النفوس الممتلئة حلاوة وبغضاء وحسناً ولا تكسبهم تلك النظرات المسمومة في التمييز من مشاعرهم وانتمالاتهم، بل يرافقها السب والشتم البلي.

(1) نفسه، 4 / 344.

(2) ينظر: التفسيرات القرآنية والهيئة العربية، وابجدية محمد الأطرقيسي، ص 303 وينظر التفسير القرآني والهيئة العربية، ص 311.

(3) ينظر تفسير التحرير والتحرير، 71 / 176-177.

(4) سورة الفلق، الآية 31-32.

(5) التفسير، 4 / 478 وينظر: تبيين البيان في مجازات القرآن، ص 343.

(6) تبيين البيان في مجازات القرآن، ص 343.

للنيل من الرسول ﷺ ﴿يُتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يقولون ذلك حيرة في أمره وتثنية، وإلا لقد علموا أنه اعتلهم⁴⁰ لأن الذكر الحكيم لا يقول مجتزأ ولا يحمله مجزئ⁴¹ فهي ثورس معاملة وقلوب متكررة، فضلاً عن الأمثلة والبداهة والحقد والحسد.

الأزراء بالأعين:

تتبع الدلالات النفسية التي تجسدها الكتابة البنية على حركة العيس، فإذا كانت الكتابة السابقة جسدت بحركتها مشاعر العنارة والبغضاء والحقد والحسد فإن هذه الكتابة (الأزراء بالأعين) تجسد مشاعر لينة جديدة تبث من قلوب الكافرين وتغرسهم تجاه اللين آمنوا، بالله ورسوله ﷺ وذلك في قوله - تعالى - على لسان نوح خاطباً قومه ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ أَهْلٌ مَعَهُمْ إِنَّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عِزٌّ مُزِدُّونَ﴾⁴² ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾⁴³

الكتابة: ﴿تَزَيَّجَ لَيْسَ لَكُمْ﴾ والأزراء: اتصال من زرى عليه إذا خابه، وزرى به، نصر به، يقال: أزركه عيه، واتصنت عنه⁴⁴، وقال الشرف الرضي في هذه الكتابة: 'كما يقول الفاضل اتصنت فلاناً عني، واحظره طري. إذا تبيح في منظر عنه خفية، وصغر دماده'⁴⁵

فالكتابة حركة عين دمية تجسد الحالة النفسية للكافرين تجاه المؤمنين تمثل في احتقارهم واستصغارهم والامتنان بهم، في حالة نفسية تستردل المؤمنين على نحو تبيح فهي ثورس تزج الأمور بمنايس الكفر والضلال

قوة العين:

تكثف هذه الكتابة الحالة النفسية الراضية المطمئنة بخلاف ما أدته الكتابتان السابقتان من مشاعر والتماللات تجاه المؤمنين. وبذلك تكون الكتابة بحركة العين وسيلة تعبيرية مهمة في

(1) الكشف: 4 / 478.

(2) ينظر في خلال القرآن: 8 / 243.

(3) سورة هود الآية: 31.

(4) الكشف: 2 / 243 وينظر أساس البلاغة، ص: 190 (نرى).

(5) تلخيص البيان في عجائب القرآن، ص: 180.

التعبير عن الحالات النفسية الجارية . وقد وجدت هذه الكتابة في عدة مواضع، منها قوله - تعالى - ﴿ وَالَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَنَا رَبَّنَا كِتَابًا مُتَعَدِّيًا ﴾ (سورة أمّ يونس) ⁽¹⁾ .
الكتابة ﴿سورة أمّ يونس﴾ في سياق دعاء عباد الرحمن وهم أن يكون أزواجهم وديانتهم طامعين له تقرأ بهم آمينهم، كما صوّرت الكتابة بحركتها الجميلة الواحدة ﴿سورة أمّ يونس﴾ أي أجعل لنا في الأزواج والبنين مسرةً وفرحاً بالتمسك بطاعتك والعمل بمصداقك ⁽²⁾ . فالكتابة تعبّر عن حالتهم الشعرية المختلة في الفرح والسرور ⁽³⁾ . وفي الكتابة إيهام القرار التمسكي، لئلا الرافق في هذه الكتابة "وقول هو من القرار والمعنى إعطاء الله ما تسكن به عينه فلا يطمع إلى غيره" ⁽⁴⁾ . لغرضهم مطمئنة مستقرة وهم يرون القدوة الطيبة من أصلابهم يتشبهون الله ويتفكرون في الأمانة التي يطمح إليها عباد الرحمن، فالكتابة تعبّر عن هذا الشعور النظري الإيماني العميق الذي يستقر في نفوس المؤمنين وقلوبهم، شعور الرغبة أن تعقبهم ذرية تسير على نهجهم، وأن تكون لهم أزواج من موهم، فقرأ بهم النفوس، وتطمش بهم القلوب . والرغبة في أن يحس المؤمن أنه قدوة للحبيب، يأتى به الراغبون في الله المتفنون ﴿وَكَيْفَ تَتَذَكَّرُ كِتَابًا﴾ وليس في هذا من العثرة ولا استعلاء للركب كله بمجمله الإيهام والنقوى ⁽⁵⁾ .
وما سبق من كتابات نفسية يتبين أنها تنحصر على حركات حسية متباينة في التعبير عن الحالات النفسية، إذ تظهر بالتنصير الحسي الحركي داخل النصوص والمشاعر الباطنة والانتماءات النفسية الثابتة، سواء كانت الحركة الكتابية باليد أم القدم أم العين أم الرأس أم غير ذلك من أعضاء جسم الإنسان، وهذه الحركة الكتابية ليست مقصورة للحاتة، وإنما هي وسيلة تعبيرية نابضة بالحياة تشير إلى دلالاتها النفسية للثابتة فتجسّد في صور حركية مرئية يتماثلها الحس والوجدان، ومن ثم يكون تأثيرها في النفس والذهن أعمق ممّا لو جاءت في تعبيرات لفظية مجردة.

(1) سورة الفرقان، الآية 74. وينظر: السور الأخرى سور، الآية 26 طه، الآية 40 القصص، الأمان، ج 13 السجدة الآية 17 الأحياء، الآية 51.

(2) معجم المفاتيح 372 / 2

(3) ينظر المصدر نفسه: 371 / 2

(4) مقارنات، ص 604

(5) ينظر في ظلال القرآن: 187 / 6

الفصل الرابع

الكناية الخلقية

الفصل الرابع

الكتابة الخلقية

تقصد بالكتابة الخلقية الكتابة التي تتناول موضوعاً يتعلق بقيمة خلقية إيجابية كانت أم سلبية في حدود ما ورد من كتابات قرآنية احتضنت تلك الموضوعات ومنها الحية والنبهة، والبخل والتبذير، والشجاعة والجبن، والتكبر والتواضع، والعفة والصبر على مفريات الحياة الدنيا وما إلى ذلك من موضوعات تتعلق بأخلاق الإنسان وسلوكه وهو يتحرك ضمن النجم الذي يمشي فيه.

والقرآن حين يعرض هذه الموضوعات القيمة، فإنه غالباً لا يعرضها بتمايز دعوية مجردة وبطريقة مباشرة وإنما يعرضها بالأسلوب الكتابي المصوّر للمعنى فيكون أكثر جبرية وتأثيراً، من شأنه أن يحدث الاستجابة الشعورية والوجدانية في القارئ أو السامع وهو يلقى هذه الموضوعات التي يهدف القرآن تبيينها في ذهنه وتثبيته أو تنفيره منها.

وقد حاولنا توزيع الكتابات الخلقية لل موضوعاتها التي عالجتها، فاستطلت كل كتابتين أو أكثر بموضوع خلقي واحد يصل إلى الخلق غير فن الكتابة الذي يقوم بتعبيره الفني الكامل في آله المعاني وتصويرها غير أنه فيغل للمعنى الكثير في اللفظ القليل في طريقة التعبير الخلقية، المباشر أن يؤده كما تؤديه الكتابة في التواضع التي وردت فيها، وهذا من خصائص الكتابة القرآنية⁽¹⁾

وهذه الخصائص الفنية للكتابة القرآنية تستجلى عند عرض الكتابات التي يتكون منها هذا الفصل بالطريقة التي عرضنا فيها الكتابات في الفصول السابقة.

أكل نعم الأخ الميت:

يعرض القرآن بالتصوير الكتابي (الشيء) بوصفها مرضاً اجتماعياً قائماً بعمل على عدم الأواصر والروابط داخل المجتمع، تلك الأواصر التي يحرص القرآن على قوتها وتماسكها، وبذلك

(1) ينظر من بلاغة القرآن، ص 226 ونظر التفسير الفني في القرآن، د بكرى شيخ أمين، ص 201

على بشاعة (العينية) وعظورتها التصوير الكنتلي الذي عرّضها، فهو يعرضها في صورة خالية في
إشاعة والتضير، ليحدث الاستجابة للشعورية للتصوير، وهي (الاستماع) عن الغيبة، وقد جاء
لنحس بصيغة التهيء المتخيلي (لا يندب) ثم نلتها في المعنى ذاته صورة كتابية تظل عالقة مؤثرة في
فهم التلقي وحس وهو يمثل صورتها البشعة المضرة، وذلك في قوله - تعالى - ﴿كَانَ لَكُمْ فِي
نَارِ الْجَهَنَّمَ حَيَاتٌ إِنَّ كَذِّبْتُمْ عَنْهُ فَذُرُوا النَّارَ لَا تَصْغُرُ عَلَيْهَا وَلَا تُغْنِي عَنْكُمْ كَيْدُكُمْ شَيْئًا وَكَانَ
عَذَابُكُمْ فِيهَا لَمًّا وَكَانَتْ بُيُوتُهُمْ فِيهَا ذُخْرًا كَثِيرًا وَلَهُمْ فِيهَا زَوَاجٌ كَثِيرَةٌ وَلَهُمْ فِيهَا
كُلٌّ مِمَّا يَمْتَنِعُونَ﴾ (النار: ٢٥) ^{٤١}

الكتابة في قوله - تعالى - ﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ إِلَىٰ كُرْسِيِّ رَبِّهِمْ أَكْثَرُ نُزُولًا﴾ عرض للنسبة في صورة تنبيه الاشتقاق والحرف في الجنس لله - تعالى - كما يصور القرآن موضوعاً أشر كنهها

وبناءً على الكتابة قائم على التشبيه التمثيلي النفسي ومن وراءه بهم للمعنى للكتابة عنه (الغنية)، حيث شبه الخفاف الخاء بشخص يمد إلى أكل لحم آدمي وليس الأدمي سوى أخيه الميت، ولم يكن الأكل من ضرورة أو إكراه، وإنما هو أكل من اختيار ورغبة وشبهة، ووجه التشابه بين التشبه (الخفاف الخاء) وبين التشبيه (صورة الذي يأكل لحم أخيه ميتاً) واضح بين وهو جملة صفات أولها الكراهية في الاثنين (الغنية وأكل الأخ الميت)، ومن الطبيعي أن تكون الكراهية أحد في التشبيه (الأكل) لتبرز صفة التشبه بها وتؤكد، وثانية صفات وجه التشبه عدم الحضور في الاثنين (الشخص الذي وقعت عليه الغيبة، والميت)، وثالثة الصفات (التنهش والتسقيط) في الاثنين، ولكن التنهش في الغيبة لحمي نهي هو (سيرة الناس وأعرافهم) أما التنهش في الأكل فهو عادة محسوسة، ولابد أن يكون التشبه به حياً في هذه الحالة ليخلق على التشبه المثالي ثوبه المحسوس فيحقق حضوره وقاعدته في ذهن القارئ وقبضه.

فالتشابه واضح قريب بين الصوريين إلا أن التصوير بالمشيئة له وقع المؤثر في النفس، فمن يستطيع أن يهبط على أكل لحم الإنسان، أخ، ميت، مضغ للسود منه نصيب ^(١٤) فهو الشجعان والتضيق، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - "أخية أقام كلاب الناس" ^(١٥) ويقول

(U) عبودية الإنسان (1954-1955).

(2) ينظر إلى ثلاثة العزلة - العزلة، والبيان والبيان - د. أحمد مطر، ص 229.

(3) ينظر المصور الفني في المرفأ، ص: 209.

297-298 / 4. JULY (4)

الزطشري في هذا التصوير القرآني: "تمثيل وتصوير لما يتلك للفتاب من عرض الدائب على الخلق وجه وانحناء، وفيه بالفتات شئ: منها الاستفهام الذي منه التقرير^(١)، ومنها جعل ما هو في الغاية من الكرامة موصولاً بالحقبة. ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والاشعار بأن أحداً من الآخرين لا يجب ذلك. ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاختلاف بأكل لحم الإنسان، حتى جعل الإنسان أحداً. ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعل ميتاً، وعن قسدة كما نكرة أن وجدت حجة مقوذة أن تأكل منها كذلك فأكره لحم أخيك وهو حي"^(٢).

هذه الصورة التشبيهية تتداخلت مع الصورة الكتابية في مسح لبي يلمع من التعيير القرآني الكريم لتجسيد المعنى وتحصيل الاستجابة المطلوبة إذ جعلت صورة للشبه به كتابية من صفة الغيبة من نوع الإشارة البشارة إلى الصفة للشيء عنها فيما سبق الكتابة

وبهذا التصوير القرآني للغيبة يتجلى البعد الاجتماعي، وهو بعد يحرص عليه القرآن كل الحرص، ليس في هذه الصورة الكتابية فحسب، وإنما في السورة التي انتمتت فيها، وسرارة الآية التالية للكتابة يرى فيها الربط بين الغيبة والبعد الاجتماعي العام، وهي قوله: ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَنِ الْمُلْكِ كُلِّ شَيْءٍ لِّلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَدْعُ إِلَىٰ هُدًى ۚ وَلَئِنَّ اللَّهَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۚ﴾^(٣)

فالآية تحصر الغرض من اختلاف النوع البشري من الذكر والأنثى، واختلاف الأماكن والشعوب والقبائل في غيبة واحدة هي (التساول)، ووسط الاتصالات الاجتماعية - التي تعمل الغيبة على إزالتها - على كل طبقاتها ومراحلها بين الأفراد والجماعات والأسم، والجزم الأخير من الآية يشير إلى الأساس الذي ينبغي أن تقوم عليه هذه الروابط والاتصالات، وهو (التقوى) بكل ما تعنيه كلمة التقوى من معانٍ روحية ومعانٍ اجتماعية، إذ الميزان الوحيد للتفاضل بين الناس هو (التقوى) فلهذا لا ينظر إلى الناس ولا يعاملهم إلا بهذا الميزان، وهي دعوة صريحة

(١) والباقي أن الاستفهام في الآية هو قلبي والاكثار وليس التقرير.

(٢) الكشف، 4 / 297 ونظر لقال السمر 3 / 51. ومن بلاغة التقرير، من 226

(3) سورة أنعام، الآية ٢٥. يلاحظ أن الفروع الرئيس للسورة هو تنبيه المجتمع وتكليمه من الأمراض الاجتماعية وفي مقدمتها الغيبة.

إلى التقوى لتكون خلعاً لكل فرد، وحيث يكون الأفراد اختياراً، فيستكون صلاتهم بالضرورة قائمة على التقوى، وهو الخلق الأخير في هذا المقام⁽¹⁾.

ومن ثم يتضح بجلاء أننا نشتد القرآن في النهي عن (الغنية) بذلك الأسلوب الكتابي المصنوع لمتاعها في أبشع صورة وأقبحها ليقرّ النفوس منها والمقرب وتطلّ حاضرة في السلخ والحس يضيها الإنسان المؤمن ويغترّ عنها، فإنها (آدم كلاب الناس) كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما - وقد تدم القرآن الكريم نموذجاً من هؤلاء في صورة كتابية أخرى بالغة التأثير، تلحظ فيها (الغنية) وهي آدم للمجرمين يقتلون حليها أو يظفون بها، فتكشف عن طبيعة المجرمين الأنس، الذين اعتصموا أطم النية للبسل من المؤمنين، وذلك في قوله - تعالى - ﴿إِنَّ الْفُورَ لَشَرٌّ عَذَابًا مِنَ الْوَرَنِ مَنَّا يَشْتَرُونَ ﴿١٠﴾ وَكَأَنَّهُمْ يَتْلَوْنَ ﴿١١﴾ وَكَأَنَّهُمْ لَقَدْ أَتَوْا ﴿١٢﴾﴾⁽²⁾.

لقد تواجدت كتابتان في تصوير شية المجرمين للمؤمنين، الكتابة الأولى: ﴿يَتْلَوْنَ﴾ وأصل الفز: الإشارة باليد أو اليد طلباً إلى ما فيه مناب⁽³⁾ ومطس، وغالباً ما تكون بالمعين والمجاوب⁽⁴⁾، وهي حركة كتابة لينة تتم حنا ورامما من معنى مكس حة يمتثل في (السفوية والاستهزاء) من المؤمنين لإفخاع الأذى في قلوبهم، وهي في الوقت نفسه تكشف عن سوء ادب المجرمين والمجرمهم من التهلل.

ويشاهد سوء ادبهم بالكتابة الثانية ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُعْتَبِرُ تَعْلَمُ إِنَّهُ عِلْمٌ﴾ أي مستعجب، مبتهجن، وأصل الكتابة ﴿يُعْتَبِرُ﴾ من: عَفَكَ القوم: أكلوا الفاكهة، فكهنتهم أنا ومن الجاهل: فككه بكذا إذا تَلَّقه به، وتركهم يفتكوهن بعرض فلان أي يظفون بأغنياءه، وفلان فُكِيَ بأعراض الناس⁽⁵⁾، وهذا هو المعنى فككتي عنه: إغتياب المؤمنين والاستهزاء بهم وتلحظ حمق الكتابة في دلالتها التي تكشف عن نفوس المجرمين ومشاعرهم تجاه المؤمنين وذلك من خلال بنية الكتابة على مهاد حسي هو التهم في أكل الفاكهة والتلذذ به والسعي إلى

(1) ينظر: أسلوب السفوية في القرآن الكريم، ص 178.

(2) سرية للمؤمنين: الآيات 31-39.

(3) المقدرات، ص 348.

(4) ينظر: أساس البلاغة، ص 338 (غير). وينظر: لسان العرب 5 / 388 (غير).

(5) أساس البلاغة، ص 346 (نك).

معاودته. وفي ذلك إيهام بأن نفوس الجرمين قد أصبح شغلها الشاغل هو طيبة المزمعين، فهي الهدف الذي يحرص عليه الجرمون فينتقلون به، ولا تتحرك النفس ولا تتسلط إلا بشيء قد اعتادته ولازمته. وصورة انقلاب الجرمين على أعقابهم بهذا الهدف الخفي الذي اعتادوه يصور متهم ما تصل إليه النفس من ضعف وبساعات في السلوك والأخلاق.

ومن رواء الكتائبين ﴿يَتَلَفَتُونَ﴾ و ﴿فَيَكِيدُونَ﴾ نحس إيهاماً يتمثل في قسوة الشخصية للؤمنة للفترة وهي تلقى الأذى (الغلبة) والسخرية والاستعزاء. يصير ينبغي فلوب الجرمين ونفوسهم

جمالة الخطب:

يرد هذا التعبير الذي يمكن حله على الكتائب، فيفهم أولاً على للنس الحففي القريب، ومن ثم فهمه على المنس الكتائي البعيد، وذلك استناداً إلى طيبة النص الكتائي الذي يجوز فيه إرادة المنس الحففي، فضلاً عن إرادة لازم معناه مجازاً. والهادي في هذا التعبير القرآني من سورة القلم الذي يسفر عن أم جميل زوج أبي لبس سخيرة لادعة، وهو قوله - تعالى - ﴿وَأَسْرَفْتَهُ مَكَّةَ الْحَكِيمِ﴾ في جهوها حملت من مكس⁽¹⁾

الهادي إرادة المنس الحففي القريب والمجازي البعيد لاكمال أحدهما بالآخر اتصالاً يكمل الصورة بمعانيها وإيماءاتها التي يهدف القرآن تأديتها في إنعراج وصف أم جميل التي كانت شديدة العداوة والإيذاء للرسول ﷺ كما يشير القرآن.

والمنس القريب لقوله - تعالى - ﴿وَأَسْرَفْتَهُ مَكَّةَ الْحَكِيمِ﴾ كما أشار القسرون أن زوج أبي لبس كانت تحمل حرمة من الشوك والحسك فتشرها بالليل في طريق النبي ﷺ⁽²⁾ لإيذائه ولكن صورة (حمل الخطب) تشير إلى معنى تكسب عنه آخر هو

(1) سورة القلم الآية 4.

(2) تفسير أبي السعود 9 / 211 ونظر: «الكشاف» 4 / 651 ونظر مواهب الرحمن في تفسير القرآن: 7 / 576

(3) التسمية: مرفوع اجتماعي يعمل على إثارة الفتن والمفارقة واليهما بين الفرق. والتسمية هي كقولهم الكلام بالكتاب، وقوله من قوم إلى قوم على جهة الاستعداد والشر (نظر: لسان العرب، مادة 'كس') وقد حارب القرآن هذا الفرض الاجتماعي وأشار إلى خطورته، وسفر من كل فساد مثله فهم. ينظر سورة القلم، الآية: 11

(النميمة) ⁴⁹ ويورد ابن كثير هذا الخبر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - بقوله 'قال ابن عباس الخطب: النميمة وكانت ثم وثق بين الناس ومن هذا قيل (فلان يخطب علي) إذا جرى به، شهيرا للنميمة بالخطب، والمناورة والشحناء بالثر، لأنهما يتعدان بالنميمة، كما تخطب النار بالخطب' ⁵⁰ وقال القرطبي: 'وقيل كانت تحشي بالنميمة ويقال للمشتاق بالتمائم المقدس بين الناس يحمل الخطب بينهم، أي: يؤاد بينهم النافرة ويؤذت الشر' ⁵¹

وفي كلا للعينين القريب ولكنتي عه البعيد الذي لوسي به الصورة الكتابية ﴿سَكَنَ الْكَسْبُ﴾ تتجلى سحرية القرآن من أم جميل بجلاله، لأن صورة حل الخطب على الحقيقة فيها مهابة وسحرية، فالذي يجمع الخطب ويحمله عند العرب - عادة - أما العبيد الأرقاء أو المقنوءة للعذمون، فهنا هو الخطب ليس من السادة بل ليس من أوساط الناس، وإنما هم في درجة من صغر الشأن قد يضرب بها القتل في هذا الشأن الحين الصغير، وسحرية القرآن تثار هذه الصورة من الموهن الاجتماعي في نظرهم، لا تشبه بها رجلاً، فالعمل الجلال أياً كان نوعه في الاسلام شرف ويخرج من الجهاد، وإنما امتازت سحرية القرآن هذه الصورة لتكسر بها من شموع أنف اسراء تعالاه طافية، تحشي بسجد الآباء والأجداد، وتتدور بشراء الزوج والأولاد، تنبغي على للسلمى، وتصدح من سبيل الله ودينه الخفيف، ومن الواضح أن اسراء بهذه المنزلة في قومها، وبهذه العزة في أنفها، يبلغ منها أتما مبلغ أن تصود في صورة جامع الخطب ⁵²

لصورتها مجرد حالة خطب صورة مضحكة، لفتلاً حياً تشير إليه من خلق (السيرة) التي كانت تسمى فيها بين الناس فتكبيهم على طاعة رسول الله ﷺ.

وتعصم دلالة السحرية منها بالكتابة التالية: ﴿يُجِيبُكَ أَحَبُّ رَجُلٍ مَسْكِي﴾ أي: 'في حديثها جميل من ليف قد قتل قتلاً شليداً، ثمالت به يوم القيامة، قال جماعة. هو طوق من حديد، وقال ابن السيب. كانت لها ثلاثة فاعرة من جوهر، فقالت وللأوت والمزنى لأتلفها في عداوة عبده فأعقبا الله منها حبلاً في جيتها من سد النار' ⁵³، وهذا هو المعنى القريب الذي أشار إليه المفسرون ولكن الآية تشير إلى معنى مكنتي عنه بعيد هو صفة الانقياد الأعظم إلى الأذى

(1) تامل شكل القرآن، ص 139-140. ونظر روح الباني، 9 / 490.

(2) الكشاف، 4 / 631. ونظر المختص من كتابات الآباء وإشارات الجاهل، ص 8.

(3) أسلوب السحرية في القرآن الكريم، ص 136.

(4) صفة الفطرية: 3 / 619. ونظر الجامع لأحكام القرآن، 20 / 367.

والاستقام من الرسول ﷺ والمسلمين وهذا المعنى قد وصف القرآن به المشركين في مواضع أخرى^(١) والكتابة جسدت هذه الصفة بالتصوير عنها بحبل من سد الرمي والمأموم فعله ليرسخ المعنى في نفس الخاطئ وتجنبه للسلم هذه الصفة.

وبالتفكير في سورة المدثر المذهب يجعل ملحوظ في وجاهي للكتابتين فيها، ويعين بنا لإبرادها لبتضع ذلك: ﴿تَبَيَّنَ مَذَآئِلُ الْهَبِ وَقَبْ﴾ ﴿مَا لَقِقَ هُنَّ نَاقَةً وَنَا حَكَّابَةً﴾ ﴿سَيِّئُ كَا كَاتِ الْهَبِ﴾ ﴿وَسَوَاءٌ حَسْبُكَ الْحَكْبِ﴾ في جهونا حَسْبُكَ سَيِّئُ ﴿إِذْ لَا الْكُتَابِينَ تَتَامِلَانِ مع الأداء التصوري للسورة في موضوعها وإيماءاتها، فالسورة تخرج لعبد القزى زوج أم جيس اسماً جديداً على سبيل الكنية (أبو هب)، وهي كنية بكسوها هب ونار، وهو ﴿سَيِّئُ كَا كَاتِ الْهَبِ﴾ ﴿وَسَوَاءٌ حَسْبُكَ الْحَكْبِ﴾ ، والمطلب وثود النار وهي متصلاً ما وبى عطفها حبل من سد، وبذلك يتجلى تانسق في اللفظ، وتانسق في الصورة فجهنم هنا نار قات هب يصلها أبو هب ! وإمراته تحمل المطلب وتلقيه في طريق محمد لإيادها (بعد الحقيقى أبو الجازي) ، والمطلب مما يولد به الذهب وهي تحرم المطلب لعلها في النار ذات الذهب أن لعل حبل من سد لثم الجزء من جس العمل، وتتم الصورة بمخرجاتها المطلب والمحل والسار والذهب يصل به أبو هب وإمراته حالة المطلب^(٢) وترسم في ذهن القارئ أو السامع صورة هذه المرأة وهي في حركة آلية غاية لحمل المطلب وتضرم النار وتغلقها بالوقود ليستمر إمرارها من دون أن تدري بأن زوجها هو الذي يصلها وأنها متعلق به.

فلن اليه إلى الملق ويصنعها كل البهجة:

من الكتابات للصورة المرحية قوله - تعالى - ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَرْفُوعَةً لِلَّهِ مَرْفُوعَةً وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَرْفُوعَةً لِلَّهِ مَرْفُوعَةً مَرْفُوعَةً مَرْفُوعَةً مَرْفُوعَةً﴾^(٣)

حيث ينهي القرآن عن (البخل والتبذير)، ويحث على التوازن في الاتفاق والتوازن هو القاعدة الكبيرة في القرآن الكريم. فقال - تعالى - ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُوكُمْ سَتَكُونُ أَعْدَاؤُكُمْ...﴾^(٤) لذلك

(١) ينظر سورة الأعراف، الآية 179. وسورة الفرقان، الآية 44.

(٢) في قتال القرآن ٥ / ٤٥٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية 39. وتروى بصورة (فعل اليه) في موضع آخر من القرآن في سورة النكاح،

الآية 64، كتابة من قبل اليهود.

(٤) سورة البقرة، من الآية 143.

لكل غرض لو تفرط بجزء بهذا القرآن منه² عنه فليقل هو تفرط. والتأثير إنشائي وإسرافي، وكلاهما ليس من الفضائل التي بحث عليها القرآن.

وعرف الفلاسفة القضية بأنها وسط بين وجهين³ فالجود بعد القضية، ولكن الجموح فيه بعد وفاته، كما أن الاقتصاد والتعريف محمود ولكن للمالاة فيه معلومة

وحين ينهي القرآن عن (العمل والتأثير)، فإنه لا يسلك في ذلك التعبير العلمي المجرد، وإنما ينهي عنها قوياً مؤثراً، وهذه سمة من سمات الكتابة عاملة في وسيلة تعبيرية محسوسة تعلق بالضم وتثيرها لأنها تؤدي الحس في صورة حسية، والصورة الحسية أكثر تأثيراً من المجردة لأنها أقرب إلى الصور وأدعى إلى التمثيل في الخيال، ولذلك تكون أسرع إلى الفهم وأكد في أحداث ردة الفعل، قال عبد القادر الجرجاني "إن أثبات الصفة بالثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، أكد ولعل في النحوي من أن نهي إليها قضيتها سادجاً خفلاً"⁴

فالكاتبة ﴿وَلَا تَسْجُدْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَلَا لِلشَّجَرِ﴾ هي صورة فعلية حركية، مركبة من صورتين على سبيل التضاد والطياف ﴿وَلَا تَسْجُدْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَلَا لِلشَّجَرِ﴾ إزاء إزاء ﴿وَلَا تَسْجُدْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَلَا لِلشَّجَرِ﴾ على سبيل (الفعل والشئ)⁵ للثبوت، أي عاد لفظ (سجوداً) إلى صورة فعل إلى الزمن، وعاد لفظ (تسجد) إلى صورة بسط اليد كل البسط على الترتيب، وذلك ليان حالة كل صورة تباشراً.

ولكون اليد آلة العطاء يوظفها القرآن في التعبير عن صفتي التثنية والتبشير في صورة قريبة إلى الزمن والحس فتسلط اليد معلولة إلى المنق ﴿وَلَا تَسْجُدْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَلَا لِلشَّجَرِ﴾ كتابة من (العمل)⁶ إلا أن هذا المعنى فلكني عنه يوصل إلى التثنية في صورة طريقة. فالتبشير في

(1) ينظر: الفلسفة العقلية لشافيا وطورع، د. توفيق الطويل، ص 28. وينظر تهذيب، 1: 114، 115. يحيى بن علي، ص 24. وينظر التلخيص الأخلاقي الكبير، ترقبوا خيرنا، ص 42.

(2) دلائل الإحسان، ص 114، 115.

(3) الف والشر. أن يذكر متدا، ثم يذكر ما لكل منها شيئاً من غير تمييز امتداداً على تصرف السامع في تمييز ما لكل واحد منهما، ووجه إلى ما هو له وهو نوعان. التبشير على ترتيب القدم والشر على خلاف ترتيب القدم. ينظر خزانة الأدب، ص 66. وهو من البلاغة في اللساني والبيان والبدع، ص 376-377.

(4) ينظر سنن بلاغة القرآن، ص 226. وينظر: التعبير العلمي في القرآن، ص 201. وينظر البلاغة العربية الشافيا والبيان والبدع، ص 229.

هذه الصورة الكتابية ليس هو مجرد تخيل يمنع عطائه عن الناس في كل حين، ويكثر ما عساه شجياً على نفسه وإثماً هو إنسان مغلول البدن في صورة غريب، لأن عليه ليست مغلولين إلى أمام كما هو مألوفه، وإنما يلهء مغلولتان إلى عنقه فلا يستطيع حركة. إنها صورة تناسب موضوع البخل بما فيها من قوة تصوير وغريبة، وذلك لأن البخل - فيما يبدو - هو أشد خسراً من ضده (التبذير)، وأكثر كرمها إلى النقيض، لذلك نجد القرآن في هذه مواضع يصف الذين ينفقون أنفسهم الشح بالفلاح⁹، وذلك لتجذره في النفس والتمسك منها، والبخل أقرب إلى الشر من (التبذير) الذي كلفه به هذه الصورة ﴿وَلَا تَسْكُنْ عَلَى الْفُلْ﴾ وهي صورة تحففت قولها في التصوير إزاء كتابة (البخل)، وذلك لأن التبذير - وإن كان ملموماً - هو أقرب في طبيعته من الحذر والمقصد.

وصورة غل اليد إلى العنق توحى بالتقيد للتح من الحركة، وفي هذا إمسك عن العطاء، كما أن بسط اليد يوحى بالخلو التام، وفي هذا دلالة على العطاء الكثير الذي لم يبق شيئاً ويمكن أن نجد ذلك تلويحاً.

ثم تصور الآية ما تنهي إليه الصورتان الكتابيتان بذلك التعقيب التوحى ﴿فَلَقَدْ مَكَّنَّا أَصْحَابَ الْأَنْبِيَاءِ﴾. واللافت للنظر في هذا التعقيب قوله ﴿فَلَقَدْ مَكَّنَّا﴾ بدلاً من ﴿فَلَقَدْ مَكَّنَّا﴾ فمن معاني الحسب الدبة تميز عن السير تنفك من الإعياء والتعب، قال ابن منظور: «خَسِرَتْ الدابة والناقة خسراً وامكسرت. أَعْيَتْ وَكَلَتْ: والمغرب تقول: خَسِرَتْ الدابة إذا سَرَّهَا حتى يتقطع سَيْرُهَا»¹⁰، وهكذا (البخل والمصرف) كل منهما يحسر نفسه ليخلف عاجزاً متعباً، فضلاً عن أن في التعبير القرآني دلالة ماعسرة من البخل والكسوف، فكلاهما بالتصوير (قاعد) لـ (البخل) قاعد وكأنه ملازم للأرض كشخص مفقود، ولكنه يتلقى اللوم القلي بهمال عليه من كل جانب، والمبخر لجشاً فعيد الأرض بعد أن نفذ ماله، ويمكن أن نشطه جالباً مطرناً إلى الأرض، شارداً للحن، يفيض أسى وحسرة ولماً، فلم يجد من ماله شيئاً، ولم يجد من الذين أحسن إليهم حتى لو استاءوا لم يجد بما كان يهدف إليه من إيراد نكتة بين الناس شيئاً، بل وجدها

(1) ينظر سورة الحشر، الآية 9 وسورة التفسير، الآية 16 وكذا التفسيرين في سياق الحديث على الإطلاق. أما الموضع الآخر الذي ورد فيه نكتة (الشح) فهو في سورة النساء، الآية 128. يشمل

معنى البخل في الإفراق ونسب كثر في سياقه (سباق الصلح بين الزوجين)

(2) لسان العرب 4 / 188 (حسر)

أُمنت في الأزواء من حيث لواء لما الظهور⁽¹⁾ وهكذا تظل صورة البخل وصورة التسلير عاتلة في الخس والوجدان فمثل فعلها، وما كان لي تعبير آخر أن يبلغ إلى الخس ما يبلغه هذا الأسلوب الكتابي.

قبض اليد

ويصور القرآن (البخل) بكتابة (قبض اليد) في سياق وصف المنافقين والناكثات، فما يُوحى بأن (البخل) من مفردات الشخصية للناكث، وذلك في قوله - تعالى - ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ يَقُولْنَ مَا يُهْمُّنَّ بِاللَّسَانِ وَيَخْفَيْنَ فِي السُّجُودِ﴾⁽²⁾ ثم (القبض) في قوله - تعالى - ﴿وَالْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾⁽³⁾ قال ابن تينية: يسكون من العطف، وأصل هذا: أن للمعطي يده ممددة ويوسطها بالمطاء، فتقبل لكل من قال ومنع: قد قبض يده⁽⁴⁾.

والنصير الكتابي يوحى بقوة هذه الصفة في شخصية المنافقين وكثرتها في أنفسهم، وذلك لأن 'القبض' تناول الشيء بجميع الكف، نحو قبض السيف وغيره وقبضها عن الشيء جمعها قبل تناوله، وذلك إمساك منه، ومنه قيل لإمساك اليد من قبله. قبض⁽⁵⁾ فهي حركة تشير إلى الإمساك العسي للمنافقين (البخل) من الإنفاق، والقبض على الشيء به إجماع القوة في الإمساك بوجه إجماع يتناسب دلالة البخل المقترنة بالمنافقين، لأن النعوس المتألفة مددتها الطرفة الثانية، لا تعرف البذل والتضحية، بل البخل من القوميات الأساس فيها، ويؤكد هذا الإجماع ويقر به صيغة الكتابة بالفعل للفصاح الذي يدل على التجدد والحشوت⁽⁶⁾ فهي صفة متجذدة للمنافقين في كل وقت.

(1) أسلوب السيرة في القرآن الكريم، ص 134.

(2) سورة النقرة، الآية 67.

(3) تاوريل مشكل القرآن، ص 167.

(4) القرمات، ص 290.

(5) ينظر معنى الآية في السيرة، ص 9.

فالكتابة تجسد الحالة النفسية للمعتقدتين المطبوعة على الشح والبخل في صورة حية تتمثل بحركة اليد في وضع يمين بالمرص على الشيء والامتناع عن إصطاكه فضلاً عما قرئت الآية من صدقاتهم الأخرى.

الفقير

وصور القرآن على اليهود بكتابة (التثنية) في قوله - تعالى - ﴿ كَذَّبْتُمْ بِهِ مِنْ الْقَبْلِ فَلَيْسَ لَكُمُ الْكُفْرُ الْكَبِيرُ ﴾⁽¹⁾

الكتابة ﴿كُفْرًا﴾ تجلي جانباً من شخصية اليهود التي عرضها القرآن في مواضع شتى، وهنا تتجلى صفة الأثرة البغيضة، والبخل الشديد برصده طيبة أصيلة دائمة كما أشرحي الكتابة، فالتثنية أصله "الكُفْرُ" في ظهر السوء⁽²⁾ والتثنية يضرب به المثل في الشيء الطفيف⁽³⁾ فهو رمز عن الشيء القليل الضئيل الذي تغشأ به نفس اليهودي. فالكتابة تجسد بخلهم على نحو خصوص⁽⁴⁾، فهل هناك أسطر من نكتة أو نقرة في ظهر نواة تشعُّ بها النفس وتأيي أن تعطىها للناس، فالكتابة على بساطتها الصريحة تجسد اللبالة في النفس إلى أقصى ما تكون عليه النفس من إثرة وبخل وكيف الحال لو كان لهم نصيب من الملك؟ إذن لمالك الناس جميعاً من دون أن يعطوهم الشيء الضئيل القليل ﴿كُفْرًا﴾

والكتابة وإن كانت تقرر حقيقة الشخصية اليهودية في جانب من جوانبها، إلا أنها تجلي سخرية القرآن منهم في أبهى صورة وهي تكلفهم بصفة البخل، وتكشف عن حرصهم على حبال في أسطر صوره، وأن نفوسهم قد نضبت من أي باعث إنساني يحركها لإيقاد الناس شيئاً ولو كان ﴿كُفْرًا﴾

(1) سورة النساء، الآية 53.

(2) أساس البلاغة، ص 470 (تث).

(3) تقريراته، ص 677.

(4) للاطلاع على كتابة ﴿كُفْرًا﴾ فيها لم تأت في القرآن كتامة عن البخل إلا في هذا الموضع وصفا لليهود فهي محض رمز.

بل هم لا يبحر جردون حتى مع الله كما من قولهم اللهم في أشجع صورا، كما يحكي عنهم القرآن في موضع آخر يحصل بمعنى الكتلية وقويها، وذلك في قوله - تعالى - ﴿وَكُنْتَ أَيُّهُمَا بِرَبِّكَ أَتَقُولُ مَا تَسْمَعُ وَلَا تَفْقَهُمْ قَوْلُكَ﴾ ⁶⁴

﴿كُنْتَ أَيُّهُمَا﴾ دعاء عليهم باليخل وإثبات هذه الصفة لديهم، لذلك فهم أهل خلق لله لأن الدعاء من الله قضاء بالغ. قال الزخري: "معناه الدعاء عليهم باليخل والنكد، ومن ثم كانوا أهل لخلق الله والنكدة فإن قلت كيف جاز أن يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو اليخل والنكد؟ قلت المراد به الدعاء بالخلد لأن الذي تلصق به قلوبهم فيزهدون غللاً إلى غلبتهم ونكداً إلى نكدتهم" ⁶⁵ فهي طبيعة ثابتة فيهم، إلا أن الكتابة في تصويرها القوي بملأ أيديهم دالة على غلظهم الشديد للتأصل في أنفسهم، فهي لا تتحرك إلى حطاء ولو كان ﴿تَوَكَّلْ﴾، وبذلك تتوافق الكتابتان في التصوير والتمثيل.

منع المأهون:

وعرض القرآن كتابة أخرى عن (اليخل) الذي ينشأ بسبب السهو عن الصلاة ومرادها الناس، وذلك في قوله - تعالى - ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَأْهُونَ ۖ قُلِ الَّذِينَ مَنَعُوا عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۚ﴾ ⁶⁶

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَأْهُونَ﴾ كتابة لوسي بحدان كثيرة، ومن معاني هذه الكتابة ما ذكره بعض المفسرين: 'المأهون الزكاه، ومن ابن سعدي ما يتعاون في العبادة من القاس والقدر والذل والمقدحة ومن حاشية الماء والنار والثلج' ⁶⁷ والكتابة شاملة لهذه المعاني وخالة أيها على كل بر يمتد الإنسان في كل صورة، وأشكاله يخلع (اليخل) الذي تشير إليه عبر الواسطة (منع المأهون) فهي مثل حركة حبة مجسمة يسيبها اليخل. وهذا اليخل ناسي كما يقرر التعبير القرآني من السهو عن الصلاة ﴿الَّذِينَ مَنَعُوا عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ فيهم لم يهتموا الصلاة على وجهها، ولو أنهم اتقوا حقا لظهرت آثارها في السلوك والواقع، ومن هذه الآثار ما يدعون للناس. وبذلك فإن إقامة الصلاة على وجهها الصحيح تنشي آثارها العملية الخلقية، لإيجابية

(1) سورة الفاتحة من الآية: 64

(2) التفسير: 1 / 628.

(3) سورة الماعون، الآية: 4، 7

(4) التفسير: 4 / 643، ويقرر: صفوة التفاسير، 3 / 629.

من خلال تسميتها بفراقز الحبر وتبليغها لفراقز الشر، التي تمثل هنا في الكتابة بصفة (البخل) بوصفه قيمة أخلاقية سلبية يُحذَرُ الفَرَاكُزُ منها المؤمن، ويشد التحذير من هذه الصفة عندما يكتب الفَرَاكُزُ عنها بالقصد، وذلك في قوله - تعالى - في سياق حديث تلويح على الاتفاق من طبعات ما يكسبون: ﴿يَخْلُقُ الْوَرْدَ مَا نَرَى لَمُؤْمِنًا يَكْتُمُ مَا سَخِمْتُهِ وَوَرْدًا لَكُم مِّنَ الْوَرْدِ وَلَا تَتَمَنَّوْا لِكُلِّهِمْ هَيْبَةً يُنْفِقُونَ وَيَكْتُمُونَ بِذُنُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا وِدًّا وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ لَّكُم مِّنَ الْوَرْدِ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ وَأَلَيْتُمْ أَصْحَابَهُ ۖ فَذُكِّرُوا كَثِيرًا مِّنْهُ وَكُنْزُهُ وَفِيهِ رِجْوَاهُ ۚ﴾⁽¹⁾

الآية تاء علم للمؤمنين تحثهم على الاتفاق من جميع أوضاع تلك الحلال الطيب في كل صورة وأشكاله. ويكمن من (البخل) بالقصد، ﴿لَّكُم مِّنَ الْوَرْدِ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ وَأَلَيْتُمْ أَصْحَابَهُ﴾. وجاء في أساس البلاغة: "فلان لافش أي عجل، ومنه ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ وَأَلَيْتُمْ أَصْحَابَهُ﴾"⁽²⁾ وجاء في لسان العرب: "النفش والنفشاء والفاشة القبيح من القول والفعل، وجعلها الفراعشة وهو كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي. وكثيراً ما ترد الفاشة بمعنى الزنا ويسمى الزنا فاشةً وأما قول الله ﷻ: ﴿لَّكُم مِّنَ الْوَرْدِ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ وَأَلَيْتُمْ أَصْحَابَهُ﴾ قال للفراش معناه بأمركم بأن لا تصنعوا، قيل النفشاء معناه البخل، والعرب تسمي البخل لافشاً"⁽³⁾ وجاء في التفسير: "﴿لَّكُم مِّنَ الْوَرْدِ﴾". أن السر في ذلكم بصرف الطيب وانفادكم على صرف الردى هو هالة الفتر الذي تلذذتم الشيطان به حيث وصوس في صدوركم أنكم إذا صرفتم الجيد يلقى لكم الردى. وبأمركم بالحصول الفاشة، أي البخل والذم وعبة الأمر العاجلة التي تكون سبباً لمأثرة للمعاصي الفاشة، ولذلك تصرفون ما لا خير فيه"⁽⁴⁾

فالقصد كتابة من (البخل) ولكنها تخرجه بطلال بشعة موحية مكتسبة من إحصاءات الكتابة النالة على ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي، فيتجلى التهليل الخلفي الذي ترمته في نفوس المؤمنين فتضرمهم لشد ما يكون التفسير من البخل والشح بوصفه معصية تفحش فتجاوز الحد، لأنها تجمعهم من الاتفاق في سبيل الله، وتبعث في نفوسهم الخوف من الفتر، أو اتفاق الردى بحيث بدأ من الحلال الطيب، بحيث الذي تعالاه النفس فلا تقبله إلا على نحو

(1) سورة البقرة: الآيات: 267، 268.

(2) ص 335 (نسخة)، ونظر الكشاف: 1 / 396.

(3) 6 / 325، 326 (نسخة).

(4) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: 2 / 102، 104.

من التناقل والتساؤل والاعتراض كما تصور الكتابة هذا المعنى النفسي من خلال حركة
أعضاء العين⁽¹⁾ التي تشير إليه: ﴿وَكُنْتُمْ بِكُنُوزِكُمْ لَا تَدْرِيونَهَا قُلُوبُكُمْ﴾

ثم يكشف السياق القرآني عن الباحث الحقيقي الأمر بكل هذه المعاني قبل العن
وامساكها من الاتفاق، أو اتفاق الرء الخبيث، والحرف من القفر، يكشف عن باعته وهو
الشیطان: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ لَكُمُ الْكُفْرَ...﴾، فهو الأمر بكل فساد، ويصاحبه التنفير في القفر
والقلوب مما يأمر به الشيطان ويهتد.

تصالح الكتابة (المحشاة) في صياغها الاستجابة النفسية التي يهدف القرآن إلى بعثها في
قلوب المؤمنين والتي تمثلت في تجنب (البخل) بوصفه قيمة خلقية سلبية لا تليق بحياة المؤمنين.

تصحيح المفهوم:

ينهى القرآن الكريم عن التكبر بوصفه سلوكاً خلقياً مذموماً، قال عنه علماء العن بأنه
شعور غيبي بالحاجة إلى أن تتفوق الشخصية على الآخرين، أو أن تبسط نفوذها عليهم، أو
تصبح متميزة منهم بشكل أو بآخر والتي شعور المرء بالتكبر أو العلو نتيجة إحساسه الداخلي أو
الذلي فيقوم بتعويض ذلك بتكلف التعالي على الآخرين⁽²⁾ ويحلل أحد التفسيرين سبب ذم
التكبر كالآتي: لأن التكبر هو الذي يظهر من نفسه الكثير من ذلك نقص في حق الخلق، لأنه ليس له
كبر ولا علو، بل ليس له إلا الذلة والسكنة، فإذا أظهر العلو كان كأنها فكان مذموماً في حق
الناس⁽³⁾.

وسواءً ينهى القرآن عن هذه الصفة النفسية للعلو، فإنه يؤكف الأسلوب الكتابي
الصورة للمعنى فيبرز تلك الشاعر النفسية الرقيقة ويجسدتها في وضع ظاهراً للعيان من خلال
تلك الحركات الخفية التي يصطنعها للتكبرون.

(1) ينظر لقرطبي، ص 548 وينظر الكشاف 1 / 596.

(2) دراسات في علم النفس الإسلامي، د. محمود الحسني، 1 / 215 وينظر الأتباع النفسية في
القرآن الكريم، ص 132.

(3) التفسير الكبير: 29 / 294.

منها كتابة (تصغير الحدة) الموقدة في قوله - تعالى - على لسان لقمان الحكيم بوجه آخر بالتوافق للناس ولدين الجانب لهم، وينتهي عن التكبير ﴿لَا تُكْبِرُ عَلٰى شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ﴾ (التكبير) ﴿لَا تُكْبِرُ عَلٰى شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ﴾ (التكبير) (1)

قوله - تعالى - ﴿لَا تُكْبِرُ عَلٰى شَيْءٍ﴾ كتابة عن صفة التكبير، وهي تصور التكبير في صورة خفية باللغة التناثرية، إذ يرسم فيها التكبير شخصاً مريضاً، وذلك لأن (الصغير) 'هـ' يأخذ البحر فيلوي منه عطفه ويملكه (2) فهو مريض يصعب الإبل فيلوي أصابعها فتعشي معوجة الحق متقلبة الوجه إلى أحد الشقي، فهو منظر يثير العطف في المشاهد.

يحدد القرآن بهذا التصوير الكنتاني إلى هذا المرض ليعلم به الكثير للصالح المعرض بوجهه عن الناس، وهو يحسب بذلك المباحث التي للمريض أن له حياة ومكاناً، وإن ذلك يريده ترفعاً وجاماً. وهو في حقيقته كما تخرجه الكتابة شخص مريض، وبدلاً من أن يثير الرحمة والخوف في نفوس الآخرين يثير السخرية والإزدراء لأنه اصطنع في مظهره صورة منكورة شديدة التكر.

وبذلك تكلف الكتابة دلالة للتحذير من هذا السلوك الاجتماعي (التكبر)، فإن النفس السوية لا ترضى أن ترسم في هذه الصورة الزوية وهي تحسب بين الناس، كما تحسب الكتابة سمة فنية للقرآن في رسم صوره، وهي توظفه لعناصر يثقل، وذلك ليكون المشهد أقرب إلى أنفسهم وأكثر تأثيراً في حسهم (3) كما في هذه الكتابة التي يقرأها العرب في يدهم.

لِسِ الرُّبُوسِ

ويصور القرآن بهذه الكتابة إمرأته اللطيفة واستكبارهم على نحو مخصوص، وذلك في قوله - تعالى - ﴿وَإِنَّا لَنَلْقَاهُ لَمْ يَقُولْ آمَنَّا وَكَلَّمُوا مَصْنُوعًا وَكَلَّمُوا مَصْنُوعًا وَكَلَّمُوا مَصْنُوعًا﴾ (4)

(1) سورة لقمان، الآية: 18.

(2) لسان العرب: 4 / 456 (مصر).

(3) ينظر التفسيرات القرآنية والرواية العربية، ص 173.

(4) سورة المائدة، الآية: 5.

الكتابة: ﴿قُرْآنًا مَّعْرُومًا﴾ حركة مادية تجسد حالة نفسية خاصة بلذاتيين، يقال "لوري الرجل" برأيه ولوري رأسه أمال وأعرض. واللوري رأسه ولوري برأيه - أماله من جانب إلى جانب⁽¹⁾ وقال الزعزعي: "عظموها وأملوها إعرافاً عن ذلك واستكباراً. والتشديد للتكبر⁽²⁾ والمبالغة. فهي كتابة عن استكبارهم وإعراضهم عن دعوة الرسول ﷺ للاستقرار لهم والكتابة تبدل بالتشديد على أنهم قد اعتادوا هذه الحركة بكثرة، لأن تضعيف الثمين في القلم يدل على تضعيف العمل، أي أنهم قد كروا عز وروسهم وتحريكها مما يؤكد دلالة استكبار لثناقي، وإعراضهم فضلاً عن استهزائهم، وقد يكون المراد تكثير عال المز - وهي الرؤوس - أي لوري جمع كثير منهم وروسهم استهزاء واستكباراً⁽³⁾.

التمطي:

وردت هذه الكتابة في موضع واحد من القرآن في قوله - تعالى - ﴿تَاكِي كَتَبَ تَقَّة﴾ ثم تَقَّة لَكُم تَقَّة ﴿تَاكِي كَتَبَ تَقَّة﴾⁽⁴⁾. تصور الكتابة مشية الإنسان الكافر الموصوف في هذا النص القرآني⁽⁵⁾ لأن الخطأ اللد، يقال: شَوَّزْتُ بالقدم مطراً إذا شذفت بهم في السير، وطلعت النهار امتد وطال، وطلعت بهم السفر امتد وطال، وكل شيء شذفتك فقد شلوكته، والمطقة من القواب التي لط في سيرها، وهو مأخوذ من المطر أي بلد (ومن دلالة الخط على لغة جاء التمطي ليدل على التبخثر ومد اليدين في المشي)⁽⁶⁾ وأصل ﴿تَقَّة﴾: يتسقط، فقلبت الطاء فيه حرف حلة كرامة اجتصاع الأمثال ومعنى يتسقط: يتمدد لأن التبخثر مد خطاء، ومعنى مشية المنجذب بنفسه، وقيل المعنى بمد مطاء

(1) لسان العرب، مادة (لوري): 13 / 264.

(2) الكشف، 4، 433.

(3) ينظر انشاء للذاتيين في القرآن، د. محمد الفصاح لا شوب، 2 / 234 وينظر تفسير التحرير والتميز 28 / 244.

(4) سورة القامة: 32-33.

(5) قيل فيها زلت في لحي جهل ينظر: صفوة التفسير 3 / 480 ولياب القوق في أسباب التزلزل /، ص 776.

(6) ينظر لسان العرب 13 / 284-285 (مطأ).

الكتابة التصويرية توك - تعالى - ﴿كُلٌّ يَكُونُ﴾ تلميح حالة نفسية متعجزة
 وذلك من خلال حركة شي المقف. والبطء المكتبة. وحفظ الرجل جانباه عن يمين وشمال
 وحفظه من لده رأسه إلى يديه⁴⁰ وهي حركة تشير إلى معنى التكبر والخيلاء، كتصغير الحقد
 ولي الجليد. وثيل الإعراض عن الذكر⁴¹ وقال الراغب: "فاني عطشه عبارة عن التكر
 والإعراض، فهو لوى شدته، وثاني عطشه⁴² فهو (للتكبر) للنبذ عن الإعراض عن آيات
 الله، وهذا المعنى لكنني عنه هو أقرب إلى السياق. وهو صورة من التكبر شديدة الكرامة
 لكونها تتعلق بآيات الله والاحتفال فيها بغير علم بهذا الباطن النفسي للمقوت، وكون الثاني
 عطشه يبادل ﴿يَكُونُ﴾ كقولهم: ﴿كُلٌّ يَكُونُ﴾ أي لا يستند إلى حقيقة يركس إليها،
 ولا حق يبادل عنه، فإنه يعرض عن فراغه النفسي والمغلي بتلك الحركة الدالة على تكبره
 وإعراضه، فضلاً عن أنه يضرب لغيره عن الحقد والكتاب للتم.

التقاسم العرفي:

يقدم القرآن بهذه الكتابة لونا آخر من ألوان التكبير عن الإيمان بأهله التسجيح والاستهزاء
من فكرة إعادة الحياة بعد الموت وذلك في قوله - تعالى - ﴿وَلَقَدْ لَبِثْنَا كُنَّا وَكُنَّا وَقَدْ نُنَاقِلُكُمَا
لَمَّا نُنَاقِلُكُمَا﴾ ١٠٠ ﴿لَقَدْ لَبِثْنَا لَكُمْ إِلَهُ حَيٌُّّ ۖ قَدْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ مِمَّنِ اتَّخَذُوا نُصُبًا يُنسبُونَ مِنْ دُونِنَا
لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ تَتَّبِعُونَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّ يَتَّقُونَ اللَّهَ﴾ ١٠١

في النص للكريم كتابنا، الأول. قوله ﴿لَقَدْ قَرَأْتَ كِتَابَ الْإِنشِاقِ﴾ والثانية ﴿سَمِعْتَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ قال القرطبي: «لما قالوا: انزلنا كتاباً عظيماً قيل لهم: ﴿قَرَأْتُمْ كِتَابَ الْإِنشِاقِ﴾» فردّ قوله كونوا، على قولهم: كتاباً، كأنه قيل: كونوا حجاباً أو حجباً ولا تكونوا عظاماً بل أنتم على أحيائكم وللمنى. أنكم تشبهون أن يمدد الله خلقكم، ويردّ إلى حاله الحياة وإلى رطوبة الجسد وفضاضته بعدما كنتم عظاماً اليابسة، مع أن العظام بعض أجزاء الحيوان بل هو مورد خلقه الذي ينشأ عليه سائر، فليس يمدح أن يردّها الله بقدرته إلى حالتها الأولى، ولكن لو كنتم أهدى من الحياة ورطوبة الجسد ومن جنس ما وكب منه البشر، — وهو أن

(١) لسان العرب، مادة (صقف)، ٩٠ / ٢٥٥. ويظهر أن القراءات هي: ٥٩٤.

195 / 3 اکتوبر 2015ء

(3) القرويات، ص 441

(4) سورة الأعراس الأربعة: 49-51

نكونوا حجارة يابسة أو حديداً مع أن طابعها الجسدية والصلابة . لكان قادراً على أن يردكم إلى حال الحياة ﴿ قَدْ عَلِمْنَا بِسَعْيِكُمْ فِي شُئُونِكُمْ ﴾ يعني أو خلقاً عما يكثر عنكم من قبول الحياة ومعلم في دعيتكم على الخلق اجلاء فانه يبيد⁽¹⁾ وهؤلاء الكفارون لا يملكون ان يكونوا حجارة او حديداً ولكنها كتابة تشير إلى معنى التمحيص والتصيير لهم، فضلاً عن توبيخهم وتقريرهم، لأن الكتابة بالحجارة والحديد وهما من الجماد الذي لا يحس ولا يشعر بهما إجماع إلى ما في ابتكارهم للحياة بعد الموت كما أنباء الاستفهام الإنشائي بالجزء ﴿ لَوْ كُنَّا كَمَا يَحْكُمُونَ قَدْ عَلِمْنَا . . ﴾ من جود أو تحجير، أو أكبر من هذا الإجماع وأصح كما أنباء التعبير بعد الكتابة ﴿ قَدْ عَلِمْنَا بِسَعْيِكُمْ فِي شُئُونِكُمْ ﴾ والذي يؤسي بظواهرهم واستهزائهم وتكبرهم كما لمسه الكتابة ﴿ سَمِعْتُمْ لَيْلَةَ نُوحٍ ﴾ وهي كتابة حركية بتلك الرووس التمجية المستعرة والتي تحمل ذلك التصور المتصير الجماد، قال القرطبي: "يُقال تَنَضُّسٌ فلان رأسه إذا حركه إلى فوق وإلى أسفل"⁽²⁾ كالتمصّب من الشيء، وقال الزحشري: "سَمِعْتُمْ لَيْلَةَ نُوحٍ" فسمعتك لهما تحرك تمجيباً واستهزاءً⁽³⁾ فلأكنى عنه هو التصعب والاستهزاء للنبع عن تلك الحالة النفسية المتكبرة عن الإيمان المستنكر، وتصاحبه دلالة الأتكال ولتصق بالاستفهام بالأخلاق متى ﴿ وَتَقُولُ لَهُمْ قَوْلًا ﴾ الذي أنباء الأتكال والاستبعاد لليوم الذي يُبعث فيه القوي للحياة والحساب والجزاء.

الإعراف والثاني بالجناب:

تصور هذه الكتابة تكبير الإنسان حين التهمة والرعاء، وبأسه وقوته حين الشدة، لشراً ذلك في قوله - تعالى - : ﴿ وَلَيْسَ كَلِمَاتُ هَذِهِ لِيِئْتِي لَمْ أَقُولْ وَلَكِنْ يَتَّبِعُونَكَ مَا تَشَاءُ وَلَا تَحْكُمُ بِغُرُورٍ ﴾⁽⁴⁾ الكتابة في - تعالى - : ﴿ لَمْ أَقُولْ وَلَكِنْ يَتَّبِعُونَكَ ﴾ والإعراف والثاني بالجناب حركة يراد منها ما تشير إليه من معنى الاستكبار وباعته الظناني. وفي الكتابة تأكيد فلما لمس المكسب منه، لأن ﴿ وَلَكِنْ يَتَّبِعُونَكَ ﴾ تأكيد للإعراف، قال الزحشري: "الإعراف من الشيء أن يولي عرض وجهه والثاني بالجناب أن يولي عنه عطفه ويولي، ولزاد الاستكبار، لأن ذلك من عادة المستكبرين".

(1) القشاش: 2 / 334. ونظر صخرة الظهير: 2 / 164-163.

(2) التفسير الكبير: 20 / 226.

(3) القشاش: 2 / 334. ونظر صخرة الظهير: 2 / 164.

(4) سورة الأنعام، الآية: 83.

⁴⁰، فالكتابة تكشف من صفة من صفات النفس المستكبرية في حين النعمة من صفة وسعة في الوجود. فنصير هذه النفس أنها مستعينة من الله مستبعدة بنفسها، فهي نفس معروضة لا تذكر ولا تشكر، بل هي تلغى وتبطل وتستكبر. والجزء الأخير من الآية يكشف عن الجانب الآخر للضاد لهذه الحالة النفسية ﴿وَلَا تَسْأَلُ عَنْ كَرْهٍ وَلَا عَنْ مَقْصُودٍ﴾ حين الشدة من فقر أو مرض أو نازلة من الزلازل ﴿كَمْ يَبْقَى﴾ شدة اليأس من روح الله ⁴¹

وتلعب في حالة يأسه حين الشدة والهباء حركة غفيرة تقابل حركته عند تكبره وبطوره، حركة تلعب فيها ملاماً الرأس شعور الجانب من شدة اليأس والقنوط فهذا الإنسان في الحالتين حالة الاستكبار، وحالة اليأس والقنوط عجائب لطريق الله، طريق الحق وبذلك تلعب الآية بمجملها إلى قيمة الإيمان بالله والاتصال به في الحالتين، فهو راحة في السراء والضراء على حد سواء.

وتلعب في الحالتين التوسيع للظالمين على الضعفاء في هذا النمط من البشر، أن التأكيد والقوة في التعبير تجل في التعبير الكتابي عن حالة الاستكبار للقيمة عن طغيان الإنسان حين النعمة والرخاء أكثر من الحالة الثانية في التعبير عن اليأس والقنوط حين الشدة والابتلاء، فالقوة التعبيرية في الكتابة تثلث في:

- 1- تصوير المسمى لتكنى به بحركة مادية حسية، والتصوير الحسي للمسمى أكثر تأثيراً من التعبير اللفظي المجرد، فانه شأن من يأتي بيعة على ما ادهى.
- 2- تأكيد حركة الأعراف بقرآن ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ مما دل على تفنيد هذه الحالة الشعورية وفكتها من النفس، وهذا لا نجد في الحالة المقابلة لها.

وبذلك تتجلى دقة التعبير القرآني في الكشف عن أسرار النفس الإنسانية في آثارها وتقلباتها وأظهارها بشكل محسوس، فله الذي خلق النفس الإنسانية هو أعلم بها من حاملها، وعلم أي الأشياء ترغيباً وتجذب إليها، وأنها مدعوة للظهور والرجوع.. ﴿وَقَدْ عَلِمْتُمُ الْإِنْسَانَ خَلْقًا

مَا يَسْتَوْفٍ بِهِ قَسَمُهُ وَإِنْ فَتَنَّا لَهُ يَرْجِعْ إِلَى رَبِّهِ

(1) الكشف: 3 / 338

(2) ينظر المصدر نفسه: 2 / 338

(3) سورة ق، الآية 16

المشي على الأرض هوذا

يقدم القرآن بهذه الكتابة صورة وصيفة في معانيها وإيماءاتها تحف على التباد من الصور الكتابية السابقة التي أشارت إلى الدوران من التكرار على الناس والاستكبار والإعراض عن آيات الله.

عنه الكتابة تصور شيئاً إلهياً من إغلاق المؤمنين وهم مشوقون بين الناس كما يفهم بقره - تعالى ﴿ وَهَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾⁴¹ وتكذب الدلالة فيها بالصمة ﴿ هَذَا ﴾ فهي تشير إلى معنى الرق الذي يتصل به هؤلاء الموصوفون بأنهم ﴿ وَهَذَا الَّذِي ﴾ بهذه الإضافة التي ترفعهم وتخصصهم. قال الزمخشري: ﴿ هَذَا ﴾ حال، لوصفه للمشي، بمعنى هين، لم شيئاً هيناً، إلا أن وضع الفصل موضع الصفة بالغة واللون الرق واللين⁴² والمعنى المكسب به السكينة والرفق والتواضع⁴³ لهم لا يفرعون الأرض بأنفسهم ولا يشقون أصطاعتهم ولعلهم رؤوسهم.. وإنما هو اللين والتواضع يتجسد في مشيتهم على الأرض برق، لهم عباد الرحمن وإليه يتسبون، فيض من غروبهم الرحمة بالناس والمغفرة لهم ﴿ وَكُنْتُمْ تُكْفِرُونَ ﴾ كاتراً سكتاً أي: قالوا سناً من القول يملكون فيه من الإلهاء واللام، والركاء بالجهل السفه وقلة الأدب⁴⁴ لهم الحظم والأدب والصفح الجليل الذي يصف به عباد الرحمن.

تثبيت الأقدام:

يصور القرآن بهذه الكتابة الصمود والتصر الذي يمنحه الله لعباده المؤمنين الذين يصبرون الله⁴⁵ وذلك في قوله - تعالى: ﴿ يَتْلُو آيَاتِهِ نَسْتَعِينُ اللَّهُ بِسَمْعِهِ وَكَانَ قَائِمًا ﴾⁴⁶

(1) سورة الفرقان، الآية: 43.

(2) الكشاف، 3 / 229.

(3) نثر الصمد، 3 / 283.

(4) الكشاف، 3 / 230.

(5) سورة محمد، الآية 7 ونظر سورة البقرة، الآية 25 وسورة آل عمران، الآية 147.

وسورة الضحى، الآية 94.

الكتابة التصويرية ﴿وَكَيْتٌ لِّلشَّكْرِ﴾ أي "أن تصروا دية بصركم على أعدائكم ﴿وَكَيْتٌ لِّلشَّكْرِ﴾ أي ويثبتكم في مواطن الحرب" (1) وجئت الكتابة للمعنى بالإنعام لأنها آلة الوقوف والشي والثبات والترنول يظهران فيها (2) فهي التي يركز عليها الجسد فبأن ركت انهار، وإذا ثبتت استقام وثبت فهو التصوير الحسي الذي يشير إلى المعنى لكنني عنه الذي يمثل في الصمود في أرض المركة والثبات عند مواجهة الكافرين الذي يجلب النصر عليهم

والبادي أن المعنى المكتنى عنه لا يتخذ بالصمود والنصر في مواطن الحرب حسب، وإنما هو النصر في كل مجالات الحياة، ومنه الصمود والثبات في مجاهدة العدو والانتصار عليهم، ولا يتم ذلك إلا حينما يكون الثبات على الدين (3) والاستقامة عليه والعمل على ردمته، ومجاهدة العدو، ودفعه بكل قوة وتذوقه من صمود عبدة المؤمنين وبهم لله (4) وقال القرطبي في الكتابة نفسها الولادة في موضع آخر في قوله - تمسأل -

﴿وَلَا تَجِدُوا أَلَيْسَ تُمْرَدَكُمْ دَعَاكُمْ بِمَعْتَصِمَتُمْ قَوْلًا قَدْ بَدَّ تَرْبَةً وَتَكُونُ لَكُمْ مَدَدَةٌ مِّنْ سَكِينٍ لَّكُمْ وَلَكُمْ عَلَيْكُمْ حَيْبٌ﴾ (5) قال "قَوْلًا قَدْ بَدَّ تَرْبَةً" لئلا تناسكم من حجة الاسلام بعد ثبوتها عليها: ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ مَدَدَةٌ﴾ في الدنيا يصشدكم ﴿مِّنْ سَكِينٍ لَّكُمْ﴾ وغروجكم من الدين، أو بعدكم غيركم، لأنهم لو نقصوا إيمان اليمة ولزمتوا، لا تقلوا نقصها سلة لغيرهم يستون بها (6).

فالكتابة تصوير حسي لحقيقة النصر في مواطن الحرب بوصفها نتيجة من الثبات على عبادة الاسلام أو دين الله الذي يأمع للمؤمنين وبهم عليه، ثباتهم عليه وإخلاصهم فيه يرتب عليه النصر ليس فقط في مواطن الحرب وإنما في كل جوانب الحياة.

(1) حمزة الطفاير: 3 / 387.

(2) حمزة الطفاير: 3 / 315.

(3) ينظر جامع البيان في تفسير القرآن: 2 / 396 وينظر "أشواق النضر والشمس في القرآن الكريم سلوة دلاية" - د عبد الوهاب محمد علي المشاوي وصدا محمد يحيى، ص 141 (مجلة أداب القرآن، العدد 23، 1992).

(4) ينظر "مفردات النصر في القرآن الكريم" د كاسد ياسر الزبيدي، ص 18 (مجلة أداب القرآن، العدد 23، 1992).

(5) سورة النمل، الآية 94.

(6) الكشاف: 2 / 492.

وقومهم الإيمان بالله، مهم قلب واحد، وقوة واحدة في أنفسهم وتعاملهم، فهم يرمون من قوس واحد.

الإصعاد واللي:

وردت هذه الكتانية في مشهد من مشاهد معركة أحد فجد حالة للضعف والحرمة النفسية للعاين من جيش المسلمين المرتدين من أرض المعركة لما أصابهم من دحش وذعر، ترد هذه الكتانية إزاء صورة كتانية أخرى على التبادل الجلي ثبات الرسول ﷺ وشجاعت في أعلى صورها، وذلك في قوله - تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ يَدْعُونَكُم بِأَلْسِنَةٍ غَاغِيَةٍ وَيَدْعُونَكُمْ إِلَى الْكُفْرِ وَهُمْ كَوَّارُونَ ﴾⁽¹⁾

للآية تقابل فيها كتانان على التضاد الجلي حالتين مختلفتين في صورة حسية حركية، الأولى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ يَدْعُونَكُم بِأَلْسِنَةٍ غَاغِيَةٍ ﴾ في وصف المسلمين المقاتلين الذين ارتدوا على أقدامهم من أرض المعركة والثانية: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَتَخَوَّسْتُمْ مِنَ الْمُحَرِّقِينَ ﴾ الثابت يدور إليه المؤمنون الفارين فيس تأخر معه في أرض المعركة

والحركة الحسية في الكتانية الأولى تمثلت في الإصعاد واللي، والإصعاد: الارتفاع في الأرض والاصعاد فيه: يقال صعد في الجبل واصعد في الأرض⁽²⁾ ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا ﴾ ولا تليعن ولا تعطفون ولا تليعن ﴿ عَنِ الْمَكِيدِ ﴾ لأن من مال إلى شيء يلوي عنه إليه⁽³⁾ والكتانية الثانية: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَتَخَوَّسْتُمْ ﴾ كان يقول ((إني عباد الله إني عباد الله إني رسول الله من يكر له الجنة)) ﴿ فِي الْفِتْنَةِ ﴾ في ساقكم ورجاعكم الأخرى وهي الفتناء⁽⁴⁾

فالكتانية الأولى في حركتها الحسية، القوية تصور ذلك الاضمار الحسي القوي المتمثل في الخوف والذعر، فلا ينظرون إلى رءسهم لشدة الذعشة ولا يعطفون على أحد ولا يدافعون وإزاء هذه الصورة الكتانية التي جسدت حالتهم النفسية للكرية، الجلي الكتانية الثالثة: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا يَتَخَوَّسْتُمْ مِنَ الْمُحَرِّقِينَ ﴾ معناها للكنى عه المتمثل في ثبات الرسول ﷺ

(1) سورة آل عمران: الآية: 133

(2) الكتانية: 1 / 471

(3) مراتب الرحمن في تفسير القرآن: 2 / 374

(4) الكتانية: 1 / 471

وشجاعته في ذلك للوقت العصيب، فهو الثبات في الصورة والمعنى في أحلك الأوقات كما تعمل هذه الكتابة على تحقيق معنى المزمعة وتصحيحها في حس القارئ من أرض المعركة وذلك من خلال التضاد في المعنى، فكان يجب عليهم أن يكون لهم أسوة حسنة في الرسول الكليل لثباته وصبره وشجاعته، فما يكون لهم أن يهروا وتركوا رسول الله وأمين بأنفسهم عن نفسه ولا ينجي ما في ذلك من ابتلاء للمؤمنين: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَكُمْ أَن يَنْتَحِلَا إِذْ بَدَّاهُمْ أَكْثَرُ ذُنُوبِهِمْ لَمَّا هَضَمُوا خُبْرَهُمْ وَتَأْيِيدَهُمْ وَجَعَلَهُمْ عَصَى فِئَةٍ أُخْرَىٰ ۖ وَلَئِنَّكُمْ لَفِي ذَٰلِكُمْ لَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة القصص: ١٧-١٨) سبب ضم لاذنوا، رسول الله بضمها وانكم له لم حاضاً مضافاً بعد ضم وضماً متصلاً بهم من الاهتمام (لَمَّا هَضَمُوا خُبْرَهُمْ وَتَأْيِيدَهُمْ) لتدبروا على تفرج العموم وتصرفوا باحتمال الشكوك، فلا تحزنوا فيما بعد على ذات من المظالم ولا على مصيب من الظلم^(١)، فهو الابتلاء الذي يعمل على إثارة القسوس والقلوب لإزالة الضعف الذي حمل ضمن للتهج التبروي للقرآن الكريم في معالجة القسوس والقلوب ولا سيما وهي ترواجه الأحداث المظالم.

فَضُّ الْأَبْصَارِ وَالشَّرْطُ بِالْأَرْجُلِ

يُعلم القرآن المؤمنين والمؤمنات القيم الحلقية الإيجابية وأمرهم بالالتزام بها، بما لها من دور فاعل في بناء المجتمع الذي يهدف إليه القرآن، وبالتقابل بينهما من الأخلاق السلبية التي تعمل على هدم هذا المجتمع وتطغيه.. وهو إذ يُعلم المؤمنين والمؤمنات وأمرهم ونهاهم، فإنه يخطبهم بالأسلوب البياني المؤثر الذي يؤدي للمسي في حيوية وقوة تأثير يقلل معها عالقاً في الذهن يحدث الاستجابة الروحانية التي ينتجها القرآن.

ومن ذلك الكتابان التوراة والإنجيل في قوله - تعالى - خطاباً للمؤمنين والمؤمنات: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ شُرَكَاءَ فِي ذُنُوبِكُمْ لَمَّا تَبَيَّنَ لَكُمْ أَن يَنْتَحِلَا إِذْ بَدَّاهُمْ أَكْثَرُ ذُنُوبِهِمْ لَمَّا هَضَمُوا خُبْرَهُمْ وَتَأْيِيدَهُمْ وَجَعَلَهُمْ عَصَى فِئَةٍ أُخْرَىٰ ۖ وَلَئِنَّكُمْ لَفِي ذَٰلِكُمْ لَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة القصص: ١٧-١٨) سبب ضم لاذنوا، رسول الله بضمها وانكم له لم حاضاً مضافاً بعد ضم وضماً متصلاً بهم من الاهتمام (لَمَّا هَضَمُوا خُبْرَهُمْ وَتَأْيِيدَهُمْ) لتدبروا على تفرج العموم وتصرفوا باحتمال الشكوك، فلا تحزنوا فيما بعد على ذات من المظالم ولا على مصيب من الظلم^(١)، فهو الابتلاء الذي يعمل على إثارة القسوس والقلوب لإزالة الضعف الذي حمل ضمن للتهج التبروي للقرآن الكريم في معالجة القسوس والقلوب ولا سيما وهي ترواجه الأحداث المظالم.

(١) قوله: ١/ ٤٧١.

(6) بطل. ر. فلال اللؤلؤ، 6 / 94.

الذي في قلبه مرض، قال ابن عباس: كانت المرأة تشر باللسن وتضرب برجلها ليسمع صوت عذلاتها، فنهى الله تعالى عن ذلك لأنه من عمل الشيطان⁴⁰.

وبذلك تتجلى عبادة القرآن الكريم بالمجتمع وحظه، وذلك من خلال تضييق فرص الغواية والفتنة، وسد الطريق أمام الأسباب التي تؤدي إلى الفتنة من نظرة أو حركة مقصودة تنمى في النفس الشهوة وتزجج في القلب الفتنة. وبذلك تصان الأعراس والمجتمعات من الجرائم والفواحش، ويشع الأمن والطمأنينة في المجتمع وفي القلوب والنفوس.

هذا المعنى

يهدم القرآن بالأسلوب الكتابي إلى الاعتزاز بالقيم الأصلية البالية، وإلى العبادة بالله ﷻ والرسى به، كي تحسن النفس بالاستعلاء على وعلاو الدنيا المانية وهي تهر الأضفار ولجذب النفوس إليها. للحظ ذلك في قوله - تعالى - ﴿لَا تَتَّبِعُوا فِي مَتَاعِكُمْ سَوَاءً﴾⁴¹ لفتنة الدنيا بقرينهم في ذلك والله يحيط بهم⁴².

الكتابة التصويرية ﴿لَا تَتَّبِعُوا فِي مَتَاعِكُمْ﴾ نالين لا تمتد إما عند النظر، ولكن الكتابة تصور المسمى فتجمل العين فاتها تمتد إلى المتصور إليه بهذا الاسناد المجازي التصويري، أي إسناد الفعل ﴿تَتَّبِعُوا﴾ إلى العينين فتشبع الكتابة إلى المعنى للكنس عنه وهو استحسان المتصور إليه والإصجاب به، وتأثيره في النفس يكسب النظر معه لا يبرد. فقال الزهري: ﴿لَا تَتَّبِعُوا فِي مَتَاعِكُمْ﴾ أي نظر عينيك، ومد النظر تطوله، وإن لا يكاد يبرده، استحساناً للمتصور إليه وإصجاباً به، ونمناً أن يكون له. ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركز في الطباع وأن من أبصر منها شيئاً أحب أن يمد إليه نظره وملاً منه عينه قيل ﴿لَا تَتَّبِعُوا فِي مَتَاعِكُمْ﴾ أي لا تفعل ما أنت معتاد له وضاربه ﴿الْمَتَاعُ﴾ أصلاً من الكثرة⁴³.

ثم تأتي الاستعارة الصريحة لتجسد ذلك الشيء الذي لشد إليه العين تجسد غاية في الزينة والبهجة ﴿يَوْمَ لَا تُنْفِكُ وَلَهُنَّ آَلَٰهٌ بَرٌّ﴾ فاستار الزهرة وهي جليبة بألوانها وتناصتها لزخرف الدنيا وزينتها، وذلك ليكون المسمى مصوراً غاية في العتة والبطالة.

(1) سورة القصص: 2 / 337، 336.

(2) سورة طه، الآية 131 ونظر سورة الحجر، الآية 88.

(3) التكاثر: 3 / 77.

ورغم جمال الصورة التي اخرجتها الاستعارة والذي تمتد إليه العين - كما اشارت الكتابة استعسافاً وإعجاباً - فإنه جمال متاع زائل سريع، كما لمحت الاستعارة إلى ذلك لأن الزهرة ورغم جمالها وتأثيرها في النفس سرعان ما تذبل وتزول. وفوق ذلك فهو للفتنة ﴿يَقْوَمُ بِهِ﴾ على خلاف ﴿وَلَا يَزَالُ﴾ فهو رزق للفتنة لا للفتنة، وهو طيب لأنه باقٍ لا يندح ولا يزول...

والكتابة - وإن كانت خطاباً للرسول - فإنها تتخاطب للؤمنين فلا تمتد لتطوهم ولا تتهاوى تقوسهم أمام زينة الحياة الدنيا وزخرفها، ولا تتصدع بما يقلب فيه الكافرون من نعم الدنيا ولا يفتنها كما تصور ذلك كتابة (الفتنة) في موضع آخر في قوله - تعالى - : ﴿لَا يَتَرَفَّعُ ظَنُّكَ إِلَى الْكَافِرِينَ﴾⁴ أي: "لا يندفعك تنقل الذين كفروا في البلاد طلباً لكسب الأموال والجاه والرتب"⁵

فالكتابة ﴿تَقْلُبُ أَلْسِنَ كَثْرًا﴾ فيها تصوير حركة على نحو من الكثرة والبالغة كما أجاد التشبيه لها فتشير إلى اللبس للكنى عنه وهو غرض النعم والمكاسب التي بها يتقلبون، فهم يتقلبون من لون من النعيم إلى آخر، وكان هذا طابعهم وديمهم على الهدى الذي يمرى الزمن ويجده، فيسئ القرآن من صدم التأثير عما هم فيه لأنها معهم رابطة لا تستند إلى القاصدة الأصلية (الإنسان) خلا ثبث أن تزول - وإن لمزوت وشككت - قال الزخشي: "لما كانوا مشغولاً عليهم من قبل الله بالكفر، والكافر لا أحد أشقى منه عند الله، وجب على من تحقق ذلك أن لا ترجع أحوالهم في حبه، ولا يفره أقبالهم في هبهم وتقلبهم في البلاد بالتجديدات النافعة والمكاسب المرجوة، وكانت قرعش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن، ولهم الأموال يتصرفون فيها ويتربحون، لأن مصير ذلك وعاقبته إلى الزوال، ورواه شفاة الأهد"⁶

ومن رواء الكتابة لنعم القيم الأصلية التي يحتمك إليها القرآن، القيم الباطنية المتصلة بالله ﴿تَبَاطُؤُا﴾ لا تلتزم بمظاهر الحياة الدنيا وزخارفها الزائلة والتي لا تسمى شيئاً إذا ما كانت وسيلة للفناء والإفساد.

(1) سورة آل عمران، الآية: 196 ونظر سورة طه، الآية: 4

(2) صفة القاموس، 1 / 253

(3) الكتاب، 4 / 117

ومن خلال عرض الكتابات الحقلية بين وظيفة الكتابة التصويرية والتشويقية في أداء الأتكار واللماني التي يهدف القرآن تبينها في ذهن اللغوي ونفسه، فالقرآن لا يحرص تلك اللماني والأتكار بتأثير شعبي مجردة، وإنما يوظف الكتابة بوصفها أسلوباً حيوياً مؤثراً إذ يقوم بصياغة المعنى الكامل في أداء اللماني وتصويرها بطريقة من شأنها أن تحدث الاستجابة المرجئية المناسبة في القارئ أو السامع وهو ينشئ هذه الموضوعات التي يهدف القرآن إلى تبينها في نفسه وقالبه أو كتبره بها.

الفصل الخامس

الكناية الساخرة

الفصل الخامس

الكتابة الماخورة

السحرية في مثلها المروي والمنحة محدثة لا تكتسب بمعنى آخر، ويعفور في معناها، بل يوتي معناها محدثة لثقافتها أوسعها، التهكم والاستهزاء، ولا شك في أن السحرية أسلوب وسلاح عقلي، مهما كانت دواعيها، ومهما كان مقاصدها، ومهما صغرت درجتها في المعاد أو كبرت، ويتبر هذا الأسلوب من غيره من أساليب المعاد بأنه مصروح بروح الفكاهة وأسلوبها⁽¹⁾.

وعلماء النفس حينما يبحثون في طبيعة السحرية فإنما يبحثونها كغيره من ظواهر عامة في الطبيعة البشرية، فيقولون مثلاً: الانقسام والضحك والفرح والتكلمة والمزاح والدعابة والمزول والنكتة والملحة والتأخرة والتكوميديا إن هي إلا ظواهر تنسب من فصيلة واحدة، وكذا إنما تصدر عن تلك الطبيعة البشرية للتألفة، التي سرعان ما تقل حيلة الجسد والصراخ والبصوت، فتلجس في النهر ترويحاً عن نفسها وتبحث في الفكاهة عن منفذ للتفليس عن آلامها، وتسمى عن طريق النكتة نحو التهرب من الواقع الذي كثيراً ما يقل كمالها⁽²⁾، وبناء على هذا يميل علماء النفس هذه الأنواع وما يشابهها ويحولونها ظهرة واحدة، ويعملون الضحك عنواناً لها، لأن الضحك هو النتيجة المباشرة لكل هذه الأنواع، وهو جزء أساس من هدف كل هذه الأنواع، وقد حظرت هذه الظاهرة اهتمام الفلاسفة والباحثين، فعنوا يبحثها ودراستها منذ أفلاطون وأرسطو حتى الباحثين المعاصرين⁽³⁾ فهم يرون أن الضحك - الذي جعلوه عنواناً للظاهرة من حيث هي - تكتفي في الأصل من الشعور بالانكسار في معركة جسمية بدنية⁽⁴⁾ ومهما يفسم علماء النفس هذه الظاهرة إلى أكثر من نوع، فإن الشعور بالانكسار أو التذوق بلاس كل نوع، فيقولون: 'الضحك نوعان. إيجابي وهو الضحك للتنشيط بحث عن شعور المرء

(1) ينظر: أسلوب السحرية في القرنين، ص 13.

(2) سيكولوجية الفكاهة والضحك، د. زكريا إبراهيم، ص 8.

(3) المصدر نفسه، ص 8. وينظر أسلوب السحرية في القرنين، ص 13، 14.

(4) سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص 123.

وإيضاح أن النوع الثاني مقصود به (النسخة) لأنّ ضمك الاحتقار والأزدراء هو معنى النسخة.

وكذلك يفعل الباحثون الذين يسمون هذه الظاهرة باعتبار مصدرها الاتصالي، مبرزين أن نوع العكاسة يفتح لتوحيات الاعتدال الذي اثراها، وبما ذلك أن اعتدال العصب يولد الفكاعات العلوانية والسخرية^{٥٤}، فالسخرية إذن ناتجة من اعتدال عدواني يسي خصمين ولكن الخصم الأقوى والأكثر منها هو الذي يستطيع أن يسخر من الآخر، وهذا أيضاً ثابت لأن الضحك - منوان السخرية - يظهر من مقام الاختصار والفرق^{٥٥}.

فالمسألة في ضوء ذلك أسلوب عدائي يروج الفكاكة، إلا أن هذا الأسلوب لا يحتاج نسباً ولا واقعاً إلا أن كان يهدف رماداً للوقوف والذي يثمر بأنه التسويقي القادر على

أما السخريّة في القرآن الكريم فقد ينظر إليها بعضهم على أنها لا تشقّ وجلالة القرآن من حيث إنه كلام الله، لذلك لا يسوون نسبة السخريّة بمعناها المقصود إلى الله ﷻ، لكن يجب القول إن القرآن يصفه ناطقاً بلسان المسلمين يحمل الصور الساخرة التي ساقها، ومنها (الكهاتيب الساخرة) يحملها كأنها صادرة من المسلمين أو ممثلة لوقتهم، وذلك لأن القرآن في كل تعاماته يمشد كل أصله ومثاقه ليعزّز مركز المسلمين ويخففهم إلى الصبر، وفي الوقت نفسه يعظم مركز أعداء الإسلام ويدفع بهم إلى الخزيّة أو الشعور بها لو توقّعوا الله، ولذلك يتضمّن القرآن بصور السخريّة من أعداء المسلمين حوافر معنويّة وروحيّة للمسلمين وهم يخافون من الإسلام متعلّمين سرّياً شيء من لشقّة والبلاء والإهانة، فضلاً عن ذلك اتّخذ أعداء المسلمين من السخريّة سلاحاً نفسياً مؤثراً يهدفون به لحطيم عزم المسلمين والذيل من قلوبهم.

(1) ۱۲۳، ص ۴۵.

(2) ميكولوجية الفكاكية والشمسك، ص 194.

(3) اضطراب الشخصية في القرآن الكريم، ص: 15.

(46) ينظر المصلح نفسه في 19

(5) ينظر للمبارقة فيه، ص 12، 11.

يلتجهم.. إلا أن القرآن يتصدى لهم بسخريّة إبلع وتعلّأ، وأشدّ تحطيماً، وأقذ سهماً⁽¹⁾، كما ستلاحظ في صور الكتابات السخريّة التي تمثل جانباً ملحوظاً من أسلوب السخريّة في القرآن على أنه ليس هناك ما يجمع من سبّة السخريّة إلى الله سبحانه، يقول الزخسري "لأن قلت لا يجوز الاستهزاء على الله لأنه متعلّق من القبيح والسخريّة من باب العيب. لما معنى استهزائه بهم؟ قلت معناه إنزال المروان والحظيرة بهم، لأن المستهزئ هو من يرميه هو طلب خلفة والزديعة من يهزأ به وإدخال المروان والحظيرة.. وقد كثر الشكّ في كلام الله تعالى بالكثرة، والرداء به تحقير شأنهم وإزراء أرحمهم، والدلالة على أن سلبهم حقيقة بأن يسخر منها الساعرون ويضحك الضاحكون⁽²⁾، ثم يقول عقب ذلك: "وفي أن الله هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ، الذي ليس استهزأهم إليه باستهزاء ولا يؤيه به في مقابلته، لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من المروان والذل، وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم، اتفاقاً للمؤمنين ولا يهوج المؤمن أن يمارضهم باستهزاء مثله⁽³⁾".

والسخريّة في القرآن الكريم ليست مجرد تهجم أو هجاء أو تمسّين شأن، وهي ليست مجرد أسلوب فكّه يثير النفوس أو يهت على الفسك، وإنما هي وسيلة لتحقيق أهداف على جانب كبير من الأهمية سواء من الناحية النفسيّة، أو من الناحية الاجتماعيّة، ومن ثم فإن القرآن الكريم لم يقر أسلوب السخريّة من أهدافه ليكون مجرد تهكم أو استهزاء أو تحقير، وإنما اختاره لأهداف أبعد، وأغراض أعمق. كما أن القرآن نقل اتباعه فيما يشبه الطغرة من السخريّة الهداية أو المخرية من البخلوة التي يصورها علماء النفس في الشكّ من التعرّب الجسمي أو الانتفاص الشكليّ والثانية إلى السخريّة الحظارية للتطوّر التي تحقّق وراء مظهرها البسيط أغراضاً عاتية إلى مخرج معيّن تنحصر في الإصلاح وعبارة الرذيلة، والهدوء إلى التخلّي العليا والبادئ القوميّة والسلوك الصحيح، وبهذا يكون القرآن قد ساء باتباعه من انقاد السخريّة مجرد سلاح للتكسّم ولقدّم كما كانوا يلقون في الجهاد⁽⁴⁾ إلى جعلها وسيلة لإصلاح وتهذيب.

(1) ينظر المصدر نفسه ص 13.

(2) الكشاف: 1 / 187.

(3) الكشاف: 1 / 188.

(4) ينظر أسلوب السخريّة في القرآن الكريم ص 25.

وكذلك حينما ننظر إلى الكتابات السابقة في القرآن الكريم نجدها في طيها صلاحاً يستغله القرآن عند إعطاء المسلمين للتوجيه الأولي والرجوع - في الأعم الأغلب - لتنهض أمة الكبر والشرك الذين يحدون الحق للسلام والمسلمين بكل ما أوتوا من قوة وتفكير وتدبير، لذلك يؤمّم القرآن بتفسير كتابه ماخرة تبال منهم نبلاً عظيماً بوصفهم خطراً يهدد المسلمين. وقد عرض القرآن الكريم طرقاً من عظمهم وصنعتهم، من ذلك - مثلاً - صنعتهم بالرسول ﷺ بكل ما جعل هذه السخرة من تهكم لادع واستهانة بشخصه ﷺ كما يقول الرضوي في تفسير قوله - تعالى - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا حِكْمًا تَقْرَءُوهَا وَلَا يَتَّبِعُونَ فِيهَا إِلَهًا بَلْ يَنظُرُونَ إِلَيْهَا سَعْيًا مَّعِيضًا﴾ (١) وفي هذا استهانة وتصغير، وتسميته بالرسول سخرة منه وطعن (٢) كلهم قالوا: ما لهذا الزاعم أنه رسول - أي إن صبح أنه رسول الله لما به مثل حاله يأكل الطعام كما نأكل، ويتردد في الأسواق لطلب المعاش كما تتردد (٣).

[illegible]

(٥) الطُّرُقُ السَّخْرِيَّةُ: ينظر لسان العرب 5 / 369 (طُرُق).

209 / 3 . EACI 03

(3) ينظر: الكتاب: 4 / 470 والفهرج الجليلي: ص 752 ونظره لباب الشوك في لمبات الشوك، ص 753.

﴿لَمْ يَخْرُجْ مِنْكُمْ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿وَكَانَ الْإِنشَاءُ فِي الْقُرْآنِ﴾ ﴿وَتَأْتِيهِمْ سَاعَةٌ﴾⁽¹⁾

وقد استخدم الوليد بن السخيرة سيادته ومجده وقوته وسلطته في حرمه للإسلام والمسلمين، لذلك فالقرآن بهاجه مهاجةً صعبةً شديدةً، تشوه كل معلومات مجده وسيلته، ثم تنصب السخيرة اللازمة على شخصه، فهنا الشخص القوي للتسلط صاحب نبال والبنين والفكر والتقدير، الذي يملأ قلوب أتباعه إعجاباً وإكباراً بمظهره وجلاله، تسح الكتابة الصغيرة هذا المظهر، لتصور مكانته بصورة ساخرة، تشوه منظره، وتثير الضحك والسخرية منه بما يشبه الرسم الكاريكاتيري⁽²⁾ وذلك في قوله - تعالى - ﴿وَلَا تُلَاحِظْ كَلَامَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿مَكَارِئِهِمْ وَسُوءِ مَا يَقُولُونَ﴾ ﴿إِنَّا نَكُنُّ عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾⁽³⁾

الكتابة التصويرية ﴿تَتَلَوْنَهَا لِلْأَعْيُنِ﴾⁽⁴⁾ تخرج لنا الوليد وقد شوه منه أبرز موضع في أكرم طبق من الإنسان يشير إلى العز والحسية، قال الزخشري: "لوجه أكرم موضع والأنف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له، ولذلك جعلوه مكان العز والحسية، واخشوا منه الأنف، وكالوا الأنف في الأتقار، وحى أنفه، وفلان شامخ المروء، وفلانو في الليل" جنتع أنفه، ورسم أنفه، فعبر بالرمس على المخرطوم من غلبة الإدلال والإهانة، لأن النسبة على الوجه شين وإلحاقه كليل بها على أكرم موضع منه"⁽⁵⁾

فالكتابة تكتب دلالة السخيرة بطلاً عن الإدلال والإهانة، بعد أن نال من معلومات اختياله وفخوه بلال والبنين، ومكانته ونسبه. - فقد تحول بالكتابة إلى صورة أشبه بهيوان ذي مخرطوم قد رسم بعلامة بشعة مظرة تثير الضحك والسخرية منه.

(1) سورة النور، الآية: 11 - 29.

(2) ينظر: أسلوب السخيرة في القرآن الكريم، ص 131.

(3) سورة القلم، الآية: 10 - 16. حذاف: كثير الخلف يلباطل. حذاف: حباب، أي مساب. مثله بينهم. ساع بالكلام بين الناس على وجه الإكساب منهم. حذاف: غلبة جفاف. زميم: دعى في قرش. ينظر: تفسير الجلالين، ص 752.

(4) المخرطوم: الأنف. تفسير الجلالين، ص 753.

(5) التكتاف: 4 / 471. وينظر: التفسير الكبير، 30 / 86.

الصَّغِيرُ بِالنَّاسِيَةِ :

[illegible]

(3) سورة المائدة: الآيات 19-6

قال الزخشي: ﴿كَلَّا﴾ دفع لأبي جهل وعسوه له من نهيه عن عبادة الله تعالى ولمس بعبادة اللات، ثم قال ﴿لَيْلَى لَيْلَى﴾ مما هو فيه ﴿لَتَكُنَّ لَكَيْبَةً﴾ لتأخذ بناصيته وتسحب بها إلى النار⁽¹⁾ والسُّلْع: القبيض على الشيء وجذبه بشدة. ﴿كَيْبَرُ كَيْبَرٍ كَيْبَرٌ﴾ وصفها بالكذب والخلف على سبيل الجواز المرسل لملاقة الجزية، إذ ذكر لجزء (الناصية) وأريد الكل، فالكذب والخلف في الحقيقة لخاصة الناصية وفيه من الحسن والجزالة والحكمة ما ليس في قولك: ناصية كاذب خاطيء. ﴿كَلَّا كَلَّا﴾ والناهي: المجلس الذي ينتهي فيه القوم، ولما لم يزل الثاني⁽²⁾

ولي الكتابة. ﴿لَتَكُنَّ لَكَيْبَةً﴾ تبلغ السحرة من أبي جهل مبلغها في الصورة والمصير، في الصورة يرى لها جهل وقد فُحش على ناصيته بقوة وشدة جذب، ثم يُجَرَّ ويُجَلَب بقوة وعنف، وعلم الصورة ثاني عليها أبو جهل تمثل صورة من العذاب لما وقعها وتأثيرها البالغ في مجتمع كاتلهم العربي، إذ إن أي صورة من صور العذاب أو الفؤاد أضعف وأيسر في فهمها من علم الصورة التي رسمتها الكتابة فصوره مكتلاً بالأحلال، أو معلنياً في جهنم، أو أي شيء من ذلك، لا يبلغ منه ولا يجل من مزله في المجتمع ما يلقه التصوير الكتابي حلالاً، وهو يتناول شخصاً بلاء النور، ويسجل عليه الشعور بقوة التي لا تُس، والقرعة التي لا تُكهر كأي جهل⁽³⁾

أما للمسي الكسبي عنه الذي تشير إليه هذه الصورة الزرقة فوشة يتشغل في غاية الإغارة والتخدير والسخرية من قوته وجبروته، فضلاً عن دقته واستكاته واستسلامه

ولا يخفى ما في استعمال أسلوب الجواز المرسل للتوصل بالكتابة في موضعين من السياق: ﴿كَيْبَرُ كَيْبَرٍ كَيْبَرٌ﴾ و ﴿كَلَّا كَلَّا﴾ من زيادة المصير قوة وتأكيده، إذ إن إسناد الكذب والخلف للناصية دون صاحبها يوحي على نحو من التوكيد بتكبره واختياله وحقه وفلاله، كما يوحي بقوة التهديد والوعيد وشدة العذاب الذي ينتظره، ولا يعضه من هذا العذاب قوته التي يُعاض بها ويكابر كما دلَّ الجواز المرسل الآخر ﴿كَلَّا كَلَّا﴾ إذ ذكر المحل وأراد الذي يجل فيه، وهي القوة التي يركن إليها من كفة الكفر والشرك من مله، وفي هذا الجواز إيهام بشدة القوة التي يركن إليها ويمتنع بها، ولكن فيه من جذب آخر إيهام بشدة جذبه وسوء مصيره، وقد صوّرت الكتابة الساعرة جاذباً منه.

(1) الكشاف 4 / 620.

(2) ينظر: الكشاف 4 / 620.

(3) ينظر: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 208.

لَقَدْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ :

إذا كانت الكناية السابقة مسحوت من لحي جهل خطية السحرة وتوعده بأشد العذاب والقطع، فإننا في هذه الكناية التي قيل فيها تركت في لحي جهل أيضاً^(٥٠)، نعلمنا على العذاب للخي واللعن الذي ينظره هناك في نرجس العذاب للخي الشديد كما يصوره السياق، والعذاب للموي من ثياب وسخرة وترذيل كما تصور، الكناية التي تشكلت في هذا السياق الشديد الإيهام والتركيز في تصور عذاب لحي جهل بوجهه نقرأ ذلك في قوله - تعالى - ﴿ سَتُكُونُ مَقْتُولُونَ بِمُكْرِكِكُمْ لَمْ يُغْنِ عَنْكُمْ كُفْرُكُمْ إِنَّكُمْ عِنْدَ اللَّهِ فِي حُلَّةٍ كَثِيرَةٍ لَلْعَذَابِ ﴾^(٥١)

فالشدة والعنف تتجلى من إيهام الألفاظ التي تكون صورة العذاب، من ذلك لفظ ﴿ سَتُكُونُ ﴾ فإنه يوحي فوق أخذ الكافر إلى جهنم، فإن فيه تهوياً من شأنه وذلك بسلب كل إرادة أو كيان معنوي منه الكافر - كما يوحي اللفظ - مجرد شيء ينقل من مكان إلى مكان، ثم كلمة ﴿ مَكْرِكِكُمْ ﴾ بما يبرزه في النفس من تصور لوسط الجسيم أو قعره أو ثقله، نسسم كلمة ﴿ سَتُكُونُ ﴾ وما فيها من سخرية وشدة بتصوير العذب فوق رأسه من العذاب كما يصب الماء، لـ ﴿ سَتُكُونُ ﴾ استعارة مكينة تصور شدة العذاب الأليم الذي هو فيه، حيث شبه العذاب بالجسيم الأليم الشديد الحرارة، ثم حذف الاستعارة منه ودل عليه رافعة الفعل ﴿ سَتُكُونُ ﴾، فالاستعارة توحى بلذع العذاب الشديد الأليم^(٥٢).

وفي ذلك مقارفة في تصور للفتنة بين صب الماء وصبي العذاب، والحرف ﴿ وَنَ ﴾ الذي يوحى بالصبر الطوي للعذاب^(٥٣) ويتركز إيهام شديداً بالعذاب والإهانة باللفظ ﴿ مَقْتُولُونَ ﴾ يقال: « حُلَّةٌ جَرٌّ » حراً عتيقاً وجَلَّةٌ ، وقيل: « المَلَلُ » أم تأخذ بتليب الرجل فتعنه أي تجره إليه وتلعب به إلى حبس أو هلكة . يقال: لا أتمل معك شيئاً أي لا أبرح مكانتي، والعنلة الشدة الكبيرة تنطلق من الأوغر، والعصا الضخمة من حديد لها رأس متلطح تكون مع الباء بهضم

(٥٠) ينظر آيات التوراة في أسباب التوراة، ص 599.

(٥١) سورة البقرة، الآية: 47-49.

(٥٢) ينظر الاستعارة في القرآن الكريم، ص 116.

(٥٣) ينظر أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 440.

بها المحيطان، والجبروت العليقة^{٤١٦} صاعدة اللفظ تدور حول الشدة والضم، وإثوي بصورة من
الغلاب هينة مفرجة لعل بها الكافر

- (١) لبنان العربي: ١١ / 423-424 (مجلد).

ودلالة السحرية في الكتابة ﴿ذُقْ يَذُوقُكَ أَنتَ أَشَدُّ الْعَذَابِ﴾ تصاعداً أيضاً بالاستعارة المكتبة ﴿ذُقْ﴾ ، فالتلوق هو نيل الحاسة المروقة، وتعمل عادة فيما يُؤكل من الطعام والمشروب، ولكن القرآن يستعيره لفرض تقرب المعنى بإقامة توباً حياً في تلوق نار شجرة التورعج والانتدابورج، ولقد افترق هذه الحاسة (التلوق) من دون الحواس الأخرى لأن حس التلوق لإدراك ما يلوقه قوي⁽¹⁾ فهي أشد الحواس وتلوقها إدراكاً في تلوق الأشياء عند الإنسان والله أعلم.

ولما كانت نار جهنم ليس لها طعم ليتلوقه المكلف حيث لا تتجلى السحرية منه على نحو جلي، فالاستعارة فيها للكلمة على تشبيه الطلابة بشيء يُذاق ثم حله وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الفعل ﴿ذُقْ﴾ على سبيل الاستعارة المكتبة وذلك ليعمق درجة الاحساس بالعلاب وأنه ومن ثم تأثيره في النفس.

ومن وراء هذا التركيب الكتابي الذي أشار إليه السحرية اللادعة، فضلاً عن شدة العذاب وعنفه الذي يلاقيه عند الإسلام والمسلمين لجهل، فإن التركيب الكتابي أبعد مدى من فرد نزلت فيه الآية، فالعبرة بمصوم التلوق لا بخصوص السبب كما يقول القسرون وأهل الأصول⁽²⁾ فالصورة تعم دلالتها فتشمل كل من يمدى الله ورسوله والمسلمين على مدار الزمان.

الضرب على وجوه الكافرين وأبوابهم

تصور هذه الكتابة ما ينتظر الكافرين من عذاب عند موتهم، وهو نوع من العذاب تتكثف فيه السخرية والإهانة والإذلال، نقرأ ذلك في قوله - تعالى - : ﴿وَكُلُّهُمْ فِي سَعَتٍ﴾⁽³⁾

(1) ينظر كتاب المستنير، ص 275.

(2) ينظر الفيضان في تفسير القرآن، الطوسي، 3 / 93 وينظر البرهان في علوم القرآن، 1 / 32 والافتحان في علوم القرآن، 1 / 130 انظر: مستهج الطوسي في تفسير القرآن الكريم، ص 192 -

(3) سورة الأكل، الآية 39. ينظر: سورة حمد، الآية 27.

الكتابة الساعرة هي: ﴿يَتَلَوُّنَ كُتُوبَهُمْ وَيَذْكُرُهَا﴾، قال الزخشي: "وهن يجعلن وأجبارهن استعظم، ولكن لله كريم يكني، وإنما خصوهما بالضرب لأن الحري والنكال في ضربهما أشده"⁴⁰.

ومشهد ضرب الكافرين على وجوعهم ولجأهم من قبل الملائكة الذين يتردبونهم كما تصوره الكتابة مشهد يصور نوعاً من العذاب للذين، لذلك فالآية تفتت ابتداءً للتلقي إلى أن يتصوره ويقله ويدل على ذلك استهلال الآية بالأسلوب الحري الثلاث للنظر ﴿وَيَذْكُرُهَا﴾، فهو توجيه خطاب لكل من يرى هذا المشهد البارز وكأنه حالة دامية كلما توقفت الملائكة الكافرين، وهو مشهد مروع يدل على ذلك حذف جوبه (لو) والتقدير: "لرايت أمراً عظيماً متكرراً"⁴¹، بحيث يترك الخيال التلوي أن يتحله قطع شبه كل ملعب في تصوره، ثم يتحول الأسلوب في الآية على سبيل (الالفاظ) من التنية في الإخبار عن الكافرين إلى خطابهم في أسلوب إنشائي في خطابها ﴿يَذْكُرُهَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ليرد المشهد حاضراً مؤثراً في النفوس، فضلاً عن تعدد دلالة السخرية في الكتابة بالاستعارة اللفظية ﴿يَذْكُرُهَا﴾ أي "ذوقوا عذاب الحريق أي مقدمة عذاب النار، أو ذوقوا عذاب الآخرة بشاره لم يهـ" فالاستعارة الحسية تعمق ثقلهم للعذاب، فضلاً عن إرمائها هذا النوع من العذاب بالسخرية والتعكم بهم.

ودلالة الكتابة فيما هو ظاهر لا تهدف إلى بيان شدة العذاب البدني الذي يلاقيه الكافرون عند الموت بحسب، وإنما تهدف أيضاً إلى التمهيد لعذاب أشد في الآخرة بحسب في تصوير حسني حي يسي بالسخرية ذلك أنه اختير مكانان للعذاب عليهما، وهما الوجه البدني بعد الضرب عليه من أنسى وسائل الإهانة والإذلال، والذعر الذي لا يلجأ إلى الضرب عليه إلا في الحالات النادرة وفي أقصى حالات الخوف والاحتراف، فهنا للتمثيل في تعذيب الكافرين والسخرية منهم هو المشهد البارز الذي تودبه الكتابة في الآية⁴² وهو المسمى الذي يتمنى باستعارة الذوق، وكان عذاب السخرية والإهانة بالضرب على الوجوه والأجبار هو تعذيب لعابهم بالنار.

(1) التفسير: 2 / 179

(2) نفسه: 2 / 179

(3) نفسه: 2 / 179

(4) ينظر أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 378.

تولية الأديار

ويسخر القرآن بهذه الكتابة في مواضع كثيرة من الكافرين كلّمًا واجهوا المؤمنين في أرض للفرقة ففي كتابة "تولية الأديار" سخية بالغة من الكافرين ومخبر لهم، فضلاً عن تصوير خوفهم وذعرهم وحنينهم القضية بمرارة تولية الأديار للذين للشامنة كلما اتفوا بدلوين. وهذه من الله لا تتغير ولا تبدل كما ينبغي القرآن بذلك ﴿وَوَعَدْتُمُ الْمُنَافِقِينَ الْبُخْرَىٰ ۖ وَأَلْزَمْتُمُ الْأَعْدَىٰ ۚ ثُمَّ يَتُوبُونَ فَوْقَ الْغَيْبِ ۚ إِنَّهُمْ يُخَادِعُونَ اللَّهَ ۖ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۚ﴾⁴⁰

الكتابة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ والذين "نقض الميثاق" و"بخر كل شيء" عتية وموعدوا الأديار للوات الحوافر والمثل والمثلج ما يجمع الأمت والحياة والحياة من كل ذلك وحده "بخر" الأديار كتابة من (الأمت) لله فهي تشير إلى ميتين هما

1 - الفرقة والفرار من مواجهة للمؤمنين.

2 - البخرية اللادة منهم بانكشاف أديارهم للمؤمنين.

وفضلاً من ذلك فإن الكتابة تقر هذه الحقيقة الكبرى، حقيقة نصر المؤمنين المخلصين على أهلهم الكافرين حشما الطراء وإن أبدى الكافرون شدة وغشوة في بعض الممارك، إلا أن مصيرهم التخاذل والفرقة والانتكاس بالمعنى الذي يلزم الصفات المذكورة، فضلاً عن أنه يفسحهم ويسخر منهم كما صورته الكتابة.

وما ذلك إلا لأن الكافرين مجبرون لا يفلحون ولا يملحون، قلوبهم غارية لا تستمد القوة من مصدر القوة الحقيقية التي يعتمد عليها المؤمنون ويظلمون، وقد صورّت الكتابة نفسها حقيقة الكافرين هذه في موضع آخر في قوله - تعالى - ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ طُغْيَانِ الْفُجَرَاءِ ۚ قُلْ طُغْيَانُهُمْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي الْأُمَّةَ الْغَالِيَةَ ۚ﴾⁴¹

(1) سورة القصص، الأيات: 22، 23. وينظر السور الأتية آل عمران، الآية 111، النحل، الآية 12.

21. والأحزاب، الآية: 15. والقصر، الآية: 46. والمفسر، الآية: 12.

(2) لسان العرب، 4 / 268 (بخر).

(3) ينظر التفسير، 2 / 179.

(4) سورة الإسراء، الآية: 86. وينظر في هذه الكتابة: الأديار من آيات القرآن السور الأتية النمل،

الآية: 80 والقدر، الآية: 32. ومحمد، الآية: 25. والمفسر، الآية: 17. والناشر، الآية:

22. والناشر، الآية: 22.

عَرَبُ الْأَرْضِ وَيَلُوحُ الْجِبَالُ طَوَلًا،

فالسحرة والتهمك من اعتاد هذه الشبهة تتجلى من هذا التعبير الكتابي، والمرح شدة
فرح وشباط ⁽⁴³⁾ (كُنْ قَرِيْبًا لِّلْحَيَاتِ) لَنْ تَجْعَلَ لَهَا غُرْفًا بِدُورِكَ لَهَا وَشِدَّةً وَمَلَأَتْ (وَكُنْ تَلْعَ
لِلْمَلَأِ حُرُوفًا) بِتَطْلُوكَ، وهو تهكم بالمثل ⁽⁴⁴⁾.

(١) بط، الكتاب، ٢ / ٥٥.

١٧ في الأسماء

٥٢٤. *إمام الأئمة، ص 424 (م ٥٢٤).*

(4) الكشاف: 2 / 522.

٥٧ ينظر: أساطير البحيرة في القرآن الكريم، ص ٤٨١

عالمًا في اللحن والنس بما يتطلبه من مظهر مادية في صورته المتحركة الثيرة للفسحك والتشعير من كل من تراءوه نفسه أن يصطحب هذه المشية ويتكاتفها.

ولا يخفى ما في الكتابة من إجماع يدور إليه القرآن بها يتمثل حثا الإجماع بالصاغة النصي بين أفراد المجتمع جيمًا، حيث يجعلهم يقفون على قدم مشاورة، وصف متكافئ لا يرفع بعضهم على بعض وذلك من خلال سخرية القرآن سخرية شديدة من كل وضع يخالف مبادئ الإسلام كهذه المشية التي حاولها بالكتابة الساهرة

الصلف من آيات الله:

ويسر القرآن بالصورة الكتابي من الكتابين آيات لله المتكبرين عنها مسخرة باللغة، وذلك في قوله - تعالى - ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ لَّكَ وَلَئِنْ كُنَّا إِلَّا نَذِيرٌ لَّكَ وَلَئِنْ كُنَّا إِلَّا نَذِيرٌ لَّكَ وَلَئِنْ كُنَّا إِلَّا نَذِيرٌ لَّكَ ﴾⁴¹

الكتابة الساهرة ﴿ يَسْأَلُونَ ﴾ قائمة في بيتها على الاستعارة للكتابة حيث شبه المتكبر من آيات الله للعرض عنها يميز مصاب هذه الصلف ثم حذف التشبه به (للتعازر منه) وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الصلف، وفي هذا التصوير الاستعاري يرسم الذي يصف من آيات الله بصورة البعير الذي يحل في مثبته، جاء في أساس البلاغة "صلف من الشيء صُلُوفًا: أصرض عنه ومن الكتابة: وجعل صُلُوفًا: أفر لأنه كلما حدث صلف يوجهه لظن يوجد بقوله⁴² وقال القراشي: صلف منه. كصلف الجبل أي جالته⁴³. والإعراض الشديد ملحوظ في الصلف، لأن للكذب آيات لله للعرض عنها تد حرف صفة الآيات وصفها ثم صلف عنها، قال القرطبي ﴿ لَمَّا أَتَاهُ يُنَادِي كَذِبٌ يَكْتُمُ لِقَوْلِهِ ﴾ بعدما عرف صحتها وصفها، أو فك من معرفة ذلك ﴿ وَصَدَّكَ عَنْهَا ﴾ الناس لشدن وانسلا ﴿ سَتَجِدُ آلِهَةً يَسْجُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ كقولهم ﴿ هَٰؤُلَاءِ كُفْرًا وَمَسْجُودًا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَسْأَلُ عَنْكُمْ ﴾⁴⁴

(1) سورة الأنعام، من الآية: 137

(2) مادة (صلف) من 231

(3) للقرمات، من 400

(4) سورة النمل، من الآية: 82

(4) الكشاف: 2 / 64

ومن وراء هذه الصورة القائمة على الاستعارة بتورثي خلف سبغها معنى مكسب عبر
بغير الشبهة من هذا الكثير من آيات الله للعرض عنها بتمثل في حثوثية هذا السط من البشر
في تلك الصورة التي نخرجها الاستعارة وهي ميل البحر في شبهة لشجرة للضحك.

شُرُّ الدواب:

يصل هذا التعبير المكتني بالكثنية السابقة من حيث المعنى لتمثل في حيوانية لسط من
البشر يعمل على إثارة سحرية المتلقي وإذرائه، لسط ذلك في قوله - تعالى - ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ
عِنْدَ اللَّهِ الْوَيْلِيُّ كَرُّوا فَمَنْ لَا يَلْمُوهَا⁽¹⁾﴾.

فهؤلاء الكافرين المصرون على الكفر وقد لجأوا فيه فلا يؤجس منهم إلهاء، هؤلاء شر من
يدب على وجه الأرض.

إذن ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ كتابة ساخرة من حيوانية الكافرين على الرطم من أن لسط
﴿الدَّوَابِّ﴾ يشمل كل ما دب على وجه الأرض⁽²⁾، لكنه قد غلب على ما يركب من الدواب⁽³⁾
في عرف العامة، لإخلاقه في هذا السياق يلقي ظل البهيمية على اللين كسروا، لهم قد حرموا
أنفسهم من الإيمان لأنهم حطوا أجبرتهم التي وجههم الله إلهاء، وهي وسائل الإدراك والتعقل
كما وصفهم القرآن في موضع آخر ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الْوَيْلِيُّ كَرُّوا فَمَنْ لَا يَلْمُوهَا⁽⁴⁾﴾
قال الزحري "﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ أي أن شر من يدب على وجه الأرض، أو أن شر البهائم
اللين هم صم من الحق لا يعقلونه جعلهم من جس البهائم، ثم جعلهم شرها⁽⁵⁾، فلتعير
كتابة من بهيمتهم، بل هم شر من البهائم⁽⁶⁾ لأنهم مسلوبو العقل والوحي كما جسد التصوير
الاستعاري ﴿كَلِمَةُ الْكَيْدِ﴾ حاتم وحيلتهم وهم ليسوا صمًا وكما في الحقيقة، ولكنه التصور
الطابق لواقعهم وحلم عند انقضاء كل تفكير أو وحي عنهم، لهم لا يسمعون سماع مدى

(1) سورة الأنفال، الآية: 55. ونظر: الآية: 22 من السورة نفسها.

(2) نظر: لسان العرب: 1 / 369 (نبيه).

(3) للمصدر نفسه: 1 / 370 (قائمة نفسها).

(4) سورة الأنفال، الآية: 22.

(5) الكشاف: 2 / 165.

(6) نظر سورة الأعراف، الآية: 179 والفرقان، الآية: 44.

يتمسكون به من حزن أو مفارقة أو نوح. فهم يتساقطون لا إلى غير أو طاعة، وإنما يتساقطون من قزحهم اللغظي ووجههم لالتماس اللهب والاحتفاء.
ولا يخفى ما في هذا التصوير في الآية من سحرية بالغة وهي ترصد حركاتهم الممادة (الجموح) لهباً لما يعتري المتألمين من الحروف الشديد برصعه طبيعة نابضة من دخيلة نفوسهم فهي ملازمة لهم.

دوران الأعين

تخص هذه الكتابة الساحرة بصور الحالة النفسية للمتألمين، كما اعتصمت بهم الكتابة السابقة، إلا أننا نلاحظ في هذه الكتابة أثر الحروف والرهب أكثر بروزاً ووضوحاً وهو يرسم حركة دوران أعينهم، وذلك حينما يتمرّض المتألمون لموقف خيف تضطرب له نفوسهم وللوهيم خوفاً ورحباً. نقرأ هذه الكتابة في قوله: ﴿ تَعْلَمَ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُ لَهُمْ إِيَّاهُ فَتَتَّقُوا اللَّهَ أَنْ تَكُونَ مِنْ تَخَفِهِمْ يَسْرَءِيلَ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آية 130 من سورة البقرة).
﴿ تَعْلَمَ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُ لَهُمْ إِيَّاهُ فَتَتَّقُوا اللَّهَ أَنْ تَكُونَ مِنْ تَخَفِهِمْ يَسْرَءِيلَ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

﴿ تَعْلَمَ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُ لَهُمْ إِيَّاهُ فَتَتَّقُوا اللَّهَ أَنْ تَكُونَ مِنْ تَخَفِهِمْ يَسْرَءِيلَ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ هذه التصوير القرآني يحدد حالة نفسية واضحة المعالم تلك الحالة التي تعتري المتألمين عند الشعور بالخوف، حالة الحروف والرهب وهو يوجهون (التشال) ولكن القرآن يسميه (الحروف). ﴿ تَعْلَمَ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُ لَهُمْ إِيَّاهُ فَتَتَّقُوا اللَّهَ أَنْ تَكُونَ مِنْ تَخَفِهِمْ يَسْرَءِيلَ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وفي ذلك يتجلى وقع التشال في النفوس المتألقة القزحة الخالوية⁽¹⁾ وتأثيره الذي يرسم في أعينهم في صورة بارزة كما تصوّره الكتابة ﴿ تَعْلَمَ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُ لَهُمْ إِيَّاهُ فَتَتَّقُوا اللَّهَ أَنْ تَكُونَ مِنْ تَخَفِهِمْ يَسْرَءِيلَ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ في إخراج المعنى والكتابة ﴿ تَعْلَمَ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُ لَهُمْ إِيَّاهُ فَتَتَّقُوا اللَّهَ أَنْ تَكُونَ مِنْ تَخَفِهِمْ يَسْرَءِيلَ إِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ مترابطة مع الجار العظلي تصوّر أعينهم كلها تدور، والحقيقة تدور أحداثهم في أعينهم بلسان الفعل ﴿ تَعْلَمُ ﴾ إلى المكان ﴿ أَعْيُنُهُمْ ﴾ ولكن شدة الدوران وسرعة تقلبها يحل أن الميون كلها تدور، فليس الدوران دوران المساجر والأحسناء، ولكنه

(1) سورة الأحزاب، الآية 18، ونظر سورة عبد، الآية 20.

(2) نظر من لمروا للتعبير القرآني، د محمد أبو موسى، ص 70.

دوران العيون حتى الجفون والأهداب، وفي كل ذلك تصوير لقوة أميهم اللطيفة⁽¹⁾ وبذلك تشير هذه الصورة الكتابية بكونها التصويرية المحسوسة إلى مقدار صفة خولهم وروعهم، فضلاً عن ضمهم وتخاذلهم وقترهم، وهي اللاماني التي صورها المشبه به ﴿كَأَنَّهُمْ يَتَلَوَّنَ عَلَيْهِمْ بِرُءُوسِهِمْ﴾ لهم مظهر الموت والامتلاء. فالصورة التشبيهية ترسم حيي اللائق حيث يمشي بالخطر على حياته، بأنهما أتب بعني شخص يشاء الموت فتشعل منه كل حركة، ويمكن منه كل حضور وإلا فإنه حينها لانهما يدوران، دوران الضعف والامتلاء والفرع والفرع، ومشاعر وانفعالات كثيرة توحى بها الصورة التشبيهية، حين تصور حالة شخص يماني مكررات الموت، ولكن البارز في نظرة الناظرين هو تعلقها بشخص الرسول الله كأنهم يتشبثون به مستعينين مستعجزين من شدة ما يراودهم من نزاع⁽²⁾ فهو الصراع النفسي الرهيب في نفس اللائق بين حرصه على إظهار غير حقيقته، وحرصه على حياته يكسبها القرآن ويجهلها من خلال حيي اللائق التي منهما يظل كل ما يدور في نفسه من انفعالات ومشاعر.

ولا شك في أن الصورة الكتابية فضلاً عن الصورة التشبيهية اللتين جسدتا تلك المشاعر النفسية والانفعالات تشير السخرية من اللائقين يوصفها هذا من أمداد هذه التعبير التصويري الخافت إلى روح النفوس من هذا التصرف بهذه الصيغة المحسوسة التي يمكن أن يتأهبا الحيل بتملأها، وتتصاعد دلالة السخرية منهم عندما يتلذذ خولهم إلى خلافه حينما يحسبون بأنهم ﴿يَكُنْ كَمَا كُنْتَ كَلْبًا كَلْبًا كَلْبًا كَلْبًا كَلْبًا كَلْبًا﴾ وهو تعبير يقف على الشفاد في الصورة والمعنى مع ﴿يَكُنْ كَمَا كُنْتَ كَلْبًا﴾ ليكشف التعبير عن حالتين متباينتين أشد التباين بمبدأ ذلك الحرف والفرع والموت والامتلاء إذا هم حين همي الأمس يتسلطون على الحرس إلهاماً بالاستنمات مناً وفتناً بالصورة التي تعبر عنها الاستعارة ﴿كَلْبًا كَلْبًا﴾، والسائق الضرب وسلفه بالسوط ومثل أي نزاع جلدته وسائق الشيء بالماء الجار يسألته سلفاً صربه وسائق البيض بالبلبل وغيره بالتر أهله. ويقال سلفت اللحم عن العظم إذا التبرك عنه⁽³⁾ فالتميز السائق في الآية للإيهام والعب والإعانة بالمفرد، تشب الإيهام والعب بالسائق مجامع قوة التأثير والإيهام، وفي ضوء ذلك يكون وصف الألسنة بالهفاد من قبيل الترفيح لاستعارة

(1) ينظر: من أسرار التعبير القرآني، ص 79.

(2) ينظر أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 111، 122، 391. وينظر الكشاف 3 / 419.

(3) لسان العرب: 10 / 160 وما بعدها (سائق).

السائق⁽¹⁾ لتجلي الاستعمارية شدة إيلامهم للمؤمنين بعد غياب الخوف، وارتداد أصواتهم بعد الارتعاش، وانتفاخ أوداجهم بالمطية، وانعاشهم بعد انزواهم، وادعائهم في غير سياد، ما شاء لهم الاعداء من قبلاء في القتال والعصل في الأعمال، والشجاعة والاستيصال⁽²⁾ بعد ذلك الحرف والموت والاستسلام الكبير للسخرية منهم حين لصّز هذه المقارنة الفاسدة

الغرافيك:

تستهدف هذه الكتابة الساحرة الثائقين أيضاً كتشريح الضحك والسخرية منهم، ومجسد حالتهم النفسية المستكة الخائفة من القتال والتي تجعلهم يحتفون للمادير ليتغلبوا عن مشاركة الرمز⁽³⁾ وللسلم، في الجهاد، فتكشف دغيتهم في قسوة النهار في صورة بالغة السخرية، وذلك في قوله - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ بِهٖ عَلَى الْقَوْمِ بِمَقْعَدِ الشُّجْرَةِ وَقَدْ فُتِحَ لَكَ يَوْمَئِذٍ بِمَكْرٍ أَعْلَى ﴾⁽⁴⁾

قال الزحشري: "فإن قلت: ﴿وَعُثِرَ﴾ ما موقعه؟ قلت هو استئناف كأنه قيل: ما يعلم استأنفوا وهم لغتباء؟ قيل: وضوا بالندامة والضعفة والانظام في جلة العزائم ﴿وَفُتِحَ لَكَ عَلَى الْقَوْمِ﴾ يعني أن السبب في استلقتهم وضاعف بالندامة وخذلان الله تعالى لهم"⁽⁵⁾
والكتابة الساحرة تستل في قوله - تعالى -: ﴿وَعُثِرَ يَوْمَئِذٍ بِمَكْرٍ أَعْلَى﴾ وهي قلعة في بنيتها على الاستعمارية التصريحية حيث شق بالحروف وهي - الأصعدة التي تكون في أواخر بيوت الخبي - فتنسأه فتشبهن لكثرة لزوم البيوت بالحروف التي تكون في أواخر البيوت⁽⁶⁾ وفي ذلك توبيخ للمنافقين وتقرع، فقد اختاروا بأن يكونوا مع النساء ومع المؤمنين والمجرا للمنافقين عن الجهاد يصلوا، فمن سطهم واستكانتهم يضمنون بالنساء الحوائف مؤثرين الراحة والدعة على الشفة والجهاد والاستعمارية ليست خاية بلدانها وإلا هي وميلة فاعلة في قلب صورة الكتابة وإبراز دلالتها الساحرة في الكشف عن جبنهم وخوفهم

(1) ينظر من أسرار التعبير القرآني، ص 38.

(2) في خلال القرآن، 6 / 357.

(3) سورة القدر، الآية. 99. وينظر الآية 87 من السورة نفسها.

(4) الكشاف، 2 / 336.

(5) ينظر تجميع البيان في مجازات القرآن، ص 148. وينظر صفة الفصحى، 1 / 356.

من القتال الذي يدفعهم إلى الإحشاء والاستار خلف الساء والرعى والمجزأة وبذلك تتجلى السحرة منهم، لأن تصور المثلثين وهم يمشون بهؤلاء هو تصور طريف يشير السحرة منهم

أكل الطعام:

يسفر القرآن من الذين يعتقدون قهوية للمسيح 268 بكتابة ساخرة موهبة سامية تتجلى هنا تصرفاته النفوس، والانساني في التصير هو أحد خصائص الكتابة القرآنية حيث تتجلى دائماً ببر الألفاظ وتقع المعنى فتسمو باللفظ واللفظ يلمحظ عندلها في صورة مؤثرة، يلحظ ذلك في قوله - تعالى - ﴿يَا مَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ لَا رُشْقَ قَدْ جَاءَكَ مِنَ رَبِّكَ إِشْرَاقٌ وَلَئِنَّ مَصِيحَكَ بِتِلْكَ آيَاتِكَ الْمَكْتُومُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ يُخَوِّفُونَ نَارَهُمْ أَنْ تُأْكَلَ مِنْهُم مَحْدُودٌ﴾⁽¹⁾

الكتابة الساخرة ﴿مَكْتُومُونَ الْمَكْتُومُونَ﴾ وهي كتابة سامية ترفع عن التصريح⁽²⁾ عن المعنى المقصود، لترسم بقاومها المسيح وأنه - عليهما السلام - وعما بإعلان الطعام بوصفه حاجة ضرورية للبشر. فالمسيح وأنه لا علاقة لها بالألوهية قط، وأنه من البشر، يجري عليهما، ويصدر منهما سائر ما يجري وما يصدر من البشر، وبخاصة في أشد الأمور التي لا يمكن تصورهما مع الألوهية - كما أوضحت الكتابة في لازم معناها المقصود وهو ((كتاب الحاجة))⁽³⁾ كالبول والذئب وسائر السلوك والفرار البشرية التي كُتبت عنها بـ ﴿مَكْتُومُونَ الْمَكْتُومُونَ﴾ ترفعاً وتسامياً بسحرة القرآن أن تنزل إلى مستوى سحرة البشر، فالقرآن يرمز لذلك بشيء واحد ﴿مَكْتُومُونَ الْمَكْتُومُونَ﴾ لأن أكل الطعام تبعه أكل كثير، يتسامى القرآن عن ذكرها، ويكتفي بالإشارة إليها⁽⁴⁾ فالقرآن يسمو في لفظه وماءه عما يجموه النفوس، ولو جاءت الآلة الكرمية مصرحة بالتصير عن قضاء الحاجة لتولد في نفس المتلقي تعمال مضر ومفزز، ثلاثيات الركنة في دعته عنها، إذ منتقله إلى تلك الصورة التي اختزنها في غلبته عنها⁽⁵⁾ في حين إن الكتابة في دلالتها الإيمانية، فليلاً عنها ولتسه من اعتمال الإيماني حسب في

(1) سورة المائدة، الآية 75

(2) ينظر: الأسس الفلسفية لأساليب البلاغة العربية، ص 233

(3) ينظر: المختص من كتابات الأنبياء والتأملات الباطنية، ص 6، والمجلد 1 / 268 وينظر: الاعتقاد في علوم القرآن، 3 / 144

(4) ينظر: الكشف، 1 / 517، 518 ومن بلاغة القرآن، ص 227.

(5) الأسس الفلسفية لأساليب البلاغة العربية، ص 253، 254.

الظلي وملاكم لتقبل الصورة⁽¹⁾ فإنها ركزت على الشخص وعلى الخلف، والتركيز على الشخص هنا واضح رغم ساطعة التعبير في ظاهره، لأن القضية هي إهداء بعض الناس نسبة المسيح إلى الألوهية، وبقية السخرية ممن يدعون ذلك ويظنونهم أن يقال لهم تصوروا أن إلهاً يأكل الطعام، ثم يأتي الفجاءة، وسائر ما يأتي الناس، ويجرد رسم هذه الصورة في مقام إهداء الألوهية بالغ الرذ والتهمك بتأني هذا القول والمذهب واتضح، وهو دفعهم إلى المنطق السليم والفكر القويم⁽²⁾، ويجلس الخلف في التعليق على الصورة ﴿كَلْفَتَرْ سَكَّيَكْ تَبْهَتْ كَهْمُ الْإِيْمَتِ كَمْ أَنْظَرْتُ أَنْ يَزَالَتْ﴾

ففي الكتابة تضحك تلك المعاني والإيحاءات على بساطتها وإيجازها في تفيد أعضادهم الفاسد في صورة تنمير السخرية منهم والفساد.

الأخذ بالخواص:

وفي سياق قصة عاد قوم هود ٢٢٢ يقدم القرآن كتابة تصويرية لسخر من عاد الجبارين الظالمين، وذلك في قوله - تعالى - على لسان مبعث هابياً لهم ﴿إِنِّي تَرَكْتُ عَلَى الْقَوْمِ نَصْرِي﴾⁽³⁾ وجاء في تفسير هذه الآية "ولا ذكر تركه على الله وعفته بعباده، وكلامه من كيدهم، وحله بما يوجب التوكل عليه من اشتغال ربيته عليه وعليهم، من كون كل دابة في قبضه ومملكته ونحت أنهره وسلطانه، والأخذ بتواصيها، لميل لذلك ﴿إِنِّي تَرَكْتُ عَلَى الْقَوْمِ نَصْرِي﴾ يريد أنه على طريق الحق والعمل في ملكه، لا يفوته ظالي، ولا يضيع عنه مخلص به"⁽⁴⁾ الكتابة قوله تعالى ﴿تَأْمِينُ تَكْلِيْلُ الْإِلَهِ تَرَكْتُ عَلَى الْقَوْمِ نَصْرِي﴾ وهي صورة حسية لوعي بمعناها لكنني حث التمثل في فترة هذه المظنية التي تظهر كل شيء، فهو في قبضتها مشهوراً، وسلطانه الشامل في ملكه لا يند منه شيء، كما لوعي الكتابة بمقالة هذه المظنية في ملكه القائم على الحق.

(1) لصفحة، ص 223، ونظر: التفسير الظلي في القرآن، ص 222.

(2) أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 127.

(3) سورة هود، الآية 56.

(4) التفسير، 2 / 316.

وإعلاء الملائكة والحق في الكتابة، فضلاً عن القدرة القاهرة التي تأخذ بتأصيص كل دابة - بما فيها قوم عاد - بتجلى في صورة واضحة وعلى نحو حسي غليظ وهو ما يتناسب السياق مع قوم عاد في غلظتهم وقسوتهم، وتتألف غلظ حسهم ومشاعرهم كما أخبر عنهم القرآن ﴿كَانَ عَادُ فَاسِقَينَ فِي الْأَرْضِ يَغْتَرَبُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَقُولُونَ لَا تُتْرَكُوا مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَزَادُوا فُورًا لَهُمْ آلَاءُ فَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾^(١)

كما أن لفظ دابة في الكتابة - وإن كان يشكل كل ما يذوب على وجه الأرض - إلا أنها في هذا السياق تلقي ظلالها ظل البهيمية على قوم عاد، فهم كالبهائم بل أسفل سبيلاً، فهم قد ضلوا ما وهبهم الله من وسائل للهداية والإيمان من سمع وأبصار وأتقوا، كما أخبر عنهم القرآن في موضع آخر ﴿... وَمِمَّا كَفَرْتُمْ سَمًا وَتَحْتًا وَكُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٦﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُنَّ وَمَتَّعْنَاهُنَّ خَيْرًا مِمَّا أَوَّلْنَ لَهُنَّ لَمَّا كُنَّ فِي حِلِّهِنَّ مِنْكُمْ لِيُثَبِّتُ اللَّهُ عَلَيْهِنَّ مَا وَعَدَ بِكُمْ وَلَا تُدْرِكُنَّ بِهِنَّ فِي الْآخِرَةِ الْعَذَابَ بِمَا كُنَّ يُفْسِدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾^(٢)

ومن وراء هذه الصورة الكتابية التي تصوّر - من ضمن ما تصوّر - قوم عاد الضالين الضالين من تلك الدواب المأخوذة كل منها بتأصيصها فهي مقهورة مغلوقة، لم يحظ بإعلاء البشرية والتحكيم بهم، تسخر منهم ومن قوتهم. والكتابة لسخر كذلك من كل متجبر حاتم غليظ وهو ما عرّف بهذه الصورة القاهرة الساحرة. وهذه هي سكة الله في الكافرين الظالمين ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُشَقِّقٌ ﴿١٥٨﴾﴾^(٣)

وبذلك يتجلى من خلال الكتابات الساحرة التي حرقها الفصل أن الكتابة الساحرة هي ليست مجرد أسلوب تعبري وتصويري يبحث على الضحك أو مجرد تهجم أو هجاء أو تهوين شأن من الخصم لحسب، وإنما هي - أيضاً - وسيلة حيوية لتحقيق أهداف على جانب كبير من الأهمية، سواء من الناحية النفسية أو من الناحية الاجتماعية. وهي (الكتابة الساحرة) في طبيعتها سلاح يستخدمه القرآن ضد أعداء المسلمين. وهي - في الأعم الأغلب - تستهدف أئمة الكفر والشرك الذين يستعدون للعناء للإسلام وللمسلمين بكل ما أوتوا من قوة. لذلك يترجم القرآن بتعابير كتابية ساحرة تنال منهم نيلاً مؤثراً، إذ قامت الكتابة بوصفها أسلوباً تعبيرياً وتصويرياً حيوياً بتصويرها الذي في أداء لفظي والأفكار التي تعيد القرآن إليها ولو أن تعابير حلقية أخرى غير الكتابة لا استطاعت أن تنهض بما نهضت به الكتابة تعبيراً وتصويراً في مواضعها التي اختارها القرآن.

(١) سورة فصلت، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة الأحقاف، من الآية: ٢٦.

(٣) سورة هود، من الآية: ٥٦.

الفصل السادس

الكنایات المعرفیة

الفصل السادس

الكتابات القرآنية

نقصد بالكتابة القرآنية تلك التراكيب الكتابية المتعلقة بالحواش من مسموع ومؤاد، والتي بها يتم الحصول العلم والمعرفة بوصفها أداة مادية إلى الإيمان بالله ﷻ ليسائر الإنسان بها من المخلوقات الأخرى.

وتد حث القرآن الكريم حثاً كبيراً على استخدام هذه الحواش بوصفها وسائل لتحصيل المعرفة في كثير من آياته الكريمة، وأعطى هذه الحواش مسؤوليتها الكبرى عن كل خطرة ينظرها الإنسان للسلام في مجال النظر والتأمل والمعرفة والتجريب ⁴³ فقال له ﴿وَلَا تَلْقَ مَا تَلَىٰ يَدَيْكَ إِنَّ تَلْتَمِعَ وَمِمَّا يَلْتَمِعُ كُلُّ لَاحِقٍ لَّهٗ مَتَابِعٌ﴾ ⁴⁴ بسل القرآن ينظر خطرة أصح في حث الناس على استخدام بصائرهم وهي تستلبي في كل لحظة مذكرات حسية، سمعية، بصرية، ولمسية، لا حصر لها، وذلك من أجل الوصول إلى الحق الذي تقوم عليه وحدة لواحي الكون والحقيقة ⁴⁵.

وعالمنا في القرآن آيات كثيرة تحث على تحريك العقل الذي منحه الله لبني آدم ⁴⁶ وآيات تدعو الإنسان إلى التفكير العميق بكل ما يحيط به من موجودات ⁴⁷، وما يقال من التشكر يمكن أن يقال عن (الظقة) ⁴⁸ والظقة: "خطرة (حظية) أبعد مدى من التفكير، إذ هي الحاصلة

(1) ينظر مدخل إلى مؤلف القرآن الكريم من المؤلف، د. صابر الدين خليل، ص 71 وينظر: موصوف قرآنية في النفس الإنسانية، د. حيز الدين اسماعيل، ص 151 وما بعدها. وينظر: لفظة الصورية دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة، تأليف حسين جويته، ص 92.

(2) سورة الأسراء: الآية 36.

(3) ينظر مدخل إلى مؤلف القرآن الكريم من المؤلف، ص 76. وينظر: السور الكريمة الأسماء، الآية 194، والقصص، الآية 72، والفرقان، الآية 21.

(4) ينظر السور الكريمة: البقرة، الآية 171 و 262 والتكوير، الآية 43.

(5) ينظر السور الكريمة: البقرة، الآية 266، والأسماء، الآية 39، والروم، الآية 87.

(6) ينظر السور الكريمة: النساء، الآية 78، وبراء، الآية 91، وفيه، الآية 28.

التي تنتج عملية التفكير، وتعمل الإنسان أكثر وعياً لا يحيط به وأعمق إدراكاً لأبعاد وجوده وعلاقته في الكون، كما تحمله مفتاح البصيرة دوماً، مستعداً للتعامل المسؤول عن كل ما يعرض عليه من أسئلة وعلامات⁴¹.

والجواب يوحىها مثلاً للتعقل والتفكير والتفقه ومن ثم المعرفة هي التي تعطي الإنسان قيمته وعظمته، وتتركه مركزاً للمسؤول سيداً على العالمين وخليفة لله في الأرض⁴². ويلتذلل لدى القرآن على الناس لا يستعملون حواسهم وعقولهم ويصارعهم الذين يتناولون الاتساق الأعمى وراء أي شيء، لذلك كان القرآن للمعجزة العقلية الكبرى، يقول السيوطي "وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية. لأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة عصمت بالمعجزة العقلية الباقية (القرآن) ليراعا ذور البصائر"⁴³.

ومن ثم كانت للمعجزة مكانة عظيمة في الإسلام الذي يدعو إلى التفكير لتحصينها ومعالجتها، ومنى على الخلق لا يمارون التفكير والتأمل ولا يستعملون حواسهم وطاقتهم لما خلقت له فهي محطلة لا تؤدي وظنيتها الرجوة التي يهدف إليها القرآن بوصفها وسائل هادئة إلى الإيمان، فإذا ما تطلت تؤدي بالإنسان إلى الضلال والكفر، فهم على هذه الحال بمنزلة الأنعام بل أضل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَكَلَّمْنَا سُلَيْمَانَ وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا أَكْفَارًا﴾⁴⁴.

ولقد صور القرآن بالأسلوب الكتابي الوحي حال الذين عطّلوا حواسهم وعقولهم وصارعهم من المكافئين والناقضين والشركين فهم يزدحون في ضلال وهمى وكانتهم قد سلبوا هذه الوسائل، وسائل الإدراك والمعرفة، فيشتتون ويأكلون كما تأكل الأنعام⁴⁵.

(1) مدخل إلى تراث القرآن الكريم من الطبعة 84.

(2) ينظر لفصل نفسه، ص 88.

(3) الألفان في علوم القرآن: 4 / 3. وينظر للمعرفة الحسوية دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة، ص 24 وما بعدها.

(4) سورة الأعراف، الآية 179. وينظر: سورة الفرقان، الآية 44. وسورة الزمر، الآية 40.

(5) ينظر: سورة محمد، الآية 42. وسورة الرسلات، الآية 46.

وذلك تجلي هذه الكتابات التصويرية عالم الكفر والصلال الجلي بيان، والمقابل تجلي كتابات تصويرية أخرى عالم الإيمان والمذهب فيقابل امام الكفر والنفس سلطان شاتمان في دلالاتها في سرورة بآية كاشفة تفصل كل عالم من هذين العالمين بصفات حية شخص سروراً لا يتطامع إلهامه.

وستحاول توزيع هذه الكتابات كل على أفراد ثم يحاول بيان دلائلها وإيجازاتها التي
يهدف إليها.

الأكثَرُ واليَقَرُ والصحَاب:

تورد هذه الكتابات الثلاث في سياق إعراس الكالوين وعلى لسانهم خطاياهم منهم الرسول
 «**وَمَنْ كَانَ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا يُؤْتِهِ مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ إِنَّهُ لَا يُفْسِدُ شَيْئًا وَلَٰكِنْ يُصْلِحُهُ إِنَّهُ لَا يُلْقِي شَيْئًا إِلَّا بِحَقٍّ عَظِيمٍ**» (١١)

[illegible]

(1) سورة نعلت: الآية: 5 ونظم سورة الأعراف: الآية: 25 وسور الاسراء: الآية: 46.

رسالة كهنة: الأبا ٥٦ في كتاب الأكلية. وعظم كتاب (الفرز) سورة المائدة: الأبا ٦.

رسالة فليبي، الأية 44

(2) حظر لسان العرب 13 / 361 (كثيراً) وحظر، لقرطبي، ص 664.

(3) أساس العلاقة، ص 506 (والم).

قلوبهم وهي مثابة بأخطئة حكمة لا يتخذ إليها شيء مما يقوله الرسول ﷺ ويدعهم إليه،
فيكون التصريح كتابته عن مو قلوبهم وإعراضهم عن تقبل الحق الذي يدعهم إليه،
وإصرارهم على الكفر إصراراً كبيراً لا سبيل للإيمان إليه كما توحى الكتابة به

وفوق الأتة التي حطت قلوبهم تنطية سائرة لها، في أكلهم صمم فهي لا تسمع ﴿وَلَا تَكَلِّمُوا الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا تسمع معاصراً يؤدي بهم إلى تفكير وتقلبه ينتهي بهم إلى الهدى والإيمان، فضلاً
عن ذلك لأن في هذه الكتابة إيماء السخرية منهم، وهو إيماء يأتي من استعمالات اللادة
﴿وَلَا تَكَلِّمُوا الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾، فالأصل في استعمالها في الدواب - يكسر الراء - ﴿وَلَا تَكَلِّمُوا الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾، ثم استعملت في ثلث
السم - بفتح الميم - والفرق هو الحمل الذي يُحمل على الدابة، ويقال: أوفر الحمل
أو الحمار. واستوفرت الأيل شحماً. أثقلها السن. ووزّرت الدابة، ووزّرت فهي موفورة
وزّيرة في حمارها مزممة⁽¹⁾ فهو إيماء مقصود يجري على السنتهم صفة لهم، فضلاً عن أنه يلا
نفس المثالي سخرية منهم ولأدراهم.

تكتمل الصورة التي تبين حاسم بالكتابة الثالثة التي يدمنون بها أنفسهم بالمعنى فأعينهم
لا ترى، فبينهم وبين الناسي محمد ﷺ حجاب كثيف منع من الرؤية ﴿وَيَذَرُكَ وَيَزِيلُ﴾
قال الزهري: كان بينهم وما هم عليه، وبين رسول الله ﷺ وما هو عليه حجاباً سائراً
وحاجزاً سحياً من جبل أو نحو، فلا تلاقي ولا ترائي⁽²⁾، وهو حجاب كثيف كما أفاد الحرف
(من): "لأن قلت هل زيادة (من) في قوله: ﴿وَيَذَرُكَ وَيَزِيلُ﴾ غائبة؟ قلت: نعم، لأنه
لو قيل: ويذرك ويترك حجاب، لكان المعنى: أن حجاباً حاصل وسط الجهتين، وأما زيادة (من)
فالمعنى: أن حجاباً أيضاً متاً وابتداءً منك، فالساقطة المتوسطة لجهتا وجهتك مستوية بالحجاب لا
فراخ فيها⁽³⁾، فهم يسرون من أنفسهم، إذ الكتابة تجعلنا نتخيل فيها الكافرين وقد آمنوا
بينهم وبين الرسول ﷺ الذي يدعهم إلى سماح الخير ورويته حجباً كثيفاً مانعاً خوفاً من أن
يصل كلامه إلى أكتانهم وقلوبهم.

وبذلك تتسبل لديهم وسائل المعرفة والعلم بهذه الحجب الثلاثة التي صورتها
الكتابات. حجاب الأخطئة التي تلف قلوبهم وتنطيطها بإحكام، وحجاب الصمم في أسماعهم،

(1) أساس البلاغة، ص 596 (نور) ويقترب أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص 443، 442.

(2) التكملة 4 / 144.

(3) م. د. 4 / 144، 143.

وحجاب العبي في إصرارهم وباجتماعها تسمى دلالة للمنى المكتنى عنه عبادهم وتصميمهم على الكفر وإصرارهم عليه، وتساعد هذا المعنى كناية من قلوبهم بما انتهت به الآية الكريمة ﴿فَقَسَلُوا لَهُمْ سَبِيلًا﴾ فهو الإصرار على ما هم عليه من كفر وعناد أي: "أحصل أنت على طريقك، ونحن على طريقنا، واستمر على دينك فلنا مستمرون على ديننا"^(١) فهو الإصرار في العناد يُراد منه تيسر الرسول ﷺ من استجابتهم له ولما يذمهم إليه.

ولا يخفى ما في الآية من إيماء قوي دال على صبر الرسول ﷺ على ما كان يلقاه من معاناة وآلام وهو يذمهم هذه النفوس الكافرة للغير والمضى والإيمان.

ولا يخفى أيضاً أثر هذه الصور الكتابية للتأنيب في نفس المتلقي من حيث ترسيخ المعاني والصفات إكسابها ثوب للادبات المحسوسة ومكانة وقف على القضية مشعومة بتأنيدها، وعلى الدهرى في طبيعتها.

خُلاصة:

تختص هذه الكتابة التصويرية بوصف حال اليهود وقد وردت في موطنين من القرآن - وعلى لسانهم - عندما تولى - تعالى - ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ آلِ يُسُفَٰءَ﴾^(٢) والقرآن كناية تصويرية تجسد لعل اليهود إزاء دعوة الرسول ﷺ بهذا القول الغليظ الذي يذمهم به.

وهذه الكتابة قائمة في بنيتها على الاستعارة وفيها تشبيه قلوبهم بشيء مغلف ثم حلف، تشبه به وأبلى شيئاً من لوازمه (الغلاف) على سبيل الاستعارة للكناية، وذلك لتعميق دلالة عدم استجابتهم، لأن قلوبهم لا تمي شيئاً فهي مغشاة بغلاف لا يتعد إليها شيء فهي لا تضيء الحق ولا تقبله. والاستعارة هنا ليست غاية في حد ذاتها وإنما هي وسيلة تعبير تقودنا إلى معنى مكتنى عنه آخر يترارى خلفها، ويتمثل هنا في عنادهم وإصرارهم على ما هم عليه من ضلال وكفر وتصميمهم عليه، فضلاً عن تيسر للرسول ﷺ من إيمانهم بما يذمهم به.

وقد لُوحظ الرغبة لهذا التعبير الكتابي القائم على الاستعارة معاني أخرى، يتجلى فيها جانب من شخصية اليهود التي تمتاز بالكبر والتعصب والاستهزاء والتكلم به. قال الراجبي:

(١) سورة الفاسر: ٣ / ١١٦

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٨، ونظر: سورة النساء الآية: ١٥٥

وكلها معادن وإضافات تشع من هذا النوع. للتصويري تتجمع لتعطي صفات تميز اليهود من غيرهم كثيراً وتكبراً وتكلياً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ فَسَيَمُنُوا بِكُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فلا يقع الإلحاد إلا نذلة قليلة منهم، ليس للصور في إقناعهم كما رصفوا بقولهم - ثلوثنا حلف - ولكن لأنهم كصروا للصنم لله بكفرهم وحجبهم عن الإيمان ونسبائه.

ثمة ملحظ كتابين تصوريين، الأول: ﴿ حَتَّمْنَا عَلَى الْقَوْمِ تَوَلَّيْنَاهُمْ ﴾ وهي قائمة
في بيتها على الاستعارة، حيث شُبِّهَتْ قلوب الكافرين التي لا تستجيب للحق، وأسماهم التي
لا تسمع داعي الحق، شُبِّهَتْ بالرماد المخشوم عليه فلا يصل إليه شيء،^{١٢٦} فهي قلوب وأسماع
مغطاة كما جسدتها الاستعارة على خفيقتها فهي لا تنضج بالخير، تقول على خفيقتها - وإن
كانت في واقعها غير ذلك - ولما كانت لا تنضج بهذه القلوب انضام الخير الذي يؤدي بها إلى

الإيمان ولا تتضح بأسماعها سماع الحسنى والحسنى كانت في حقيقتها كما صورتها الاستعارة فكانهم بها ملوون وسائل الإدراك والمعرفة، يزداد حلقهم ظلاماً بالتصوير الاستعاري الآخر ﴿وَلَقَدْ أَكْثَرْتُمْ بَعْثُوا﴾ وفي الاستعارة تشبيه البصائر لعدم رؤيتها نور للظلمة بشيء مدخل يشاء يمنع الرؤية، فهي في ظلام لا ترى شيئاً ولا تبصر وبذلك تغطى وسائل المعرفة عند الكافرين بالحكم على القلوب والأسماع، والتفتية على الأبصار

وحالتهم هذه التي أعرجتها الاستعارتان مثل صورة من صور الصلاب للمصوي، إذ لا يشعرون بقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم لما خلقت له، فهم في غمرة من جهل وحسب نتيجة الكفر، ولوق حلقهم هذا الصلاب الذي أعرجت به الآية ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتُمْ ظُفُورًا﴾ الذي يتأصب طبيعتهم التي استوى عندها الانكسار وعدم الانكسار.

والآية بما فيها من تصوير استعاري ﴿حَتَّمْ لَكُمْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ذُقُوا ذُنُوبَكُمْ﴾ و﴿وَلَقَدْ أَكْثَرْتُمْ بَعْثُوا﴾ يعني وراء معنى مكنته، فضلاً عما أوحى به من معاني تصويرية، أي يكون التصير الاستعاري هنا وسيلة تعبيرية وتصورية تقودنا إلى الفسلى لكننى عند ذلك يكون التصير الاستعاري بمجمله كلمة هي صفة تشمل في تصميم هؤلاء على الكفر والإصرار عليه¹⁰⁰ يتناسب في قوته مع قوة التصوير الاستعاري الذي صور قلوبهم الذي استوى عندها الانكسار وعدم الانكسار.

الطبع:

ورد الطبع في القرآن الكريم في عدة مواضع، من ذلك قوله - تعالى - في وصف المنافقين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ كُفِرْتُمْ عَنْ قُلُوبِكُمْ قُلْ قُلُوبُهُمْ قَلْبًا وَفَقَهُمْ﴾¹⁰¹ حيث شبه قلوب المنافقين التي آمنت بالوعد المطروح عليه فلا يدخل إليه شيء، قلوبهم مغلفة عن الإيمان، فأنشأ أي استبداد له.

(1) ينظر: البيان في البيان، للطبي، ص 227

(2) سورة الشورى، الآية 3 وينظر: الحور الآية: الفصل، الآية 155 والأعراف، الآية 100 - 101، والهيمة، الآية: 47، 93 - ويونس، الآية 24 والفصل، الآية: 108 والروم، الآية: 39 وغافر، الآية: 35 وصف، الآية: 46.

وتوجهه (الروح) على التصور الاستعاري، فولى إلهاً في الإيهام بالمعاني التي ذكرها الزخشي، ولعلها المقصود من الاستعارة، فضلاً عن تواضعها مع استعارة (الطبع)، كما أن تشبيه الحالة النفسية للريضة للمتلقيين بالروح الذي يعبري الأجسام فيه تصور حسني يحسب حقيقة قلوبهم المعلقة وظيفتها للطبع عليها أمام المعنى والفكر ليمثل المعاني للارض الجسدي يعني التلبس والفساد وتحليل الفري، فضلاً عما ينطوي عليه من بعد عسي ولم يمتلئ بهذا للارض الجسدي، فإن للروح النلي الاستعاري كذلك يحق لنا هذه الدلالة ولكن على نحو أعمق وأشمل وذلك لاقتران الارض بالقلب دون سائر الأعضاء الجسدية، إذ إن القلب هو العضو الرئيس في البدن، ومرضه وفساده يعني مرض الجسد كله وفساده، ونستأنس في هذه الدلالة الشاملة بما روي عن الرسول ﷺ: ((ألا وإن في الجسد مضمة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب))⁽¹⁾

وفساد الجسد بفساد القلب الاستعاري يعني تعطيل حواسه السمعية والبصرية فهي لا تؤدي وظيفتها الحقيقية، فهي مصطلكة ميتة⁽²⁾ ولعل في هذا تشبيهاً لاستعارة (الطبع) على قلوبهم فهي قلوب مريضة لا ترجى منها إيمان.

واستعارة (الطبع) التي صوّرت قلوب المتلقين للريضة التي ملأها الأكام والأوزار وغيرها من اللطبع فهي مريضة فاسدة يتولّى خلف مسجها معنى نكتي عب فككون الاستعارة كتابة حنة ويمثل في فقدان نفوس للتأني وقلوبهم الاستعداد للإيمان والهدى، وهذا المعنى راجع أساساً إلى طبيعة النفس المتأخفة التي تتردد بين الإيمان والكفر، لا اعتقاداً بهما، ولا اعتقاداً عاماً، وإنما تخفيها بهما عن أمي الناس وعقولهم، وكل ما يظهره الشائكون ويتمطلون فيه من الإيمان والكفر إنما هو تلون يكسوه ليلنرا به أفعالهم كما يقول ﷺ عنهم ﴿مُكَلِّبِينَ بَيْنَ كَلِمَةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِلَّا كَلِمَاتٍ يَتَوَلَّوْنَ لِيُفْسَدُوا بِهِمُ الْإِيمَانَ وَالْإِيمَانُ عَصَافٌ فَأَعْوَجُوا لَهَا فَيَكْفُرُونَ بِهِمْ فَأَسْخَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِيهَا ضَالِّونَ﴾⁽³⁾ ويقول الزخشي في تفسيره جذية الشائكين "ومعى مذهبيهم الشيطان والمغوى بين الإيمان والكفر فهم مفردون بينهما متجهرون، وحقيقة اللطبع الذي يذب من كلا الجانبين، أي يخلد ويذوق فلا يقر في جانب واحد إلا أن اللطبعية فيها تكرير ليس في الذب، كان المعنى كلما مال إلى جانب ذب"

(1) صحيح البخاري: 1 / 21.

(2) ينظر الاستعارة في القرآن الكريم، ص 87.

(3) سورة النساء، من الآية 143.

عنه (ذلك) إشارة إلى الكفر والإيمان ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا مسوين إلى هؤلاء فيكونون مؤمنين ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ولا مسوين إلى هؤلاء فيكونون مشركين⁴⁰، وفي هذا تصريح بمعنى قسطنطين الثانيين لهذا الاعتقاد سواء أكان اعتقاداً صحيحاً وهو الإيمان، أم غاطلاً وهو الشرك، فالطابق شلوه على الطبع السوي، ولذلك احتار القركان لفظ ﴿تَكْفِيرٌ﴾ المشتق من الذب بمعنى الذود والذلع، وحيث كان المتألفون في صيغة اسم المفعول ﴿تَكْفِيرٌ﴾ فهم الذين وقع عليهم الذود من جانب المؤمن والمؤمنين كليهما⁴¹، فقلوبهم مطبوع عليها لأنها خارجة على الطبع السوي، فإن يصل إليها إيمان ﴿قَهْرٌ لَا يَهْلُوهُمْ﴾⁴² بهذا الإحاطة كما أناد حلف للمفعول به، أي لا يهتود أي شيء قط نتيجة الطبع على قلوبهم.

الأفصال

وردت (الأفصال) في موطن واحد من القرآن الكريم، وهو قوله - تعالى - ﴿لَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ﴾⁴³

﴿لَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ﴾ كلمة قائمة في بنيتها على الاستعارة المكنية، حيث شبيهت قلوب الكافرين بالابواب المغلقة فلا يدخل إليها شيء من معاني القرآن، وأكد معنى الاستعارة الاستظهار بالهزة الذي أناد لقروه هتفي والافتكار وله يان حال قلوبهم وتصويرها بالصورة التي أخرجتها الاستعارة وتسميها عليهم، قال الزحشري: ﴿لَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ﴾ ونام بمعنى بل وهمة (القرآن) للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مغلقة لا يتوصل إليها ذكر⁴⁴، وقال في تنكير القلوب وإضافة الأفصال إليها في الصورة: أما التنكير: أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في فلكروما إضافة الأفصال، فإلا يرد الأفصال المحصنة بها، وهي أفصال الكفر التي استغلقت فلا تفتح⁴⁵ والاستعارة ليعمل المتلقي بتخييل هذه الصورة الغريبة للمختصة بتصوير قلوب الكافرين التي شربت عليها الأفصال فهي مغلقة، فالكفر في الآية يصبغ في صورة الأفصال التي

(1) الكشاف: 1 / 576.

(2) ينظر: لمرب السحرية في القرآن الكريم، ص 299.

(3) سورة هجره، من الآية 37، وسورة المائدة، من الآية 3.

(4) سورة هجره، الآية 24.

(5) الكشاف: 4 / 258.

(6) للمصدر نفسه: 4 / 258.

ترفع رؤوسها عن الماء ليرده فيهما، وعما الكائنات⁽¹⁾، وتكتبل صورة الكافرين بقوله: ﴿صَعَكَرَ إِلَى يَدِئِهِمْ صَكَرٌ زَيْنٌ عَلَيْهِمْ سَكٌّ كَفَشَ يَدَهُمْ قَهْمٌ لَا يُبِيرُونَ﴾ قال أبو السعود "وهذا تلمة للتعبيل وتكميل له، أي وجعلنا من أمامهم سَكًّا عظيمًا، ومن ورائهم سَدًّا كذلك ﴿كَفَشَ يَدَهُمْ قَهْمٌ لَا يُبِيرُونَ﴾ أي غطينا بهما أبعارهم فهم ببب ذلك لا يهرون شيئاً أصلاً، لأنهم أصبحوا بين سئين غاطلين وهذا بيان لكمال فطاعة حالم وكونهم محروسين في مطمورة القفي والجهالات، محرومين عن النظر في الآلة والآيات"⁽²⁾

وهذا التصوير الذي رسمته الآيات صورة بالغة السخرة والتهكم بالمشركون، ويصلي ذلك من خلال تصويرهم مغلولين في أصفانهم بماطوق من حديد، تجعلهم لا يستطيعون أن يافتروا مئة ولا يسروا، ولا يستطيعون أن يؤيدوا إلى أسفل، وإنما تظل أصفانهم ووجوههم مرفوعة إلى أعلى، لا يتحرك منها إلا جبرهم الذي لا تبصر شيئاً⁽³⁾ فضلاً عن تشبيههم بالآبل حين تجرى من الماء فتزلق أصفانها ورؤوسها إلى أعلى فهم في تصويرهم هذا ممنوعون عن النظر والرؤية للاعتناء بالدلائل والآيات بسبب تلك الأغلال والحواجز والسدود التي خشيت أبعارهم وهذه العوائق الحسية تشير إلى الأغلال النفسية والفكرية والعقلية التي كبّلوا بها أنفسهم فهم لا يهتدون.

والتصوير مجمله يتحول إلى كلمة موحية بالمدنى لكنني عت الذي يتولى علف مسجده، وقد أشار الزخشري إليه بقوله: "تصميم على الكفر، وأنه لا سبيل إلى إصرارهم أي أنهم لا يفتشون إلى الحسن ولا يعقلون أصفانهم لمحوه، ولا يفتشون رؤوسهم له أي أن لا تأمل لهم ولا تبصر، وأنهم متعمدون عن النظر في آيات الله"⁽⁴⁾ فهو الإصرار والإيمان في الكفر عن إرادة وتصميم يؤدها إلى إغلاق منافذ المعرفة ومن ثم لما جلداهم وإيمانهم من سبيل، وأي صورة يمكن لها أن تجلي هذه الصفات وتجسد هذه المعاني غير صورة الكتابة القرآنية المميزه بلفظها الوجيز ونظمها المحكم ورسومها المراسخ في أعماق النفس الخفية

(1) الكشاف 4 / 4

(2) تفسير في السورة: 7 / 100

(3) ينظر: أسلوب السخرة في القرآن الكريم، ص 360

(4) الكشاف 4 / 3

وفي كتابة الأضلال تسلياً للذي محمد ﷺ وتسرة عن نفسه فهو لم يقصّر في إنذارهم، وهم
للمؤمن أنفسهم من الإيمان، فقد جعلهم الله حطباً للنار^(١) بسبب إعراضهم وإصرارهم على
الكفر.

القطاء:

يورد القطاء في موطنين من القرآن وفي سياق مشهدين من مشاهد يوم القيامة، والذي
بهما قوله - تعالى - ﴿وَمِنْهَا هُمْ يُرْجَوْنَ إِلَى كَيْفَيِّنْ مَرَّةٍ ۖ تَكُونُ لَهُمْ أَمْهُمٌ فِي يَوْمِئِذٍ ۖ يَكُونُونَ فِي يَوْمِئِذٍ ۖ وَكَأَنَّهُمْ لَا
يَسْتَكُونُونَ سَبَّ ۖ﴾^(٢).

نلاحظ التبرج الصوري المكتفي بالصوري ﴿تَكُونُ لَهُمْ أَمْهُمٌ فِي يَوْمِئِذٍ ۖ وَكَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكُونُونَ سَبَّ ۖ﴾
يخرج الكافرين صعباً من النظر في آيات الله العالة على قدرته ووجاهته، سواء التصود بها
النظر في آيات القرآن وتأمل معانيها وتبصرها - أو الآيات التي يتجلى عليها القرآن والميثاق في
السموات والأرض والكون التي إذا ما نظر إليها دلت على قدرته ﷻ ووجاهته فيذكر
بالتعظيم^(٣) فاهينهم محبوبة من النظر في آيات الله بهذا القطاء للتعظيم فهي مطلقة، وفوق هذا
العمى لا يستطيعون السمع ﴿وَكَأَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ سَبَّ ۖ﴾ يعني: وكثرت صمته، إلا أنه ليس،
لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صح به، وهذا كانهم أصمبت أسماهم فلا استطاعة بهم
للسمع^(٤) فهم عمى صم كما وصفهم في موضع بقوله - تعالى - ﴿عَمٌ بَصَرٌ ۖ﴾^(٥)
وطورها من الآيات المكرمة التي تلتفت الانتباه إلى عطف حواس الكافرين وموتها من سمع
وبصر والحدة^(٦) وكلها تعابير استعارية تجسد حالهم حيث يسلون البصر والسمع، وهم في
حليتهم يصرون ويسمعون، لكنهم لا يصرون بصير هدلية بآيات الله ولا يسمعون صوت

(١) ينظر التصديق القبي، حطبي محمد شرف، ص 388.

(٢) سورة الكهف: الأيات 100-101. ينظر سورة ق: الآية 22.

(٣) ينظر: التفسير: 2 / 385.

(٤) التفسير: 2 / 385.

(٥) سورة البقرة، من الآية 18.

(٦) ينظر التفسير: الألفية البقرة، الآية 171 الأسماء: الأسماء: 25، 26 الأسماء: الأسماء: 22.

يوسف: الأسماء: 42، 43. سورة الأسماء: 20. الرعد: الأسماء: 19. الإسراء: الأسماء: 46.

الكهف: الآية 57 الأسماء: الآية 45. فصلت: الأسماء: 5، 44. الفرقان: الآية 40.

الحق سبحانه وشره وبقية ذكائهم معطلو حاسة السمع والبصر لأنهم حرموا أنفسهم من وظفتها الحسية التي خلقت من أجلها. بل إن القرآن يصور هؤلاء الكافرين في حالة موت كما في قوله - تعالى - ﴿ تَبْقَى لَآئِحَةُ الْآتُونَ وَلَا تَبْقَى لَآئِحَةُ الْآتُونَ ﴾⁽¹⁾، فالكافرون موتى بهذا الاستعارة التصريحية حيث استبدل لفظ الكافرين بالموتى لجامع عدم التبصر والروحي في الآتين، فهم مسلوبو الحياة الحسية التي يعتمدا الإيمان بالله الذي يحيي القلوب والأبدان، لأن المقصود من الحياة "الأدراك والعقل فإذا ماتا فقد خربت الآثار المطلوبة من الحياة لتصبح تلك الحياة مساوية للموت في عدم الاستفادة المطلوبة والموت أولى بذلك فتتولد الحياة متزلة"⁽²⁾

فالنظام على أمعن الكافرين ﴿ أَتَبَقَى لَآئِحَةُ الْآتُونَ ﴾ وعدم استطاعتهم السمع ﴿ لَا يَسْمَعُونَ شَيْئًا ﴾ فضلاً عما أشار إليه بهذا التصوير الحسي للتوثر من معنى العمى من كآبات لله للمشاهدة بالأبصار إلى عسى بصائرهم، وعدم سماعهم صوت الحق سبحانه وعذابه وإن كان، وإلهما يؤديان إلى معنى مكسبته يتراعى خلف تلك الألفاظ يشتمل في إصرارهم لتوثرهم عن ذكر الله في حياتهم الدنيا من إرادة وتصميم، وهو معنى يتسق مع مشهد عرض جهنم هؤلاء الكافرين ﴿ وَرَحِمْنَا جَهَنَّمَ وَكُنُوزَ الْكَافِرِينَ مَرَجًا ﴾، فالكافرون الذين أهرغوا من ذكر الله حتى لكان على عيونهم غطاء، وكان في أسماعهم صمماً، لمرس عليهم جهنم فلا يهرغون عنها، كما كانوا يهرغون من ذكر الله، فالهم لا يستطيعون إهراساً، لقد شرع النظام من عيونهم زحاً فزحوا عاقبة الإهراس والعمى جزاءً وفلقاً بالتصوير القرآني ينسج بهي الإهراس والعرض متقابلين في المشهد، متقابلين في الحركة على طريقة التناقض التي في القرآن⁽³⁾

وفي ضوء ما تقدم من الكتابات التي صورت مواقع الإدراك عند الكافرين والمشركين والمناقض التي حالت بينهم وبين المعرفة التي يدعوه إليها القرآن الكريم يتجلى عالم الكفر والفساد وما فيه من جهل وتقليد أعمى، عالم تلمس فيه إنسانية الإنسان إذ تمتثل وسائل الإدراك والمعرفة عند فلا يفرق حيث يتجلى عن البهيمية لأنه أصبح كمن لا عقل له نهر والهام سواه.

(1) سورة الفرقان الآية- 32. وينظر سورة الأنعام، الآية 36 وسورة النمل، الآية 30

(2) بداية الإيمان في دراية الإحصار، ص 129، 130. والقرآن للشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص 45-46

(3) في ظلال القرآن، 5 / 414

وآراء عالم الكفر والفساد الذي يروج فيه الكافرون يحلّي لنا الفرقان بالغالب عالم الإيمان والهدى وأصحابه المؤمنون لولي الألباب الذين تفتحت وسائط الإدراك والمعرفة لديهم واحتجت بالنور والهدى الإلهي فتيقظت حواسهم حتى النيقظ وهي تستقبل دعوة الإيمان بآيات الكريمة يوحى وإدراك.

ويصور الفرقان بالأسلوب الكتابي للوحي حال المؤمنين ومشاعرهم في بعض آياته التي تتخذ منها شواهد قبلية عالمًا مضادًا لعالم الكافرين في السلوك والشاعر والإحساس لم يتغيروا عليها شيئاً وشبهات:

أجل هذه الكتابة التعريفية مسمّاة من سمات عبد الرحمن في قوله - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصْبَحُوا عَلَى الصُّبْحِ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾⁴⁰ كتابته وجه في تفسيره: ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَقٌّ﴾ ليس يعني للفرور، وإنما هو البات له، وفي القسم والتمني، كما نقول: لا بللاني زيد مستلماً هي نفس السلام لا للقاء. والمضى أنهم إذا تكروا بها اكبروا عليها حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذكر بها، وهم في أقبابهم عليها صامعون بأذن وأعيت، مبصرون بعيون وأعياء، لا كالمبصرين يذكرون بها فزاهم مكين عليها مقلبين على من يذكّر بها، مقلوبين المحرص الشديد على استماعهم، وهم كالصم العميان حيث لا يسمعون ولا يسمعون ما فيها كالمبصرين وأشباههم⁴¹ فالكتانية تعريفية تنفي الصم والعمى عن عباد الرحمن (المؤمنين) وتبين للكافرين والمنافقين وأشباههم. وهي كتابة فائقة في بنيتها على استعارتين تصريحتين ﴿مُفْسِدُونَ﴾ حيث إنه شبه الكافر أو المنافق (المستعار له) بالاصم (المستعار من)، ثم حلف المستعار له (الشبه) بأولى الشبه به (المستعار من) على سبيل الاستعارة التصريحية، وبذلك يبدو الكافر أو المنافق في عينة شخص أصم لا يسمع شيئاً فهو معطل حاسة السمع، وهذه هي حقيقة الكافر كما تهبها الاستعارة، وإن كان يسمع الأصوات في حقيقة ولكنه لا يترك معانيها ولا يعني، كما يهضم الله في موضع آخر: ﴿وَمَثَلُ الْفَرَسِ كَثِيرًا مِّمَّا يَسْمَعُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُفْقَهُ﴾⁴² وهم لا يسمعون فهم صم، وإنما هم صميان كما تشير

(1) سورة الفرقان، الآية 79

(2) الكشاف، 2/ 223

(3) سورة البقرة، الآية 171. ويحظر. سورة يونس، الآية 42. وسورة هود، الآية 36

الامتعارة الناتجة، حيث استعار للكافر (العمى) فهو معطل حاسة البصر وإن كان في الظاهر يرى الأشياء، ولكنه لا يميز بما يرى من الآيات المبثورة في الكون أو لا يميز بآيات القرآن التي تؤدي إلى الاستبصار والإيمان والمُهدي، هم كما يصفهم الله في موضع آخر على سبيل التصرُّيف بهم: ﴿أَنْتُمْ بَشَرٌ لِّكُلِّ لُغَةٍ يُقَدِّمُ إِلَيْكُمْ رَسُولَهُ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمُ الرُّسُلُ أَفَ تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾

هم كما أوصت الكتابة معطلو وسائل الاحساس والمعرفة، وذلك بسبب إصرارهم على الكفر وتصميمهم عليه وهو المسمى للكنى عن الذي يترونا إليه التعبير اللفظي الغائب على بنية التشبيه

ومن خلال آيات هاتين الصفتين (العمى والصمم) للكافرين، فإنها تنفي عن المؤمنين صراحةً ﴿كَرِّهُوا مَثَلًا مِّثْلَ خَيْبَةَ﴾ فهم يسمعون سماع عادي وفهم، وهم يرون آيات الله المبثورة في كل مكان بأبصارهم فيقبلون معانيها ويتركون مرادفها فتريدهم إيماناً مع إيمانهم ومن ثم فإن الكتابة تطوي على معنى مكتبي عنه يخصهم وتمثل في استجاباتهم لآيات ربهم حرصاً على استماعها بآذان صافية وتلويح غاشمة فهم قد انقادوا بما وهبهم الله من حواس حية تؤدي وظنفتها التي خلقت من أجلها، تلك الطبيعة التي خلق الله الإنسان من أجلها ليحقق بها إنسانيته فيسوي بها على المحلوقات الأخرى حيث معارج النور والمُهدي، لأن كلهم «حيث بالعلم والحن النازل من السماء، كما تصوره الكتابة على سبيل التمثيل في قوله - تعسالى - ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هٰٓؤُلَآءِ فَيَحْذَرُوا رَبَّكُمْ فَمَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَفِي هٰٓؤُلَآءِ لَعَنَةٌ كَثِيرَةٌ لِّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾⁽²⁾

في الآية الكريمة ثلاث كتابات تتمثل في قوله - تعالى -: ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هٰٓؤُلَآءِ فَيَحْذَرُوا رَبَّكُمْ فَمَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَفِي هٰٓؤُلَآءِ لَعَنَةٌ كَثِيرَةٌ لِّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ قال ابن الأثير: «هذه الآية من باب الكتابات التي لفظها يجر حمله على جاني الحقيقة والجاز، فإنه يجر حمل الماء على لظفر النازل من السماء وعلى العلم، وكذلك حمل الأودية على مهابط الأرض وعلى القلوب، وحمل الزبد على الغشاء الرنهي

(1) سورة الفرقان الآية 19 وتظهر سورة يونس، الآية: 30. وسورة الإسراء، الآية: 72

وسورة النمل، الآية: 81. وسورة الروم، الآية: 33. وسورة الفرقان، الآية: 40.

(2) سورة الرعد، الآية: 17.

الذي تتلقاه السيول، وعلى الضلال¹، فني الآفة كتابة بالماء من العلم، وبالأودية من القلوب، وباليهد من الضلال، والذي جَوَّز هذه الكتابات وجود الرصف الجامع بين الماء وهو للمنى الظاهر القريب والمضى المكس من البعيد (المعلم) فكلاهما يدرم بوظيفة الإحياء، فالسواء يضيء الأرض بعد موتها، والعلم يضيء القلوب والعقول بعد موتها بالجهل، وكذلك بين الأودية وبين القلوب فكلاهما يجتمع عنده ويستقر ما يسبب الحياة وكذلك بين الزبد الراسي وبين الضلال فكلاهما من الأوضار الغارة التي تصمحل بسرعة وتزول فلا حقيقة لها ولا ثبات

بهذا العلم الذي أنزله الله أحيت قلوب المؤمنين فتخلص الإيمان في نفوسهم، واستقر التوحيد في قلوبهم فأخرج بهاء زلماً بظلم وحكمة² فالتأزت جهاتهم من حياة الكافرين التي خدعت موتاً بما أصابهم من صمم عن سماع الحق، وعن عن رؤية طريق الهدى.

البلد المظلم يخرج نهاره يابذاً وبه³ والذي حيث لا يخرج إلا متوكفاً:

يقدم الترتيب لهذا التعبير الكتابي لروسي على سبيل التمثيل حال المؤمن من جهة وحال الكافرين من جهة أخرى وذلك في قوله - تعالى - ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَخْرُجُونَ مِنْهَا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ بِمَا عَمِلُوا إِنَّهُمْ فِي كَيْدٍ مُبِينٍ﴾⁴

فالآية يمكن حملها على جانبي الحقيقة والجزاء، والمضى الحقيقي القريب الذي يجاهد إلى اللبس أن الأرض الطيبة الكريمة الثرية يخرج نباتها سريعاً حسناً واليابس، وأن الأرض السبعة الحقة لا يخرج نباتها إلا قليلاً لا خير فيه⁵ أما للمضى الكتابي البعيد فيفهم من خلال فهم الآفة على أنها مثل غيره لله للمؤمن والكافر، كما قال ابن عباس⁶ ومن شأنه للمؤمن سمع كتاب الله فوعاه بعقله وانفتح به، كالأرض الطيبة أصابها الغيث فأنبت، والكافر بخلاف ذلك⁷ والذي يرجع هذا التمثيل ويقويه السياق قبل الكتابة لما ذكر من الماء أنزال من السماء على البلد ليست

(1) لعل السار - 1 / 3.

(2) ينظر: الصورة الفنية في لعل القرطبي، ص 286.

(3) سورة الأعراف، الآية 58.

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم، 2 / 213، والكشاف، 2 / 88، ومذهب الرحمن في تفسير القرآن.

376 / 3

(5) ينظر: تفسير القرآن العظيم، 2 / 213.

(6) الكشاف، 2 / 88.

الكنيسة هي والمثل في نغمة البصيرة في العالم الداخلي للمؤمن الذي تصبّد حقيقته المشرقة بنور الإيمان الحي للأبصار في الرؤية وعن ثم الاستجابة والإدراك في البصائر والإيمان الحي للأبصار والبصائر، والكفر والضلالات للحيث للأبصار والبصائر بالصبي الكنائي المصور بصبغة في الكتابة الثانية (القللعات والنور) في صورة حسنة تشير إلى حقيقة المعية الموحية، إذ إن ﴿أَلْقَلَّتْ﴾ تشير إلى معناه للكنيسة وهو الإيمان أو المصداق، وبذلك تضمنت الكتابات في صورتها الحسية إشارات عميقة حالة على تباين سوعين من الحياة تفرقان في طبيعتهما بهذا التصوير الكنائي في الحس والفكر، وهذا التباين أو التمايز بين الحياتين تنقله الكتابات بدلة بانية معبرة، ففكرة (الكفر) تنطس في صورتها الكتابية الحسية (القللعات) بصيغة أجمع دلالة على أوضاع الحياة الكثيرة التي تحجب الأبصار والبصيرة، وكذلك "الكفر" حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان⁽¹⁾ على حين إن الإيمان (النور) جاء بصيغة للفرق، ولي هذا حكمة بالغة مبر عنها صاحب تفسير التباريق: "وقد أورد النور وجمعت الظلمة هنا، وفي كل آية أويل فيها بين النور والظلام سواء كان ذلك في الحس أو للعنري، بل لم يذكر النور في القرآن إلا مفرداً، والظلمة إلا جماعاً، وحكمة ذلك: أن النور شيء واحد، وإن تعددت مصادره، ولكنه يكون نوراً ويكون ضيقاً، وأما الظلمة فهي تحدث بما يحجب النور من الأجسام غير النيرة، وهي كثيرة جداً، وكذلك النور للعنري شيء واحد، في كل نوع من أنواعه أو جزئي من جزئياته، ويقابل كل منهما ظلمات متعددة، فالنور واحد لا متعدد، والباطل الذي يقابله كثير"⁽²⁾ فالظلمات بوصفها تعبر عن الكفر، فهي تصور طبيعة الكفر وعمله المدمر للحياة في أدق تصوير، فهو ليس (ظلمة) واحدة، وإنما (ظلمات) تعد مثلاً للرؤية والبصيرة بكل جهاتها في الحياة فصحب الإنسان عن ممارسة الحياة الطبيعية، لأن الميرة والتلق هما الشور، والتلق هو الحركة للسيطرة على عمل الإنسان في تلك الظلمات المتلعة بعضها فوق بعض، فالكتابة تنطوي على طائفة إيمانية وتصورية في أداء للنس

(1) التكت في إيجاز القرآن، ص 93

(2) تفسير القرآن 7 / 294.

ويقابل كتابة (الظلمات) كتابة (النور) التي تصور طيعة الإيمان وعطية الباتي للحياة، لأنه يفتح منافذ الرؤية والبصيرة بكل جهاتها في الحياة، ومن شأن التقابل بين الكاتبين أن يعكس متعلما في الحس والوجدان.

ويتحول الإيمان والكفر في التعبير الكتابي (الظل والحور) إلى صورة حسية جديدة موحية تراها العين وتحمسها النفس، وتفتح منافذ عدة للتفكير لتلمس حائلي المصورين إذ تهت الكتابة (الظل) في جنبات النفس الاوباق والفتوح، فالإيمان هو البلمس الذي ترتاح إليه النفس وتستقر في رحلة الحياة الفنية وهي تواجد الثعالب والألام والشتات فيجد المؤمن في ظله الطمأنينة والسعادة والأمن، فضلا عن الثواب في الحياة الأخرى، أما الكفر والصلال فهو (الحور) بالتصوير الكتابي، ومن اللامي الحسية للحور (السموم)، إلا أن السموم يكون بالنهار، والحور بالليل والتهار⁴⁶ فللكفر يتجسد بهذه الصورة الحسية من العذاب المستمر انفصل، وذلك لأن النفس الكافرة خائبة من معة الإيمان، فهو العقاب في الحياة الدنيا، فضلا عن العقاب في الحياة الأخرى، لذلك فللكافرون (أموات) ليس أمواتا بالمعنى المألوف للموت وهو الملاك والفناء كما قد يتبادر، وإنما أموات بالمعنى الكتابي الجندب إزاء المؤمنين (الأحياء): ﴿وَيَسْتَهْزِئُ الْآخَرَةُ بِالْأُولَى﴾ الكافرون موتى لأنهم منطفئ الروح والبصيرة والإدراك، فهم والموتى سواء كما يقول القرآن، وكان حياة الحياة وجوهرها كما بهم من التعبير الكتابي يتمثل في الاستقامة والتبصر وتيقظ الروح والتمييز بين الخير والشر، والحق والباطل، وأن الموت بمعومه الكتابي ربما كان انفساس النفس في ظلمة الحيواتية، ويقاد الروح مكفوفة الإدراك تجبط في الأرض من غير ضاية نيطة تسمى إليها لتسعد بها سعادة أبدية⁴⁷ لأن الطلة الروحية معلقة، فللكافرون يتحون في حياتهم وتظلمون مثل أي كائن حي دون تميز أو فسارت إذ يفسلون معنى الحياة المقصود، لأن المقصود من الحياة الإدراك والعقل فلكا خلوما تصير الحياة مساوية للموت في عدم الفائدة لظلمة فتزل الحياة منزلة⁴⁸

(1) اكتشاف: 9 / 480. ونظر: لبنان العربي: 4 / 177 (حور).

(2) التصوير الباطني دراسة تحليلية لسائل البنان، ص 210.

(3) ونظر نهاية الإيمان في دراسة الإصحاح، ص 129. 130. ونظر القواعد للشرك إلى علوم القرآن وعلم البنان، ص 45. 46.

للاكتاتية بكت الحياة في مفاسل الصورة وجذبت معاني الكلمات في دلالات جديدة موحية مؤثرة في الحس والوجدان.

وذلك يتجلى بالكتاتيات الحرة عالمين متضادين: عالم الإيمان والهدى، وعالم الكفر والضلال على التقابل في دلالاتهما الفكرية والنفسية، إذ تحقق الكتابة دلالات عميقة في الحس والشعور، وعلى بساطة التراكيب الكتابية ووضوحها تمنح الفكر والنفس قوة المضاء وعمق الإيمان في الساني والأفكار، إذ يتقابل أما الفكر والنفس عالمان متناقضان في دلالاتهما في صورة ياتية كاشفة تفصل كل عالم من هذين العالمين بصفات حمية تشتمل رموزاً لا يتقاطع إيماءها بما أخرجت المعاني والأفكار بخصوبة وحيوية ليس تفريغها حسب، وإنما لتوغل دلالاتها في كيان الإنسان لتعطي معانيها وأفكارها، ولترسخ مخططاتها في الفكر والنفس.

الفصل السابع

الكناية التعريضية

الفصل السابع

الكفاية التعريفية

الكفاية التعريفية لكون من ألوان الكتابة "فالكتابة تنقسم إلى تعريفية وتلويح ورمز وإيماء وإشارة، وما من حديث يحسر لك اللام عن ذلك" (1) والتعريف هو "التميز عن" التاميز الدال على الشيء من طريق مفهوم لا بالوضع الحقيقي، ولا الجلي، فإنا قلنا لم يتوقع صلته وسعونه بتعريف طلب، وبالله إني أحتاج، وليس في يدي شيء، ولما مررنا بالبريد عند أكناسي، فإنا هذا وأشباهه تعريف بالطلب، وليس هذا اللفظ موضوعاً في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازاً، إنما دلّ عليه من طريق المفهوم، بخلاف دلالة اللبس على الجماع" (2) والتعريف هو أن يطلق الكلام، ويشار به إلى معنى آخر ينهم من السياق (3) وقرائن الأحوال، وما يشير إلى هذا قوله - تعالى - ﴿وَلَا يَحْتَاجُ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَزَمْتُ بِهِمْ مِنْ تَحْلِيلِ الْوَسْطِ أَوْ اسْتِغْنَاءٍ عَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (4) والتعريف في الحقيقة هو أن يقول راجع الزواج للمحنة بعد انتهاء حتمها، مثلاً: حس لله أن يصير لي زوجة صلحاً لو لعل الله أن يورثك بصلحاً وإن اتساع لي حلجي وأقبله من الكلام (5) فهو إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض (6) وهو رغبته فيها، والزواج ليس معلولاً لهذه الألفاظ حقيقة ولا مجازاً، لأن التكلم ذكر شيئاً دلّ به على شيء لم يذكره، ومن هذه الناحية اشتق التعريف من الكتابة، لأن الكتابة ذكر الشيء بغير لفظه للموضوع له كقولنا: طويل التجار لطول القامة، وكثير

(1) منابع الماروطي ص 190، ونظر: الإنشاح. 2 / 466

(2) نفس المسار 3 / 36 ونظر المسار 1 / 397. ونظر: البرهان في علوم القرآن. 2 / 311

(3) جوامع البلاغة في علمي البيان والبرهان، أحمد الخاشي، ص 350

(4) سورة البقرة ص الآية 235

(5) نظر الكفاية والتعريف، الخاشي، ص 57 ونظر التوارد المشرق إلى علوم القرآن وعلم البيان،

ص 134. ونظر علم البيان في الدراسات البلاغية ص 376.

(6) الكشف 1 / 373. وللصواب من كتابات الأبيد وإشارات البهتان ص 56، 57.

المراد للمضامين والتعريض. أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جيتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم⁽¹⁾ وهو يعرض بطلب الصدقة. ورغم هذا الانحراف بين الكتابية والتعريض فإنهما يعدان من طرق الفن الكتابي، لأنهما يدخلان في إطار علم وهو الإشارة إلى المعنى المراد من بعد عن طريق للمعنى القريب الذي يدل عليه ظاهر اللفظ لملاحة بينهما⁽²⁾ هي علاقة بالضرورة في الكتابية، وعلاقة يستدل عليها الحاصل في فرائض الأحوال ومقتضيات السياق في التعريض.

وقد توافر الفرقان الكريم على هذا النوع من الكتابية التعريضية التي تمتاز بالإيجاز في التعبير عن المعاني والآثار التي تهدف إليها، فهي تحقق معناها أولاً ثم تعيد إلى العرض الذي ترمي إليه من طريق المفهوم من السياق وفرائض الأحوال كما ذكرنا من غير أن تذكر الطرف المقابل المعرض به، المعطوف من التصريح إلى التعريض يكون وقع المعنى في النص مؤثراً والتدبر على إحداث الاستجابة النفسية للناسبة، وذلك بسبب التلميح إلى المعنى المراد نقله والإشارة إليه من عرض الكلام وجانبه، ونقل للمعنى إليه بعد معاناة وتفكير، ومن هنا فإن التعريض الذي لا يقع إلا في التركيب على خلاف أقسام الكتابية الأخرى التي تقع في القرعة والتركيب⁽³⁾ يفيد القول بلاحة نظري بلاحة تتوخى الكتابية الأخرى وذلك لأنه يشير بوضوح ومن دون وساطة ولتؤازر إلى معنى بعيد، مع الفردية في نفس السامع من طريق سياق القول ومقتضياته.

ولما يأتي مستعرض الآيات القرآنية التي استحدثت كتابات تعريضية، ثم حاول تحليلها ريبان خصائصها وأثرها في سياق الآية الكريمة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

إنما يتذكر أولوا الألباب

يستعمل القرآن هذا التعبير في موضعين على سبيل التعريض بالكافرين، أحدهما قوله - تعالى - ﴿لَقَدْ يَتَذَكَّرُ قَلِيلٌ مِنْهُمْ لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكَ لَوُاْ الْآلِهَةِ﴾⁽⁴⁾ قوله - تعالى - ﴿لَقَدْ يَتَذَكَّرُ قَلِيلٌ مِنْهُمْ لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكَ لَوُاْ الْآلِهَةِ﴾ تعريض بالكافرين، وليس الغرض من هذا القول - كما يقول عبد القاهر الجرجاني - أن يعلم السامعون ظاهراً معادياً ولكن أن يذم الكفار وأن

(1) ينظر الكتاب: 1 / 372-373.

(2) ينظر الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص 2290.

(3) ينظر لعل السائر 3 / 57 وينظر البلاغة العربية للمباني والبيان والبيان، ص 244.

(4) سورة الفرقان، الآية 29 وينظر سورة الزمر، الآية 9.

بأن: إنهم من قرأ العباد ومن خلة المولى عليهم في حكم من ليس بذي عقل وإنكم إن طمعتم منهم في أن ينظروا ويذكروا كنتم كمن طمع في ذلك من غير أولي الأبواب⁽¹⁾ فالمعنى الظاهر للكتابة الصريحة معلوم حكمه لا يبيحه أحد أي للمؤمنين أصحاب القلوب

الواحدة التي تتفتح بما ترى، وتعلم أن الذي أنزله الله هو الحق فبيحه ومن هنا تأتي التوازية بين الفريقين المؤمنين والكافرين على التقابل ليتجلى للعلم ويتبين في الحسن واللعن ﴿لَنْ يَكُنَ اللَّهُ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ ذَٰلِكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ والاستفهام بالمعزة يفيد تكرار تشابه حال الفريقين، وهو تشبيه مستكرر، وهو صيق في دلالاته وحقيقته، فالمؤمنون هم أصحاب البصر والبصيرة على خلاف الكافرين - كما يفرجهما التعبير الاستناري التصريحي القائل في بيته على التشبيه ﴿كُنْ قَوْمًا﴾ نثبت الكافر بالأعمى وذلك بجامع عدم البصر على سبيل الاستعارة التصريحية والكافر ليس أعمى في الحقيقة، وإنما هو أعمى بهذا التصوير الاستناري بمسماه الجندب الذي يصوره القرآن، إذ العسى على القلب والبصيرة، كما قال - تعالى - ﴿لَا تَسْمَعْ لِلْأَعْمَى الْقَوْلَ﴾⁽²⁾ فالكافر عسى والكافر أعمى لأنه عطل وسائل إدراكه ومعرفته من العمل في ما خلقته له فهو لا يرى العلم الذي أنزله الله وهو الحق الذي يلمسه أولو الأبواب لكنه في ذلك شأن الأعمى الذي لا يميز الأشياء.

وعلى الاستعارة القائمة في بيتها على التشبيه تصند معنى التصريح المستفاد من ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ بِالْأَكْبَرِ﴾ الذي جاء بأسلوب الفصحى، حيث قصر صفة التذكير على الموصولين - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهم المؤمنون لا تنحصر إلى غيرهم وهم الكافرون المعرضون بهم فهم لا يذكرون ولا يتنبهون الحق الذي أنزله الله، فالقصر "ليبيان الواقع وحصر التفكير والتذكر المستطعم في أولي الأبواب والمقول الخالصة"⁽³⁾

(1) دلائل الإيجاز، ص 333 - 334 ونظروا البرهان في علوم القرآن 2 / 314. ونظروا من ثلاثة النظم العربي دراسة تحليلية لسائل علم للمصطفى - د عبد الله - عرفة 2 / 61.

ونظروا للمعنى في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشي، ص 300

(2) سورة الحج، من الآية 66.

(3) موانع الرحمن في تفسير القرآن، 6 / 386

وبذلك تنال هذه الكتابة الترميزية ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ من الكافرين عن طريق مفهوم سياق الآية وتلخيص وتخرجهم في حكم من ليس له بصير وعقل من غير أن تعرض بذكرهم.

وتتكرر هذه الكتابة الترميزية في موطن آخر معرضة بالذين لا يعلمون (الكافرين)، بعد أن تثبت للمؤمنين الذي يعلمون ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ سلوكاً عالياً شاكراً لله، فعلمهم يتخذ عياله وصورته الشاكرة العاملة، وذلك في قوله - تعالى ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ تلك الآية سلكها ولما بسلك الأئمة وبعثوا رحمة الله على كل يستوي المؤمن والمؤمنين لا يمكن أن يكون ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾¹⁰

﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ ترميز بالكافرين بعد أن ثرت المعنى الظاهر المعلوم وهو إثبات صحة التذكر للمؤمنين أولي الأبواب دون غيرهم على وجه التفصيل. ويرى سياق الآية هؤلاء المؤمنين الذين يعلمون ويعملون بمقتضى علمهم للسفر في النجوم والفضاء بهذا السلوك الملائم أثناء الليل، والسجود والقيام، والحذر من ضباب الأخرى، ورجاء الرحمة من ربهم بهذا الجهد العامل الشاكر الذي يذلل هؤلاء العاملين العاملين. والكافرون الممرض بهم يجهلون الحقيقة التي من أجلها خلقوا، فهم لا يعلمون فلا يستوي حالهم مع هؤلاء المؤمنين في صورتهم الرضية ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ والاستغناء هنا إنكاره ينفي أن يستوي حال الفريقين وهو واقعاً ناصحاً في دلالة المجازية فهو لا يحتاج إلى جواب، لوضوح حال الفريقين، ولكنه استغناء بهدف إلى إقناع حقيقة وتوكيدها، ويخرج ويخرج بالكافرين الذين لا يعلمون إزاء قولك العاملين العاملين، والتفصيل على سبيل التعداد من شأنه تمييز حال الفريقين في الحس والذهن.

ويمكن أن يفهم النص في الآية من جانب آخر بالعاملين غير العاملين في دلالة العامة، قال الزهري: "ولما بالذين يعلمون العاملين من علماء الكتاب، كان جعل من لا يعمل غير عالم، وبإرداء حقيق بالذين يقتنون المعلوم، ثم لا يقتنون ويعتنون، ثم يقتنون بالعلماء، فهم عند الله جهلة، حيث جعل للفريقين هم العلماء، ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العاملون والعاملون، كذلك لا يستوي الفاعلون والمفعول"¹¹

(1) سورة الفرقان: الآية 9.

(2) التفسير: 4 / 90

وي كلاً للعينين لأن إبراهيم عليه السلام عرض بهم وبآلتهم التي يعبدونها من دون الله من جهل وظلم، وتقليد أعمى لا يملهم ⁽¹⁾ يسيطر على أفكارهم ونفوسهم ويوجه سلوكهم فيصبحوا بلا عقل ولا تفكير، لأنهم يرون بعلوم آباؤهم حتى ولو علموا بأن آباؤهم جاهلون.. من هنا يأتي التعريض بهم وبآلتهم أسلوباً يلجأ حياً بمحل على إشفاق نفوس تومس وتلويهم لإزالة عشاوة التقليد الأعمى الذي غطى على الحقيقة التي غفلوا عنها.. فالتعريض يحطم تلك الأوهام العسية التي رانت على قلوبهم فتجلى لهم الحقيقة، وليرد القلوب إليها والنفوس، وقد صرد السياق لحظة وجوعهم إلى نفوسهم متعبرين متفكرين حتى ألزمهم الحجة ﴿فَرِيقًا إِلَىٰ قَبِيلِهِمْ فَنُفِثُوا لَكُمْ فَنَفِثُوا لَكُمْ فَنَفِثُوا لَكُمْ﴾ أي لا الزمهم الحجة وأخط بمخافتهم، وجعروا إلى أنفسهم متعبرين ومتفكرين فقالوا انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتوه حين ظنم ﴿مَنْ تَعْلَمُ مَثَلًا لَّكَؤُفَاتِهِمْ فَلْيَرَأَيْهُمْ فَلْيَرَأَيْهُمْ﴾ ⁽²⁾ لهم يلهون أنفسهم وما هم به من سفاهة، وما لي صادتهم من ظلم - حين رجعت أصهم إلى الحقيقة الناصحة - إلا أنهم ارتدوا تلك الردة العسية كما يصورها القرآن بالأسلوب الكتابي المجسد، ارتداد نفوسهم إلى عبادة الأصنام ﴿ثُمَّ لِيَكُونُوا عَلَىٰ تِلْكَ آلِهَتِهِمْ كَقَوْمٍ قَدَّحُوا مَاءَ الْكَوْنِ بِحُجْرَةٍ فَوَقَثُوا لَهَا صَخْرَةً فَأَخْتَصِمُوا بِحُجْرَةِ الْكَيْدِ فَأَعْتَصِمُوا بِالْبَاطِلِ وَالْخَبْرِ﴾ ⁽³⁾ فالتكسبة ﴿ثُمَّ لِيَكُونُوا عَلَىٰ تِلْكَ آلِهَتِهِمْ كَقَوْمٍ قَدَّحُوا مَاءَ الْكَوْنِ بِحُجْرَةٍ فَوَقَثُوا لَهَا صَخْرَةً فَأَخْتَصِمُوا بِحُجْرَةِ الْكَيْدِ فَأَعْتَصِمُوا بِالْبَاطِلِ وَالْخَبْرِ﴾ حركة مابسة غليظة تنجر إلى ذلك المعنى النفسي وهو التلاهم من الحقيقة الناصحة وهي بطلان عبادتهم وشركهم، وقد استثمروها لحظة عندما ألزمهم سيدنا إبراهيم عليه السلام الحجة والبرهان، انقلبوا إلى الشرك والمجادلة من أصنامهم بالباطل والكبرياء، قال الزخشي: "نكس: قلبه فجدلت أسماله أحواء، وانكس انقلب، أي استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاؤوا بالفكرة الصالحة، ثم انتكسوا وانقلبوا. من تلك الحالة، فأغلوا في المجادلة بالباطل والكبرياء، وإن هؤلاء - مع تقاصر حالها عن حال الجبران الناطق - آفة مصرفة، مضاركة منهم، أو انتكسوا عن كبرهم بمادلي لا إبراهيم عليه السلام بمادلي منه، حين نفروا عنها القدرة على التطق ⁽⁴⁾ ويمكن أن تلمهم الكتابة ﴿ثُمَّ لِيَكُونُوا عَلَىٰ تِلْكَ آلِهَتِهِمْ كَقَوْمٍ قَدَّحُوا مَاءَ الْكَوْنِ بِحُجْرَةٍ فَوَقَثُوا لَهَا صَخْرَةً فَأَخْتَصِمُوا بِحُجْرَةِ الْكَيْدِ فَأَعْتَصِمُوا بِالْبَاطِلِ وَالْخَبْرِ﴾ على الحقيقة، أي تكسوا رؤوسهم حقيقة، فتكون بذلك كتابة عن عجبهم وانتكسارهم أمام الحقيقة التي يهتوم بها إبراهيم عليه السلام وقد أشار الزخشي إلى هذا التلمس بقوله: "أو ألقوا على رؤوسهم حقيقة مفرط الطرافهم عجباً وانتكساراً وانغزالاً عما يهتوم به إبراهيم عليه السلام

(1) ينظر: سورة الشعراء، الآية 74.

(2) ينظر: التكملة، 3 / 96. وتقرم هو الآية 39 من السياق نفسه.

(3) التكملة، 3 / 98.

لنفسهم بينهم بالحق والعدل - ومن هنا يتجلى امتحان النبي داود وإبلاؤه فيعرض به السابق تمريضاً مؤثراً، لأنه لم يبين الحق قبل إصدار الحكم، على الرغم من أن الحصم قد اعتدوا أن يعرضاً عليه القضية في صورة صراحة شريفة. ولكون القاضي عليه ألا يستأجر، وعليه ألا يتجمل. وعليه ألا يأخذ بظاهر قول واحد. قبل أن يمنح الفرصة للإدلاء بقوله وحجته، فقد يتعبر وجه المسألة كله، أو بعضه، ويتكشف أن ذلك الظاهر كان غامضاً أو كاذباً أو ناقصاً⁽¹⁾ والتعقيب القرآني بعد ذلك يؤكد هذا المعنى التصريحي وقويته، ويكشف عن طبيعة تلك القضية التي ابتلاء الله بها ﴿لَنَبْلُوَنَّكَ بِذَلِكَ وَلَنُكَلِّبَنَّكَ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾ (2). كما يجلس من هذه القصة التي مرست بسيدنا داود عليه السلام القضاة وأهملته في حياة الناس.

ما كان ينبغي أن يكون له أسرى حتى يفتن في الأرض.

نود هذه الكتابة معرفة بالمسلمين على ما فعلوه في شأن أسرى معركة بدر، وذلك في قوله - تعالى - ﴿مَا كُنْتُمْ بَيْنَ أَنْ يَغْلِبَ اللَّهُ الْكُفْرَ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْدِينَ لَسَوْدَ الْأَرْضِ﴾ (3). وفي قوله - تعالى - ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ فِي الْأَرْضِ﴾ (4).

والإيمان هو كثرة القتل والبالغة له، من قولهم: اثبت الجراحات إذا أثبتته حتى تتصل عليه الحركة. واتخذ المرض إذا اتكله من التثاقلة التي هي الغلظ والتكثاف، يعني حتى يلد الكفر ويضعفه بإشاعة القتل في أهله ويزي الإسلام ويقويه بالإستيلاء والقهر ثم الأسر بعد ذلك، ومعنى ﴿مَا كُنْتُمْ بَيْنَ أَنْ يَغْلِبَ اللَّهُ الْكُفْرَ﴾ ما صح له وما استقام، وكان هذا يوم بدر⁽⁵⁾.

فالاتحان بالشرى في المعركة هو الذي كان يجلب على المسلمين أن يفعلوه وذلك لإضعاف قوة المشركين وكسر شوكتهم وبخاصة أن معركة بدر هي أول معركة مع المشركين، وإن المشركين كانوا كثرة والمسلمين قلة، فكان ينبغي على المسلمين أن ينضموا صده المحاربين المشركين بالقتل والبالغة له لا أن يأسروهم ويستقروهم ويطلقوهم بالتفدية كما حدث، فعرض الله بالمسلمين على قتلهم، وكشف عن مقلع ذلك وسببه. ﴿لَنَبْلُوَنَّكَ بِذَلِكَ وَلَنُكَلِّبَنَّكَ فِي الْأَرْضِ﴾ (6).

(1) في خلال القرآن: 7 / 97.

(2) سورة الأحقاف، الآية: 67.

(3) التكاثر: 2 / 104، ويظهر أساس البلاغة، ص: 49 (لشعر).

لا ينضمها إلا مع كونهما خلعين، فهذه امرأة لوط أنثت عليه كما أنثت حفصة على رسول الله، وامرأة نوح قالت لقومه. إنه مجنون، فكلاهما تظاهرتا على الرسولين الكريمين، بنفاهتهما وإبطاهتهما الكفر فكانت عاقبتهما دخول النار مع الكافرين⁽¹⁾

فالكلان في ضوء ذلك يعدان كتابة تمريضية تلوح بمخاطها التمريضي من بعيد والذي يلمح من طريق الإشارة للمهابة التي تصون النفس الانسانية للمخاطبة من الأذى. ومخاطبة. وهي تعرض بأمر الزمن لتخطئ فما مقامهما الكريم في بلوغ المراد. وهذا من خصائص التمريض في القرآن الكريم فهو من الأساليب الميانية يحثه الأدب الفكري، وتدعو إليه لغته للمهابة، تقوى للمخوف، وصيانة النفس من الميث والغيث والآثمة المؤذية⁽²⁾

يا أختي هرون ما كان أبوك امرأة منزهة وما كنت لك بنتاً

ترد هذه الآية الكريمة على سبيل التمريض بالسبلة العلانية مريم (عليها السلام) من قبل قومها وذلك في سياق سيدنا عيسى عليه السلام قال - تعالى - ﴿فَلَمَّا يَدْعُمَهَا تَحِيَّةً قَالَ يَا مَرْيَمُ إِنَّكِ عَلَىٰ غَيْرَ عَمَلٍ﴾

وللمنى الظاهر القريب للآية. ﴿يَكَلِّمَتُ هَٰذِهِ مَآكِلَهُ نِسَاءً كَرِيمًا وَمَا كُنْتَ أَتَىٰ يَدُكَ﴾⁽³⁾ ، كما جاء في التفسير "أي يا أخت الأخ الصالح لو شبيهة الرجل الرجل الصالح المشهور والمراد بهارون لمخ لها من أبيها، وكان صالحاً، ولعل - رجل صالح مشهور في بني اسرائيل وقيل: المراد هارون أخو موسى عليه السلام والمراد بالأخت للشابه والمماثل في الطوى، ما كان أبوك امرأة صاحب سوء في الأعمال والأخلاق، وما كنت لك بعباً أي زانية والأصل إذا كان ركبياً فالغالب أن الفرع يكون كذلك، فمن أين لك هذا الولد؟"⁽⁴⁾

إلا أن الآية يمكن عقدها كتابة تمريضية تلوح بمخاطها الجيد الذي يقصده قومها على سبيل التمريض بها، على الرغم مما تحمله الآية من معنى نبيل يفرز طهارة السيدة مريم (عليها السلام) وصلاح سيرتها يعترف به قومها، ولكن يسم في الآية التمريض (بالمراد)، فهم لم يواجهوها صراحة بالمعنى، وإنما عرضوا بذلك تمريضاً قوياً للتأثير وإقناعه، وذلك من خلال تعمي

(1) ينظر الكشف: 4 / 158.

(2) أصول البيان العربي ص 119

(3) سورة مريم: الآية 27-28.

(4) مولد الرحمن في تفسير القرآن: 5 / 323. وينظر: الكشف: 3 / 11.

السوء من أيها والبني عن أمها، وتناكها بأنها أعت هارون للشهور صدمهم بالصلاح، فخللاً عن الاستهزام الضممي للفهوم من السياق بعد النبي (من أين لك هذا الولد؟) الذي يفيد (التعجب) التعجب من هذا الشيء الغريب الذي جاءت به ولا يعرف مصدره. فمن خلال النبي والاستهزام يُترى المعنى الترميضي الذي اشاروا إليه وهو (الزما) يتهمون به العناد الطاعرة النقية.

الحسينات لما خلقناكم حبة

ويلمح الأسلوب الترميضي الجيد إلى التكليف بالأغراء وهم المحبسون عن البصر بحكمة الشاء الأخرى، وذلك في قوله - تعالى - : ﴿ أَتَحْسِبُنَا لَكَ حَتِيفَتُمْ حَبَا وَكَلَّمْتُمْ رَبَّكَ لَا حُسْرَىٰ ﴾¹¹⁵

والمنى ﴿ أَتَحْسِبُنَا لَكَ حَتِيفَتُمْ حَبَا ﴾ أي 'حائبين، أي ما خلقناكم للبعث، ولم ندعنا إلى خلقكم إلا بحكمة انتظت ذلك، وهي أن تنبذكم وتكلفكم الشاق من الطامات وترك المعاصي، ثم مرجعكم من دار التكليف إلى دار الجزاء، فتب الحسن والمعن ومقابب السيئة ﴿ وَكَلَّمْتُمْ رَبَّكَ لَا حُسْرَىٰ ﴾ معطوف على ﴿ لَكَ حَتِيفَتُمْ حَبَا ﴾ ويحوز أن يكون معطوفاً على ﴿ حَبَا ﴾ أي للبعث، ولتركتكم غير مرجوعين¹¹⁶، علما هو للمنى الذي توضحه الآية وتقرره، لحكمة البعث والنشور من حكمة الخلق، محسوب حسابها، ومقدر وفوعها، ومدبر حايها، وما البعث والنشور إلا حلقة في سلسلة الشاء، تبلغ بها كمالها، ويتم فيها تمامها، ولا ينكر الحياة الأخرى ويقتل عنها إلا الكافرون المحبسون عن حكمة الله الكبرى، المتجالية في صفحات الكون المبثورة في أطوار الوجود¹¹⁷، هي الآية ترميضي بهؤلاء على الخلق وجه وأشد، لإتكاثرهم هذه الحقيقة التي خلقوا عنها وحسبوا أنهم لا يرجعون إلى الله ولا يحاسبون على أعمالهم.

(1) سورة المؤمنون: الآية 115.

(2) الكشاف: 3 / 162، وينظر: صفة القاسم: 321 / 322.

(3) ينظر في خلال القرآن: 6 / 58.

ما هذا إلا بشر مثلكم:

ترد هذا العبارة على سبيل التعميم بسببها روح الآية على لسان الكبرياء من قومه، وذلك في قوله - تعالى - ﴿كَانَ لِلنَّاسِ أَلْفٌ مِّنْ ذُنُوبٍ قَبْلَ هَٰذَا مِن دُونِ هَٰذَا ۚ لَئِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا لَّيُنَبِّئُنَّكَ الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُكْفِرُونَ﴾²⁷

وهذه قولة الكبرياء من القوم بطلونها من هذه الزاوية الدينية ﴿كَانَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَكُم﴾²⁸ واسلوب القصر بالنفي والاستثناء يؤكد تلك النظرة الضيقة التي يتقنون منها، فهم ينظرون إلى شخص النبي بوصفه رجلاً لا يفتقر عنهم بشيء، بقصر (لوصف النبي الرسول) على (صفة البشرية) فحسب، دولاً نظر إلى ما يذهبهم إليه من دعوة كريمة عظيمة مجرّدة عن لأشخاص والذوات، فالرسول في نظرهم بشر مثلهم يريد أن يتفضل عليهم ﴿لَئِنْ يَتَفَضَّلْ عَلَيْكُمْ﴾، أي: 'يطلب الفضل عليكم ويرأسكم'²⁹ وأنتم أنتم فلا تقبلوه وشكته ولا تهملوا أمره حتى يستضل عبده ﴿وَكَذَٰلِكَ قَالَ لَهُ أَتَأْمُرُ النَّاسَ بِالنَّاسِ﴾³⁰ أي: رسلًا منهم ﴿تَأْمُرُهُمْ بِالْحَقِّ﴾³¹ أي: يرسل الرسول من البشر إلى البشر ﴿لَئِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا لَّيُنَبِّئُنَّكَ﴾³² أي: الإنسية، فإن إرسال الرسل من البشر كان مشهوراً معهوداً معلوماً، وعلى قوما متعصبين بحسب أعضائهم وجعلهم يعارضون ما علموا بوجوهه³³ فهو الكلب والحصاة والكابرة، وإلا فإن إرسال الرسل من البشر إلى البشر لا من الملائكة هو رحمة من الله وورعانه بالبشر، فضلاً عن تكريمهم، فالنبي البشر هو من جنسهم وطبيعتهم يحسن إحصائهم ويشرح شعورهم، يتفهم وفكره. فهو أقدر على إبلاغهم الرسالة بكل تكاليفها من غير، كالملائكة، كما يقرحون، فالملائكة جنس من غير جسمهم، وطبيعة من غير طبيعتهم، فلا يتفهمهم ولا يتسجدون معهم كالرسل من البشر، ولكنها للكثرة التي يوازي مدى أكثر منهم حيلتهم ﴿كَانَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَكُم﴾³⁴ على سبيل التعميم 'بأنهم أحق من بالنبوة، وإن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم، فقالوا: هب أنك واحد من الملا وموالاتهم في التثنية، فما جعلك أحق منهم بها؟'³⁵

(1) سورة المؤمنون، الآية: 24، وينظر سورة هود، الآية: 27

(2) الكشاف 3 / 144

(3) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، 6 / 24

(4) التلخيص السافر 3 / 72، وينظر الترمذ في شرحه إلى طوطم القرآن وطوطم القرآن، ص 134، وينظر: علم البيان، د. عبد العزيز حقيق، ص 270.

ويؤي هذا المعنى النص في قوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَمْلِكَ كَيْسَ تُكْتَمَ﴾، بالبناء التي هم أحق بها منه كما يزعمون لأنهم يملكون الجاه والرياسة والمال والقوة. وهو ذات المسمى الذي قصده الكافرون والمشركون على عهد الرسول ﷺ يقولون الذي حكاه القرآن الكريم ﴿يَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ³¹ فهو لاء كائنا لك يحسبون بحساب المادة والتمساجة والقوة، وينظرون بعلومهم الصغيرة تلك النظرة الضيقة التي تحجب عنهم جوهر الرسالة وطبيعة البرة وأهدافها التي تتلوا إصلاحهم وإيراز إنسانيتهم للطعومة فما كانوا إذن ليسوا بملوكها ولا ليرثوا حليتها، ونواقص الصغيرة الضيقة تحجب عنهم جوهرها، ولعمري عليهم عنصرها، ولقد حائل بين قلوبهم وبينها، وإذنا الغضبة كلها في نظريهم فصبية وجل منهم لا يفتقر في شيء عنهم، يُريد أن يفضّل عليهم، وأن يجعل نفسه منزلة فوق منزلتهم ³².

ولولا الأيدي والأبصار:

تترشح الكتابة والتعريض في تركيب واحد، ملحظ ذلك في وصف الله ﷻ لأنبيائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم السلام) بأنهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِإِذْنِهِ كَانُوا عَبْدًا لَهُ مَخْلُوعِينَ وَكَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ³³ قال الزمخشري في قوله - تعالى - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾: "لا كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي فليت، قليل في كل عمل هذا فما عملت أيديهم، وإن كان عملاً لا يتلوا فيه للإشارة بالأيدي، وعلى ذلك ورد قوله ﷻ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ ³⁴ يرد أولي الأعمال والفكر، كان الذين لا يعملون أعمال الأعمى، ولا يعملون في الله ولا يفكرون الفكر ذوي الفتيان والذين لا يستطيعون في حكم المرضي الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم وللأسوي العقول الذين لا استبحار بهم، وفيه تعرض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستعصرين في دين الله وتاريخ على تركهم الجاهل والتمساج مع كونهم متمكنين منها ³⁵، وبذلك يكون التعبير الفرنسي ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ كناية عن العمل الصالح بالأيدي الذي هو مصدر قوة إصابته، فليلاً عن العمل الصالح بالنظر الصائب والحكمة والفكر السديد بالأبصار، وكذا للمعين متصل بالآخر ومشتق عنه ويكمله،

(1) سورة الزمر، الآية 31

(2) في طلال القرآن، 6 / 34

(3) سورة ص، الآية 45

(4) الكتاب، 4 / 72-76

فهو للنفس الشامل للعمل الصالح للسفر في النفس مشاعر ولتكرار ومن ثم يتجسد في الواقع حركة وساداً، وبذلك يكون مظهرًا من مظاهر القوة والبناء، كما تلمح الكتابة إلى تلك بالأيدي والأبصار، لذلك يجعلها القرآن نعمة تستحق الذكر الحسن والثناء الكريم.

ومن جانب آخر يمكن هذا التعبير ﴿قُلْ أَتُحِبُّونَ الْآيَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ﴾ كتابة ترميزية تلوح بمشاعها النصي من بعيد فبعيداً عن مشاعها الظاهر للعلوم النصي الوحيد تعرض بالذي لا يعمل صالحاً فهو كالذي لا يد له، وبماذا لا يفكر تفكيراً سليماً صالحاً فهو كالذي لا عقل له ولا نظر⁴⁰ فهو أعمى القلب والبصيرة لا يصكر ولا يتدبر لأنه يفتقد الإيمان بالله الذي يبعث نوري النفس على التبصر الذي يوجهه إلى العمل الصالح، وفي ذلك تقابل ضمني بين الإيمان بوصفه معلماً من معالم القوة والبناء، وبين الكفر الذي هو ضعف والخلل وفساد للسان والخيال.

والذين إذا ذكروا بالآيات رِيَّوْا وَلَمْ يَهْتَفُوا عَلَيْهَا هُمْ وَأَسَافُوتٌ

يُذَكِّرُ الْفَرَّانَ أَمْرًا مِنْ الْبَيْنِ لَا يَسْمَعُونَ سَمْعَ الْبَيْنِ وَالْإِيمَانُ لَا يُبْصَرُونَ بِهَرِ الْمَلَاةِ عَلَى سَبِيلِ التَّعْرِضِ، بهذه الآية التي يسجل بها سمع من سمات عبد الرحمن الذي إذا ذكروا بالآيات رِيَّوْا حَرَّوْا على استماعها بلكل واحدة وحيد واحدة ﴿وَالَّذِينَ لَا يُحِبُّونَ﴾⁴¹ يَكَلِّفُ ذَهَبَهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَسَنَاتٌ وَتَكُنْ لَهُمْ

لهذه سمعة من سمات عبد الرحمن التي ذكرها السابق⁴² فهم يظنون آيات الله بالهم والاعتبار، فيفرون الله من غير حسم وحسي، قال الزهري ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَسَنَاتٌ﴾ ليس بشي للخروج، وإنما هو إثبات لله، وشي للصمم والعمى واللعن. أنهم إذا ذكروا بها اكبروا عليها حرصاً على استماعها، وأقبلوا على الذكر بها وهم في إكسابهم عليها، سامعون بأنان واحدة، مبصرون بحيون واحدة، لا كالذين يذكرون بها قراهم مكين عليها مقبلين على من يذكر بها، مظهرين الحرص الشديد على استماعهم، وهم كالصم العميان حيث لا يحونها ولا يتبصرون ما فيها كالناظرين والسماعين⁴³.

(1) ينظر في فلال القرآن: 7 / 103

(2) سورة الفرقان: 73

(3) ينظر الآية: 63، 74.

(4) التكملة: 3 / 233

ونحن الآية كتابة تعريفية تتجاوز معناها الظاهر المعروف إلى ما تلوح به من معنى تعريفي يستهدف للشركيين الذين يتكبرون على آياتهم وإياهم فيكونون دون إدراك أو تفكير، فهم صمّ وحييان لا يسمعون ولا يصرون، وإنما يتخون الظن وما تهوى الأنفس⁽¹⁾ وفي الكتابة التعريفية تصوير لحركة الإنكباب على الوجه بلا سمع ولا بصر حركة تشير إلى معانها، ويتمثل في الجهل والتعصب الأعمى لما يتكبرون عليه على خلاف صياد الرحمن الذين يدركون إدراكاً واعياً بصيراً ما في آيات الله من صدق يؤمنون إيماناً واعياً بصيراً، لا تعصباً أعمى ولا إنكباباً على الوجوه، وإنما يؤمنون إيماناً بالعارف المذكر البصير⁽²⁾ ومن خلال الكتابة التعريفية يتقابل المريقان على سبيل التعداد ليشكل حال الفريقين: الشركيين والمؤمنين، فيتعمق المعنى في ذهن القارئ وحده، بين حال المؤمنين في صورتهم الوسيطة إيماناً وإدراكاً ومعرفةً وبين حال للشركيين المعرض بهم في صورتهم المظلمة. ضيقاً وضيقاً وجهلاً. فهما صورتان متضادتان تهيئ عالمين مختلفين.

وما هي من الظالمين يحمده.

ترد هذه الكتابة التعريفية في سياق تصوير العذاب الذي حلّ بقوم لوط في قوله - تعالى - ﴿لَقَدْ جَاءَكَ رَبُّكَ آيَاتٌ بَشَرَةً مِّنْكَ وَآيَاتُنَا حَقٌّ مُّبِينٌ إِنَّكَ مِن سِجِّيلٍ مُّتَشِيرٍ ۝ قَسُوتَ وَهْتَ ذُلَّكَ وَتَنَازَعْتَ مِنْ أَكْفَالِهِمْ كَيْفَ تُصِيبُ ۝﴾⁽³⁾

وهي صورة مروعة من العذاب. والمروي في التعبير "أن جبريل عليه السلام قلع" المنان يصفه بالقدرة المروعة له، في صورة يركان حز المنان وقلمها من مهلهل وحزها إلى ارتفاع يند ما شاء الله، فقلها من فوق وحطها في مهلهل فكان ما كان⁽⁴⁾ وفوق هذا العذاب المروع الأليم أعطى الله عليهم حجارة من سجيل منضود وذلك زيادة في تعذيب حالمهم⁽⁵⁾ وتخفيف شأنهم

(1) ينظر: سورة النجم، الآية 23.

(2) ينظر: في خلال القرآن: 6 / 187، 186.

(3) سورة هود، الآيات: 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000.

(4) مرادب الرحمن في تفسير القرآن: 4 / 334، ينظر الكتاب: 2 / 325.

(5) ينظر: مرادب الرحمن في تفسير القرآن: 4 / 324.

﴿وَتَأْتِيَنَّ مِنَ الْمُطَافِكِ بِبُيُوتِ﴾ قيل: الصبر للقرى، أي هي قرية من طائلي مكة يزور بها في مساجدهم حيث يشاء بعيد⁽¹⁾ فهي قرية في مشجعها الذي يحكي المذاب الأليم الذي حلّ بقوم لوط، وفي عذابهم آيات للمعتبرين الذين يخافون المذاب، الأليم كما قال - تعالى - في موضع آخر تعليقاً على مصراع قوم لوط ﴿يَأْتِيَنَّكَ أَتَى الْقَرْيَتَيْنِ﴾ ﴿وَأَمَّا لَيْسَ بِبُيُوتِ﴾ ﴿يَأْتِيَنَّكَ أَتَى الْقَرْيَتَيْنِ﴾⁽²⁾ ولكن الطائف لا يمتدحون بمصارع القاريين وفهم التعبير القرآني ﴿وَتَأْتِيَنَّ مِنَ الْمُطَافِكِ بِبُيُوتِ﴾ على أنه كناية تمضية للروح بمعناها الصريفي الذي يستهدف الطائفين وترفعهم ويهضمهم بطلب اليهم شيس كعذاب قوم لوط، فكلاهما ظالم يستحق المذاب، وسك الله لا تحابي أحداً، فهي مكة لا تهتك ولا تفتخر تعمل عملها في حركة التاريخ⁽³⁾ الإنساني وإن انحطت روح المذاب وشكك الذي يجرى بالطائفين وكأين من نبي قتل سنة وتكون كثير لما زعموا لما أصابهم .

يعرض القرآن بالمسلمين للقاتلين في معركة أخذ بها أصابهم من الوحش والآنكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله ﷺ ويضعهم في عاصمة للمشركين، وذلك في قوله - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ وَهِيَ سَبِيلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ وَهِيَ سَبِيلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ وَهِيَ سَبِيلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁾

والمنى الظاهر للأية كما جاء في التفسير "وكثير من بني قاتل وجاهد وحارب الكفار معه ويرون أي أناس علماء زعماء القلياء متسبون إلى رئيس نسبة الاعتصام والإخلاص، أو قاتل معه جمع كثير من أتباعه، وأصيروا في سبيل الله جهراحت ومصائب من قتل الأبناء والأولاد والحوالي وانتهاب الأموال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ وَهِيَ سَبِيلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وما حصل لهم النور في الجهاد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ وَهِيَ سَبِيلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وما خطبوا لهم، والله أحبهم لأنهم كانوا صابرين على الأذى في سبيل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّبِيلَ وَهِيَ سَبِيلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁵⁾

(1) الكشف 2 / 325

(2) سورة بقره، الآيات 75، 77، ويعلق: سورة القريه، الآية 37.

(3) ينظر التفسير الإسلامي للتاريخ، د. محمد الأمين خليل، ص 275

(4) سورة آل عمران، الآيات 146، 148.

(5) مواب الرحمن في تفسير القرآن: 1 / 270-271، ويعلق: الكشف 1 / 409

وما كان قولهم مع الجهاد في سبيل الله وقبول مصائبه وبجراحاته ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ لَا﴾ هذا القول وهو إضافة القنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم رباين حضماً لها واستحضاراً والدعاء بالاستعانة منها ملقداً على طلب تثبيت الأعداء في مواطن الحرب والصرة على العدو وليكون طلبهم إلى ربهم من زكاة وطهارة ومخضوع أقرب إلى الاستجابة ﴿فَلَقَالُوا لَكَ تَوَاتُّ الْأَقْبَابِ﴾ من الصرة والضيعة والعر وطيب الذكر. وعصم ثواب الأخرة بالحسن دلالة على نفسه وتقديمه وأنه هو المحذ به صبه⁽¹⁾ يميز به حياته للومين الناصرين

غير أن الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ يَمْنُنَ إِلَهُكُمْ فَلَنْ يَكُونَ مِثْلَهُم مِّنْ شَيْءٍ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ يَمْنُنَ إِلَهُكُمْ﴾ فلهم على أنها كتابة تعريضية تطوي على معنى يمرض بالتهزمين من أرض الحركة في أحد بسبب الضعف الذي أصابهم في مجاهدة المشركين وانكسارهم واستكانتهم للمنافقين المرتجين بقتل رسول الله ﷺ قال الزمخشري: وهذا يمرض بما أصابهم من الرمن والانتكاس عند الأراجاف بقتل رسول الله ﷺ ويضعفهم عند ذلك من مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم⁽²⁾ ولتعرض المسلمين للتهزمين الذي يسبب ضعفهم واستكانتهم دو بعد تروبي نفسي يهدف إلى بناء تلك النفوس الضعيفة الإيمان من خلال كشف ضعفها لتجاوزها، فما ينهي للنفوس المؤسسة للتضلة بالله أن تضعف وتستكين في مجاهدة الكافرين، والله مولاهم وناصرهم وهو غير الناصرين

وَمَا أَزِيحُ عَنْكُمْ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

ترد هذه الكتابة التعريضية في قوله - تعالى - ﴿قُلْ مَنْ يَمْلِكُكُمْ نَزْلَ الْسَّحَابِ وَاتِّخَاذِ السَّاعَةِ﴾

ثم نلاحظ الآية تأمر الرسول ﷺ بتوجيه سؤال إلى المشركين ﴿مَنْ يَمْلِكُكُمْ﴾ ثم أسره بأن يقول الإجابة والإقرار عنهم بقوله: يوزنكم الله. وفي توجيه السؤال من الرسول ﷺ ثم الإجابة عنه بدلاً من المشركين 'إشعار بأنهم مقرون به بقلوبهم، إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به، لأن الذي تمكن في صدورهم من المتاد وحسب الشرك قد ألبس أخواهم من التلق بالحق مع علمهم بصحته، ولأنهم إن تضرعوا بأن الله وقرنهم: لزمهم أن يقال لهم، فما بالكم لا تعملون من

(1) التفسير: 1 / 408.

(2) التفسير: 1 / 409.

(3) سورة سباء الآية: 26.

يررتكم وتؤثرون عليه من لا يقتل على الروح⁽¹⁾، وفي ذلك تهيئة للمشركين والإبرام بالحجة الواضحة التي لا تحتاج إلى البيان.

ومن ثم تأتي الكتابة التعريفية بعد إقناعهم بالحجة وإلزامهم بها ﴿وَلَقَدْ قَرَّبْنَا كَثِيرًا مِّنْ هَٰؤُلَاءِ لَئِي حَسْبِيَ الْيَوْمَ﴾ وإن أحد الفريقين من الذين يؤسسون الرأى من السموات والأرض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجند الذي لا يوصف بالقدرة، أملى أحد الأمرين من الهدى والضلال⁽²⁾، وليس في العبارة القرآنية إيهام بملعما إلزامهم بالحجة التي تقتر بها قلوبهم، وعندما قلّم من التقرير البليغ بما فيه من دلالة واضحة على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال الميّن، ولكنه 'التعريف' لفصل الجند إلى الفريقين، وأعجم به على العلّة، مع قلّة شعب الحسم وفلّ شوكة بالقولنا. ونحوه قول الرجل لصاحبه: *خُيّر الله الصادق مني ومنك*، وإن أسدنا لكاتب⁽³⁾، فلكتابة التعريفية تهدف إلى تهيئةهم وتسميه ما يبدون بالأسلوب المادئ الذي يأخذ بمقتضى، وإلا فإن الهدى والضلال بين، وصاحبه على الحق مستعمل بالضلال واضح بين، وصاحبه كأنه منفرد في ظلام كما صور ذلك القرآن، على وفي ﴿لَقَدْ قَرَّبْنَا كَثِيرًا مِّنْ هَٰؤُلَاءِ لَئِي حَسْبِيَ الْيَوْمَ﴾ لأن صاحب الحق كأنه مستعمل على فرس جواد يركضه حيث يشاء، والضلال كأنه منفرد في ظلام مرثك به لا يدرى أين يتوجه⁽⁴⁾، فسي الحرفي إخراج للمعنى في صورة شخصية حيوية مؤثرة تحت دلالة مصوّرة، نرى فيها الرسول ﷺ والؤمنين على الهدى، في حين إنّ الشركي الجندلي في الضلال، وفي ذلك تقريب معنى الحق وأصحابه، وتقريب معنى الكفر والشرك وأصحابه، لصاحب الحق لظهور حجة وقوة إيمانه ولكن من دينة كأنه مستعمل ظهر جواد يهتد كيف يشاء، (على) دالة على الاستملاء موحية بهذا المعنى، أما أصحاب الباطل الممرّض بهم فطعم لشركهم وكفرهم ومكابرتهم كأنهم

(1) الكشف 3 / 458.

(2) المصدر نفسه: 3 / 458، 459.

(3) الكشف 3 / 459.

(4) المصدر نفسه: 3 / 459. ونظر الأستاذة في القرآن الكريم، ص 98.

لا تميزون الذي علمكم⁴¹ ولو لا التمييز لكان الخصب ان يقال: الذي علمي وإليه أرجع⁴² فهو يعرض بقومه وما يعملون من دون الله وما يلقي التمييز ويحييه قوله بعد ذلك، فقد سألته ذلك، فسأله: ﴿عَلَيْهِدِينَ مُؤْمِرِهِ مَلَكُوتَهُ﴾، والمراد: انتصرون من دونه أمة⁴³ إلى أن قاله: ﴿يَسْتَبْشِرُونَكُمْ فَاتَّبِعُوهُمْ﴾ دون (ربي) و (فاسمعوه)⁴⁴

وبذلك يتجلى المعنى التمييزي بهم ويألفهم، يقال منهم بطريق غني إذ يفسر ما هم فيه حال كونهم ضالين من الصراط المستقيم لا يفلح عنه، فهم يعملون من لا تصح له العبادة، لأنهم مطلقاً عاقلهم وقلوبهم، يعملون مالا يضر ولا ينفع، ولا تفسر شفاعتهم شيئاً، ولم يكتفوا من أن يكونوا شفعاء عن الله ولم يقدروا على التنازع، فهم في عبادتهم في ضلال بين لا يخلص على ذي حقل وميز⁴⁵ فالتمييز يكشف عن حالهم بعمق، وسأل منهم بهذه الطريقة التمييزية اللطيفة، إذ سلك للتكلم كلامه في معرض الخاصصة لكنه وهو يريد مناصحتهم ليتطالع بهم ويدارهم، فهو يتلمس إعلامهم على صورة لا تقتضي مواجهتهم بالخطاب التكرار، وكأنه لم يميزهم، وبذلك يكون للمعنى أدنى للتأثير في أنفسهم والقبول له، فضلاً عن أن هذا التمييز يدل على عاقل الخلق التكلم وتواضعه حيث لا يريد لهم إلا ما يريد نفسه وفي ذلك تعليم في الخطاب للذين يعملون⁴⁶

(1) ينظر الكشف: 4 / 3، والبرهان في علوم القرآن: 2 / 313.

(2) ينظر الكشف: 4 / 3، والبرهان في علوم القرآن: 2 / 313.

(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 2 / 313.

(4) ينظر المصدر نفسه والمكان نفسه.

(5) ينظر الكشف: 4 / 3.

(6) ينظر الكشف: 4 / 3، والبرهان في علوم القرآن: 2 / 313، والافتحان في علوم القرآن:

لا تستلُون عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنَادُوا عَمَّا أَجْرَمْنَا:

ويفهم التعريض بالكافرين من هذه الآية كالأية السابقة⁽¹⁾ وهي قوله - تعالى - ﴿لَا تَقُولُوا لِمَن يُعَذِّبُكَ عَذَابُ رَبِّكَ إِنَّكَ كُنْتَ تَسْمُونَ﴾⁽²⁾

فلولا المقصد بالآية التعريض بحال الكافرين وما هم عليه من إجرام في أعمالهم من كفر ومعاصي، لكان حق الحال من حيث الظاهر أن يقال: (لا تستلُون عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنَادُوا عَمَّا أَجْرَمْنَا) ولكنه أُمِدَّ (الإجرام) إلى التكليم، والعمل إلى المخاطبة، على سبيل التعريض بهم، فيكون التعريض "أدخل في الإصناف والبلغ"⁽³⁾ لأنه يحق المقصود على سبيل التلطيف⁽⁴⁾ بهم، وهو التأثير في أنفسهم لقبول ما تهتف إليه الآية في استدراجهم إلى الإذعان والتسليم، فالتعريض يكشف عن سالمهم وما هم فيه من إجرام وتكذب عن الصراط المستقيم، ويثاب منتهم في صوره خفية لطيفة، فضلاً عما يدل عليه من محاسن أخلاق التكليم في الدعوة والخطاب وهو بوجه النفوس الجرمية للكفر والمعاصي والأثم فيتلطف معها هذا التلطيف لعلها تتأثر وتستجيب لما يدعوهن إليه من خير، فطلع عَمَّا هي فيه من إجرام وأثم.

لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ هذا القرآن على حقيقته لربطه غائطاً مضمناً بين حقيقته:

ورد هذا التنبيه في ليل القرآني، وهو قوله - تعالى - ﴿لَوْ أَنفَكْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَنِّ مَثَلٍ لِّمَثَلِ الَّذِينَ تُبْعَثُونَ﴾⁽⁵⁾

وبنية هذا ليل القرآني قائمة على الصور المجازي في سبب الحشوع والتصدع والحشية إلى الجبل الأصم، وليس من شأن الجبل أن يسمع ولا أن ينشئ والحشوع والحشية، كلاهما من أفعال القلوب التي لا تصدر عن جهاد، إلا أن يكون ذلك من صبح البيان إذ يست الحياة في الصخر الأصم⁽⁶⁾ والمعنى "أن الجبل لو كان عما يهي القرآن، ويعرف البيان، لسمع في سماه،

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن، 2 / 313.

(2) سورة سباء، الآية: 25.

(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن، 2 / 313.

(4) الكشف، 3 / 499.

(5) ينظر: البرهان في علوم القرآن، 2 / 313.

(6) سورة الحجر، الآية: 21.

(7) الأحجار البني للقرآن وسبل من الأوزق، ص 209. وينظر العمود الفنية في ليل القرآني، ص 160.

النفوس (24)

439

عاشياً من الله عاشياً له

فِي رُبِّ الْمَلِكِ بِالْقُرْبَةِ الْأَمَّةِ الْمَطْمَئِنَّةِ:

50

157

(17) تلخيص البيان في عجازات الأركان، ص. 330. ونظر: مرآة البحار، علم القرآن، 3/ 305.

(2) ينظر: الصورة الفنية في لسان العرب، ص: 322، 324.

(٢٠) الكتاب ٤ / ٤٥٥

(4) $\text{H}_2\text{O} + \text{H}_2\text{O} \rightleftharpoons \text{H}_3\text{O}^+ + \text{OH}^-$

(5) تلخيص البيان في عبارة واحدة أو جملتين.

وقد أكد الرغشري هذا بقوله: "وأما القلباس فقد شبه به لاشتراكه على اللابس كما عشى الإنسان والتيس به من بعض الحوادث سواء ألتصق بالفتحة على الجوع والجوع، فلكه لا وتغ عبارة هنا يمشى منهما ولايس، فكذلك قيل: فلكه ما عشيهم من الجوع والجوع⁴⁹⁷ فلي المثل" تتعامل استجابات الحواس فتضاعف حس الجوع والجوع ثم ولقعه وتأثيره، وتغلغل في القوس⁴⁹⁸ "لأنه واستجابات الحواس تتمثل في استعارة (اللونق) إذ تعمق درجة الاحساس ووطأة العذاب الذي عاينه هذه القرية⁴⁹⁹ لأنه كما عهد اللائق سرورة الشيء فهم في الاستمرار كذلك المشقة في الملائكة⁵⁰⁰

وهذا المطلب الأليم الذي يمشى أهل القرية ولايسهم كما جسده التصوير الاستعاري في المثل القرآني يمكن أن يفهم على أنه كتابة تمضية تستهدف في معناها التمضي بالبعد الحسن مكة وما يصيبهم من العذاب الأليم، إنما هي كثرت بالله وأعمه شأنها شأن الأمم السابقة، فغروب الله مثلاً على سبيل التمضي بمكة إنلأراً من مثل عاقبتها⁵⁰¹ بل يعكس أن يفهم المثل القرآني على أنه كتابة تمضية شاملة في معناها تشمل مكة وأهلها، فضلاً عن كل قرية أئعم الله عليها فكثرت بالله وأبهرتها النعمة في كل زمان ومكان. ولذلك يبقى المثل القرآني يشع بمعناه التمضي مثلاً بالانتماء والعذاب لكل⁵⁰² قرية تكفر بالله وأئعمه.

ومن خلال ما استعرضنا من الكتابات التمضية يتبين أن لها سمات فنية فهي تتناثر بالإيجاز في التعبير عن المعاني التي تهدف إليها، فهي تحقق معناها أولاً، ثم تصل إلى العرض أو المعنى البعيد الذي ترمي إليه من طريق المفهوم من السباق وقرائن الأسوال من غير أن تذكر الطرف المقابل للمرضى به، لذا نجد من الأساليب اللفظية التي غفيس بالأدب القرآني بما تحضه لغته الموهبة تقهراً للشأن، وصيانة للنفس الإنسانية من العبث والعيظ والإثارة المؤذية، ولذلك - أيضاً - يكون وقع المعنى مؤثراً وأثراً على أحداث الاستجابة النفسية المناسبة التي يقصد القرآن إلى إحداثها في النفس الإنسانية لتطبيقه.

(1) اكتشاف 2 / 498

(2) في خلال القرآن. 5 / 388

(3) فككت في إصدار القرآن، ص 90

(4) ينظر اكتشاف 2 / 497 وينظر تفسير الجلالين، ص 367 وينظر العمدة النبوية في المثل القرآني، ص 263

الفصل الثامن

كنايات عن يوم القيامة

كتابات عن يوم القيامة

ويستخدم القرآن في التعبير عن ذلك اليوم العظيم اللفظاً كتابية متضمنة، كل لفظ يحمل في نفسه من صفاته وأحواله، وكلها تشير إلى انقراض عقد هذا الكون للظهور، واختلال روابطه وفرواقه التي تمسك به في هذا النظام البديع الدقيق، وتكثر أجزائه بعد انفلاتها من قيد التنوير^(١٢) الذي يقبضها بقنطرة الله وإرادته. كما أن تعدد هذه الكتابات ولحمتها على صعيد واحد يقرب إلى الاحتمال والغروب على نحو من التوكيد أحوال ذلك اليوم وشذته على الكون والحياة والإنسان ثم حدث الاستجابة القصية التي يهدف إليها القرآن إذ للاحتفاء أن هذه الكتابات قد جاءت في سور مكية التي من أبرز أهدافها تأسيس أصول الدين الكبرى في التلويح والنفوس^(١٣) وهي توحيد الله ﷻ في الوحيته وديوبته للكون والخلق جميعاً، وفي مقدمتها الإنسان الذي كرمه الله إيماناً تكريمه وفضله على كثير من خلقه تفصيلاً^(١٤) لذلك كان من صفات السور المكية وبخاصة السور القصيرة منها أنها ذات أسلوب وإيقاع قريبين لشعيلين

(5) ينظر: سورة الأعراف الآية: 70.

في وتعهما يعملان على نزع القلوب بمشافتها التي تزويها^(١) منها هذه الكتابات التي ترد - على روم الأغلب - في مطالع هذه السور ثلاثت الانتباه لفتاً قوياً في تلقي المعاني والأصول الكبرى للدين الخفيف.

وَمَا يَتَصَلُّ بِهَذِهِ الْكُتَابَاتِ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كِتَابَاتٍ أُخْرَى تَعْلَقُ بِمَشَاهِدِ النَّاجِينَ وَالْمُحْشَرِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلشُّهُودِ. مَشْهُدُ النَّاجِينَ وَهُمْ أَصْحَابُ الْيَمِينِ الَّذِينَ يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِالْيَمِينِ، وَمَشْهُدُ الْمُدْمِنِينَ وَهُمْ أَصْحَابُ الشِّمَالِ الَّذِينَ يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِالشِّمَالِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ الظُّهْرِ. وَرِثَاءُ الْكُتَابِ بِالْيَمِينِ لِلنَّاجِينَ الْفَائِزِينَ، وَرِثَاءُ الْكُتَابِ بِالشِّمَالِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ الظُّهْرِ لِلْمُدْمِنِينَ الْخَاسِرِينَ. هِيَ كِتَابَاتٌ تُشِيرُ إِلَى الْمَعْنَى الْخَفِيَّةِ عَنْهُ الَّتِي يَقْعِدُهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَمَتَحَاوُلْ عَرَضُهَا بِمَدِّ حُرُوفِ الْكُتَابَاتِ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلِّ عَلَى حِدَةٍ بِالتَّحْلِيلِ الَّذِي يَكْتَشِفُ عَنْ الْمَعْنَى الَّتِي يَتَطَوَّرُ زِيَادَةً بِاصْطِلَاحِهَا إِلَى ذَلِكَ مِثْلًا.

الواقعة:

[illegible]

﴿وَكُنْتَ الْيَقِينُ﴾ المراد اليقينة، وصفت بالوفاة لأنها تنبع لا محالة لأي إذا وقعت اليقينة لا يذم من وفوعها، ووفوع الأمر نزل ⁴⁰

وقد عدل عن التصريح بلفظ «**الْبُكْرَةُ**» إلى الكتابة عنه بلفظ «**الْبُكْرَةُ**» لا لآيات مماثلا للآيات حسب، وإنما لآيات القواعد والفيل، وهو أنها مستطع لا محالة، وحسبة وقومها يشهد بها العقل الإنساني في دراساته العلمية والفكرية التي تركز سير العالم إلى نهاية محتومة ويرتبط على هذا الزمزم مشاهد محسوسة للناظرين بالآلة والمحاصرين الذين يُساقون إلى جهنم

(1) ينظر التفسير القسري في القرآن، بكري فسخ لسان، ص 252. وينظر التفسير البياني للقرآن الكريم، 1 / 79.

(2) صورة إلى العامة، الأمانة، 1.7.

(3) سورة طه، الآية 15.

(4) نظر الكتاب: 4 / 362

إن تصوير عن القيامة بالكتابة **﴿الرَّيْزُ﴾** تنقل فكرة البعث والنشور من دائرة الجدل إلى للسلطات ⁴³ وهي سطح وقمة صاعدة ليس لها رجعة ولا ارتداد ⁴⁴ في صورة كلها تهويل وتنظيم لثأنها، والتهويل يتجلى من لفظ، فهو بدأ بإداة الشرطية المحلوف جوابها، وحذف جواب **﴿إِذَا﴾** يخلق دلالة التهويل والتضخيم لاعتنا إذ يترك خيال الخلفي ونفسه أن يلجأ في تخيله وتصوره كل ملعب وكأله - جواب إذا المحلوف - لا تحيط بوصفه الألفاظ والمعارف أو ليس لها طاقة تعبيرية عما سيحدث ويقع ⁴⁵ خلافاً عن أن لفظ الكتابة **﴿الرَّيْزُ﴾** في حد ذاته يفيد المعلوم والشعور والمباشرة والمباشرة في إثبات للمنى وصورته، وذلك لأن لفظ الكتابة من الأسماء التي حتمت بناء التأنيت فانتقلت من الوصفية إلى الأسمية، لذا كانت أغلب أسماء الحشر مؤنثة كالقارعة والحاقة والظامة والمباعدة إما فيها من المعلوم والشعور والمباشرة والظهور ⁴⁶ والتضخيم في **﴿الرَّيْزُ﴾** تعريف الجنس لتمييزها من بين الأجناس لأن في استحصاله زيادة تهويل لأنه حقيق بالظنير ⁴⁷

وتصاعد دلالة تهويل **﴿الرَّيْزُ﴾** وتضخيمها بذكر **﴿إِذَا﴾** الشرطية دون ذكر جوابها **﴿إِذَا نَسُفُ الْأَرْضُ نَسْفًا﴾** **﴿وَنَسُفُ السَّيِّدَاتِ نَسْفًا﴾** **﴿وَنَسْفُ الْأَرْضِ نَسْفًا﴾** **﴿وَنَسْفُ السَّيِّدَاتِ نَسْفًا﴾**

وما ذكر من أحداث وأحوال من روح الأرض ومن الجبال وجعلها حياة منبثاً هو بمثابة مقدمة مروعة سيكون فيها، فهو للتهويل والتنظيم لثأنها، فضلاً عن أن الجرس الموسيقي للفظ الكتابي **﴿الرَّيْزُ﴾** يتناسب مع سياق التهويل والتضخيم ويخلق خلية، فـ **﴿الرَّيْزُ﴾** يمتثلها ويجرس اللفظ ذاته، بما فيه من مد لم يكون يتوسطها حرف الفاء من حروف الحلق المعروفة

(1) ينظر سورة الواقعة وسببها في الخلاف، صمد فرج، ص 27 وأريد من التفصيل في توضيح الآلة البلية والأعلاية والاحتمالية التي تدل على حبة وتروح الواقعة تنظر المصنفات 17 وما بعدها من المرجع نفسه.

(2) ينظر الكتاب: 4 / 363.

(3) حذف جواب إذا في القرآن بشكل طاعة بلائية معروفة في سياق يوم القيامة وهي لخلق إيماناً وبلائية في التعبير، ينظر الخلفي في ضوء أساليب القرآن، ص 348.

(4) ينظر معالي الأبيات في العربية: 122، 123، والمغرب يستعملون التأنيت دلالة على المباشرة في الفتح، ينظر: تفسير الصمد والفتوى: 22 / 159.

(5) ينظر فتح الصمد والفتوى: 27 / 159.

بضخامة صوتها وشدة وقعها في السمع وفي النفس تُلقي في الحس كأنها هي ثقل ضخم يتلفس من علي ثم يستقر، أمير ما زحزحة بعد ذلك ولا روال⁴⁰ على أن أجلى إيماء لكتابة ﴿الْقِيَمَةُ﴾ هو حتمية وقوعها، لذلك قال بعدها ﴿يَتَّبِعُهَا كُفْرًا﴾ لتأكيد ذلك المعنى وترسيخه في اللبس والحس. فهي لابد والعماء، كان طبيعتها وحقيقتها الدالة أن تكون والعماء، فهي ذات إيماء مقصود في صلبه الإرتباب فيها والتكذيب⁴¹

القائمة:

وردت الكتابة ﴿الْقِيَمَةُ﴾ في قوله - تعالى - : ﴿الْقِيَمَةُ ﴿مَا الْقِيَمَةُ﴾ ﴿وَمَا الْقِيَمَةُ﴾ ﴿أَنزِلْهُ مَا الْقِيَمَةُ﴾ ﴿يَوْمَ يَكُونُ الْكُفْرُ سَفَا الْقِيَمَةِ﴾ ﴿وَيَكُونُ الْإِيمَانُ سَفَا الْقِيَمَةِ﴾ ﴿الْقِيَمَةُ﴾⁴²

﴿الْقِيَمَةُ﴾ كتابة هي ﴿الْقِيَمَةُ﴾ ، ولقد عدل عن التصريح بلفظ ﴿الْقِيَمَةُ﴾ إلى الكتابة بلفظ ﴿الْقِيَمَةُ﴾ لا لآيات ذلك المعنى للقيامة، وإنما لآيات شامدة ودليله، وهو أنها تقرر الغروب وترجعها بأهولها، وذلك نصيحاً لآيات القِيامة في العوض⁴³ ولفظ الكتابة ﴿الْقِيَمَةُ﴾ في حد ذاته يفيد العموم والشمول والشدّة والفهر في آيات معناها، لأنها من الأسماء التي عجت بناء التأنيث فانتقلت من الوصفية إلى الأسبهة والكتابة ﴿الْقِيَمَةُ﴾ ليست وصفاً لكل ما يشرح وإنما هو اسم لهذا اليوم المخصص⁴⁴ كما أثار التعريف غيراً لها من غيرها، فهو يوم القيامة الذي لا يحيط بوصف أحواله المعنوي والتصور، لذلك فإن السياق يفهم من شأن يوم القيامة ويؤكد وعظمته بالاستفهام والتكرار. ﴿الْقِيَمَةُ﴾ ﴿مَا الْقِيَمَةُ﴾ ﴿وَمَا الْقِيَمَةُ﴾ ﴿وَمَا الْقِيَمَةُ﴾ ، فهو الأمر العظيم الذي يُشير التساؤل، ثم أجاب بسؤال التجهيل ﴿وَمَا الْقِيَمَةُ﴾ ولم يُجب عن ما حية ذلك اليوم وحقيقته، فهو فوق النصور والإدراك أجاب بما يكون فيه ﴿يَوْمَ يَكُونُ الْكُفْرُ سَفَا الْقِيَمَةِ﴾ ، وهذا

(1) ينظر في قتال القرآن 1 / 494.

(2) ينظر المصدر نفسه، 8 / 253.

(3) سورة القارعة، الآيات 1، 5، وينظر صورة الحائكة، الآية 4.

(4) علم البيان، د. عبد العزيز حقيق، ص 233.

(5) ينظر: معاني الآنية في العروبة، ص 122.

الأسلوب الذي يتعمق من شأن يوم القيامة ويعظمه هو المحو في كتابات يوم القيامة للروح للفرع.

على أن أبجل إجماع للكتابة «الكتابة» أنها تفرع للقلب والأسماع بفنون الأحوال والأزواج⁽¹⁾ وتفرع الكون بالمدار والتمظيم، ويعنى هذا الإجماع الحرس اللوسيلي للبحث من حروف لفظ «الكتابة» الفلك والراء والعين للمرونة بقوتها وشكلها، هذا فضلاً عن المد في صوت الألف.

وأصل الفرع: «الفرع» بقوة، تقول العرب: فرعتهم الفارعة وفرعتهم لقائقة، إذا وقع بهم أمر عظيم⁽²⁾ وردت «فرعة» (فرعة) ولا يزال كثر: كثر ما شيعهم وما ستنوا فرعة أو كثر في ما بين كثرهم حتى لا يعد كثر إلا كثر لا يحول اليعة⁽³⁾ «فرعة» كتابه عن أمر عظيم يقع بهم، وتذكير الكتابة «فرعة» يدل على العموم والشمول في المعنى، قال الفرغري: «توبيخهم وما ستنوا» من كفرهم وسوء أفعالهم «فرعة» تلعب لتفرعهم بما يحمل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والصلب في فوسهم ولولا دمهم ولولا دمهم «أو كثر» القارعة «فهي» منهم فيزحرون ويظهرون ويظهر إليهم شرارها، ويتعدى إليهم شرورها⁽⁴⁾.

فهي ذات معنى شامل وصفاً لكل ما يفرعهم ويصعبهم من صنوف البلايا في حياتهم الدنيا بسبب كفرهم وسوء أفعالهم، وبهذا التذكير للكتابة تفرق في دلالتها عن «الكتابة» بهذا التصريف في دلالتها للضميمة ليوم القيامة، فهي ليست وصفاً لكل ما يفرع، وإنما هي اسم ليوم القيامة على وجه التخصيص وعلى الرغم من اشتراكها في دلالة المصطلح إلا أن «فرعة» خاصمة للوصف والتصوّر، أما «الكتابة» فإنها لا تنحصر للوصف والتصوّر لوحدها وعظيم شأنها بلعب الخيال في تصوّر شأنها كل ملعب، فهي تفرع للرب أناس جميعاً وتفرع الكون بالمدار والتمظيم، فيضاد لزاماً كل حوله أو قارعة تفرع أناس وتفرعهم في حياتهم الدنيا. فمن شأن الكتابة «الكتابة» بالمراد العظيمة التي لا يبيد بها الوصف أن

(1) ينظر تفسير في السجود 9 / 192

(2) منزهة القامير 1 / 295، وينظر لسان العرب 8 / 265 (فرع)

(3) سورة القارعة، من الآية 31

(4) الكشف 2 / 413

الثالث به: ﴿يَذْكُرُهُمْ رَبُّهُم مَّا كَانُوا فِيهِ﴾ ¹⁰ قال الزخسري: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ مهم لا يشغله بما هو منفرغ إليه، ولعلهم أنهم لا يتنون عنه شيئاً وبدأ بالآخر، ثم الأبوين لأنهم أقرب منه، ثم بالصاحبة واليتيم لأنهم أقرب وأحب، كأنه قال: يقر من الغنى، بل من الجوده، بل من صاحبه يتيه ¹¹ على سبيل ذكر الخاص بالخاص.

وأجلى إيماء للكلمة (الكلمة) في الصف في أحوالها الناقلة لمخارقة فتنهم آذان الناس
بذوايعها المشددة، فتقطع الروابط والشائج بين أثروب الناس صلةً ورحماً لتفتي في الحس
إلى جنان تيمة ما يحصله الاتسان عوداً من الوثائج والصلوات إلى صلبه بالله ﷻ وتواء

الْمَدَامَةُ الْكُبْرَى:

بأبي الطامة الكبرى كتاباً من يوم القيامة في قوله - تعالى - ﴿فَكَيْفَ أَتَقَاتِلَ الْكُفْرَ﴾^{١٥}
عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ مَأْسُومٍ ٢٥

وقد حذر القرآن من التصريح بلفظ **«الْبَيْتِ»** إلى الكتابة **«الْبَيْتَةُ الْكُبْرَى»** لآيات تشاهد لها والدليل، وهو أنها تطم بتوابعها على التواهي فتم وتعلم، فهي **«الْبَيْتَةُ الْكُبْرَى»** ليست وصفاً لكل طائفة تأتي بالأمور الخاطلة التنظيمية، وإنما هي اسم لذلك اليوم العظيم على وجه التخصيص الذي لا يتمكن معها العقل والإدراك تصور طوموها قال ابن عباس (رضي الله عنهما): «هي القباية سببت بذلك لأنها تطم على كل أمر حائل مفتح»^{٥٥} وقال الزهري: **«الْبَيْتَةُ»** القباية التي تطم على الدواهي، أي قبلو وتغلب، وفي أمثالهم جرى الوادي تطم على الأروى يعني القباية لطمومها على كل حائلة^{٥٦} ويشاء الكتابة وجربها للوسلي يمزجان هذا لثنى وثباته لصيغة الكتابة **«الْبَيْتَةُ»** تدل على العموم والشمول والشملة والبالغة لأنها من الأسماء التي خصت بهما التأثير لتقبلت من الوصفية إلى الأسمية لله فادات هذه الدلالة فضلاً عن وضعها بالكبرى **«الْبَيْتَةُ الْكُبْرَى»** لتعزى هذه الدلالة ولتمييزها عن أية طائفة

(1) ينظر: مشاهد القيامة في القرآن، ص 63-64.

(2) كتاب 4 / 333-364

(3) موزة الخضراوات 35.34

(d) عدم القرآن العظيم، 4 / 470.

(5) افسانہ 4 / 357

(6) معاني الألف في العربية، ص 122، 123.

تاجلي إيماء للكتاب **«تفكك الكون»** الذي يبرر من خلال سياق الآيات وتجلي فضل
من طم كل شيء بما فيها السموات والأرض وطم كل أمر عاقل منقطع، هو أنها تطم ذلك
الطام الموقوت الذي يفتقر به الإنسان ليليه عما خلق له وطمبه، فما أصرى بالإنسان أن يتذكر
أن حياته الدنيا قبل مجيء الطغاة الكبرى حين لا يتم التذكر.

(4) في حالة الفشل: 400 / 3

الغاشية:

روى **(التنوير)** كتابه عن يوم **(اليوم)** في قوله - تعالى - **(هَلْ أَنتُمْ حَكِيمٌ أَلْمُنُونُ)** ⁽¹⁾

(التنوير) كتابه عن **(اليوم)** وقد عدل القرآن من التصريح بلفظ **(اليوم)** إلى لفظ **(التنوير)** لأبقت شامعاً ودليلاً، وفي ذلك تنظيم لما في القلوب والنفوس، فالكتابة دالة على أنها تفتي الناس بمطلبها وتلبسهم أحوالها

فالكتابة آيات غدا الترخ من حجاب يوم القيامة على سبيل التخصيص، قال الرشدي، **(التنوير)** الغاية التي تفتي الناس بشفاعتها وتلبسهم أحوالها، يعني **(اليوم)** ⁽²⁾ والسباق يعني ملابس المذاب وجوه الكافرين وعاطفة لما على نحو من التوسل الذي يفيد الاستظهار بـ **(هَلْ)** **(هَلْ أَنتُمْ حَكِيمٌ أَلْمُنُونُ)** إذا بلغت الاستظهار الانتباه لنتائج الاستماع خبرها، والاطلاع على شأنها، وفي ذلك تنظيم لثباتها وتضميم له، والخراب من هذا الاستظهار الذي يبال من **(التنوير)**، يعرفه السباق تشبيهاً، فنلحظ في جانب منه كيف يرسم حجاب **(التنوير)** على وجوه الكافرين في لطف ⁽³⁾ فهي وجوه خاضعة ذلاً وإرهاقاً **(يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا نَجْوَاهُمْ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا فِي أَلْمُونٍ)** ⁽⁴⁾ بالغة الحرارة لا تبرد ولا تروى **(يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا نَجْوَاهُمْ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا فِي أَلْمُونٍ)** ⁽⁵⁾ فهي لطعم من شوك تراء الأهل إذا كان رطباً وتعاونه إذا جفأ، لمجتمع على ذلك الوجوه حجاب الروح بالليل والحزني، فضلاً عن حجاب البدن بالصب والخنز، إلى حجاب القسا والطرى، والشراب والطعام بما هو أشد من القسا والطرى. وفي الجلب الآخر نلاحظ ما يماثل هذا على سبيل التضاد ميم المؤمنين في يوم **(التنوير)** وهو يرسم على وجوههم **(يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا نَجْوَاهُمْ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ كَانُوا فِي أَلْمُونٍ)**

(1) سورة الغاشية، الآية: 1.

(2) الكشاف، 4 / 392 وينظر تفسير القرآن العظيم، 4 / 503

(3) الآية: 2.

(4) الأمل، 3. حكمة غاشية تد حيلت صلاً كثيراً ونهبت فيه وصليت يوم القهارة ماراً حافية.

ينظر تفسير القرآن العظيم، 4 / 503.

(5) الآية: 3.

وقال الزخشري: ﴿فَإِنَّ الْآيَةَ﴾ قرئت للوصولة بالقرب في قوله - تعالى - ﴿فَلَقَرْتُمْ كَذِبًا﴾⁽¹⁾ فهي قد قرئت كاسم جارية، وهي الطامة والطارعة التي جاء البليغ بغيركم إياها أو هو المذاب الذي لا يعلم إلا الله نوره وموعده، ولا يملك إلا الله كشمه ودلعه ﴿فَإِنَّ لَهَا مِنْ شَرِّهَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾⁽²⁾

فاجلإ إيمان للكتابة ﴿الْآيَةُ﴾ هو قرب لزونها بكل أحوالها وشئانها التي صورتها الكتابات السابقة، فهي الطامة والطارعة والخافية والظاهرة ولكن السياق هنا يبرز إيمان قريها وسرعة وقوعها لأنه إنذار ومخبر من المذاب والملاك الذي حل بالأقوام العاصية قوم لوح وعاد ونمود ولوط، يذكر به ويُسلر ﴿وَقَدْ أَقْبَلْنَا عَلَى الْآيَةِ﴾ ﴿نَاسِرًا لَا يَخَفُ﴾ ﴿وَمَنْ يُجِبْ يَنْ يَدَّ يَدَهُ بِمَنْ يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ وَثِيمٌ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿يَكُونُ تَكَاثُفًا يَكْتُمُونَ﴾ ﴿كَذَلِكَ يَنْ لَكُنَّ الْآيَةَ﴾ ﴿فَإِنَّ الْآيَةَ﴾⁽³⁾ فغلب السياق أن يكون الإنذار بعذاب القهامة بلفظ الكتابة ﴿الْآيَةُ﴾ في الإنذار على الإنذار الشاهد بقرب وقوعها.

الرافعة والرافعة:

وردت هاتان الكتابتان اللتان تصوران على غير شديد ما يقع من الحول والاضطراب في الكون يوم القيامة في قوله - تعالى - ﴿يَوْمَ تَكُونُ الْكُفَّةُ﴾ ﴿تَكُونُ الْكُفَّةُ﴾ ﴿تَكُونُ الْكُفَّةُ﴾ ﴿تَكُونُ الْكُفَّةُ﴾⁽⁴⁾

﴿الْآيَةُ وَالْآيَةُ﴾ كتابتان، وقد ورد لهما أكثر من معنى فحصله الكتابتان في أداء التفرغ المقصود منهما، قال الزخشري: ﴿الْآيَةُ﴾ الواقعة التي ترفع عندها الأرض والجبال، وهي النسخة الأولى وصحت بما يحدث بحدوثها ﴿تَكُونُ الْكُفَّةُ﴾ أي الواقعة التي ترفع، الأولى، وهي النسخة الثانية ويور أن تكون الرافعة من قوله - تعالى - ﴿قُلْ هِيَ لِي يَوْمَ تَكُونُ الْكُفَّةُ﴾ ﴿تَكُونُ الْكُفَّةُ﴾⁽⁵⁾ أي ﴿الْآيَةُ﴾ التي يستعملها الكفرة استبعاداً لها، وهي رافعة لهم لا تقرأها.

(1) سورة القصص، من الآية: 1

(2) التكاثر: 4 / 33

(3) في خلال القرآن: 7 / 33

(4) سورة التهم، الآية: 50-52

(5) سورة التنازع، الآية: 6-5

(6) سورة النمل، من الآية: 72

وقيل: ﴿يَوْمَ تَجُثُّ الْأَرْضُ وَكُلُّهَا﴾ الأرض والجبال من لونه ﴿الْأَزْيَّةُ﴾⁽¹⁾ و قد ج. السماء والكواكب، لأنها تتشقق وتشتت كواكبها على أثر ذلك⁽²⁾

وفي ضوء ذلك نلاحظ أن المعنى للكسبي عنه بلفظ الكتابة ﴿الْأَزْيَّةُ﴾ هو

- الواقعة بوجهي (النسخة الأولى) للحدث العظيم (يوم القيامة) ووصفت بالرجفة بما يحدث بوقوعها وهو رجفان الأرض والجبال والأحياء جميعاً

- الأرض والجبال، ويمرر هذا للمعنى، قوله - تعالى - ﴿يَوْمَ تَجُثُّ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾.

ونلاحظ أن المعنى عنه بلفظ الكتابة ﴿الْأَزْيَّةُ﴾ هو:

- الواقعة، وهي (النسخة الثانية) التي تُعرف (النسخة الأولى)، ويمرر هذا للمعنى لونه

_____ ثم قال ﴿وَيُخَوِّضُ فِي كُتُبِهِ قُسُوفٌ مِّنْ لِّكُتُبِكُمْ وَتَرَى فِي الْأَرْضِ يَوْمَ تَكُونُ الْخُلُوفُ كُلُّ نَبْهٍ مُّشْتَرِكٍ كُلًّا مِّمَّنْ قَدِمْ يُخْرَجُونَ﴾⁽³⁾

- سماء يومها أي تُعرف الأرض وما عليها فتنبها في السحاب والاشفاق وتشتت كواكبها على أثر ذلك.

- قيامه، التي يستعملها الكفرة استبعاداً لها، وهي رادقة ثم لا تترابها

وفي ضوء هذا للمعنى للرادقة تكون ﴿الْأَزْيَّةُ﴾ مقدمة لوقوع الحدث العظيم ﴿الْيَوْمِ﴾.

ويمكن أن نفهم ﴿الْأَزْيَّةُ﴾ على أنها كتابة من يوم القيامة، ووصفت بالراجفة بما يحدث بوقوعها من رجفان الأرض والجبال وزلزلاتها واضطراب نظام الكون والأحياء جميعاً، وكل هذه

مظاهر تنبئ عن شدة ذلك اليوم العظيم الذي يُلَاقَت فيه الناس بالرجفة، كما أن

الاستعارة لفظي للكتابة ﴿الْأَزْيَّةُ﴾ إذ استدل الرجف إلى الأرض نفسها والأصل أنها مرجوفة لا راجفة بل تصحق بهذا الاستدلال ما لا يدري معها الإنسان يوم ﴿الْيَوْمِ﴾ من أين جاء الرجف، وفيه تركيز للانتباه إلى أشد الرجفة⁽⁴⁾

(1) سورة الفازل، من الآية: 14

(2) التفسير: 4 / 554

(3) سورة الزمر، الآية: ٥٥

(4) ينظر: التفسير، الثاني للقرآن: 1 / 101

ولما ﴿الْأَيُّمَةُ﴾ فيمكن أن نفهم على أنها كتابة عن كل ما يتبع الرجفة من بشرة ما في القبور⁽¹⁾ للحشر والحساب، ويقوي هذا الفهم أنه يتصل بما بعده ﴿قُلُوبٌ يَّتَذَكَّرُكُمْ﴾ ﴿أَنْتُمْ كُنْتُمْ كُنْتُمْ﴾.

ومن شأن هذه الأحداث التي مستع يوم ﴿الْيَوْمِ﴾ أن يحس القلب البشري معها بالزلزلة والرجفة والحول والاضطراب، وأن يهتز عزة الحروف والوجيل والرحب الذي لا نبات معه ولا قرار، ويدرك ويس حقيقة قول الله ﷻ ﴿قُلُوبٌ يَّتَذَكَّرُكُمْ﴾ ﴿أَنْتُمْ كُنْتُمْ كُنْتُمْ﴾ ليس شديدة الاضطراب، يرسم الحشر في أبعارها فيشير إلى ذلك والحرف والانتكاس والانهيار⁽²⁾ ويصل إلى التناسب الفني في التعبير الكتابي ﴿الْيَوْمِ﴾ مع القلوب والرجفة والأبصار الحاشدة، مما يجعل في شديدة الاضطراب⁽³⁾ و﴿كُنْتُمْ﴾ أي ذليلة⁽⁴⁾ مما عانت من أهوال ﴿الْيَوْمِ﴾ التي يوجب عنها كل شيء واضطراب، ولكل الحروف والرحب فيرسم على الأبصار استسلاماً وذلةً وانتكاساً.

ومن خلال ما سبق من كتابات من يوم ﴿الْيَوْمِ﴾ كتبت مبان وإعدادات تصف هذا اليوم العظيم الذي يحدث فيه ذلك الانقلاب الكوني الرحب بأهواله العظيمة، وبفضل هذه (الكتابات) بصفتها المتصلة بقرب ذلك اليوم إلى العقول والقلوب، ولأن فإن حقيقته ومادته لا يحيط بها العقل والإدراك البشري.

على أن القرآن الكريم يقدم تعابير كتابية أخرى تصور شدة ذلك اليوم وتكرهه على الكافرين في مشهد يوم ﴿الْيَوْمِ﴾ من ذلك.

الكشف عن الصانع:

ورد هذا التعبير الكتابي في قوله - تعالى - في مشهد من مشاهد يوم القيامة ﴿يَوْمَ يُكَلِّمُنَا رَبِّي وَيَذَرُهُنَّ الشُّجُورَ وَيَذَرُهُنَّ الْمَشَاعِرَ﴾ ﴿يَوْمَ يُكَلِّمُنَا رَبِّي وَيَذَرُهُنَّ الشُّجُورَ وَيَذَرُهُنَّ الْمَشَاعِرَ﴾⁽⁵⁾

(1) ينظر: المصدر نفسه، 1 / 132.

(2) ينظر في طلاق القرآن: 8 / 441.

(3) اكتشاف، 4 / 554.

(4) تفسر: 4 / 554، وصورة التفسير، 3 / 514.

(5) سورة التام، الأمان، 43، 42.

﴿يَوْمَ يَكْتُفَىٰ كُلُّ عَمَلٍ بِكُتَابٍ﴾ كتابة من الشدة وعمومية الخط، إذ يشد الكروب والضيق على هؤلاء المتكبرين الذين يدعون إلى السجود - هناك - فلا يستطيعون.

كتابة الكشف عن السابق - كُنْ في شدة الأمر وعمومية الخطب ⁽¹⁾ الذي يُلْكَاهُ الكافرون يوم القيامة، وليس هناك ساق ولا كتف من السابق كما تقول للأقطع الشحيح. هذه مغالاة، ولا يد له ولا خلق، وإنما هو كتابة عن الجحش أو أراد الله بهذا التعبير الباطنة في حسابهم، وإعادتهم وحقوقهم، فالكتابة نقل على أمر مبهم في الشدة مكر خارج عن المألوف، كأنه ليل يوم يقع أمرٌ طغيحٌ حائل ⁽²⁾ والأصل في الكتابة أي من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجِدِّ سُرَّ من سألَه ⁽³⁾ لجعل لكل أمر قطع ⁽⁴⁾ وكان من عادة العرب أن يقولوا لكل من يحدُّ في أمر ويألف فيه (كشف من سألَه) وأصل هذا التعبير، أن من يحدُّ في عمل من الأعمال سواء أكان حرباً أم غير حرب، فإنه يشرُّ من سألَه حتى لا يعوقه من الجِدِّ وسرعة الحركة. كما نقول اليوم، فلان سُرَّ من ساعد الجِدِّ، وإن كان لا يرتدي قميصاً بالحمام، صبر في الكتابة باللائم وهو الكشف عن السابق، وأراد ما زومه الجِدِّ والاحتسام بالأمر ⁽⁵⁾

فالكتابة لجسِّ المعنى النفسي وهو شدة الكروب والضيق الذي فيه الكافرون المتكبرون في صورا حسية مؤثرة، ولوق كرههم وضيقهم لأنهم يلقون التوبيخ والتبكيت ﴿وَيَذَرُونَهُ إِلَىٰ أَعْيُنِنَا لَعَلَّهُمْ يَحْسَبُونَ﴾. فدهوتهم إلى السجود في يوم القيامة الذي يشرُّ فيه من الساعد ويكشف فيه عن السابق يشرُّ إلى تبيكتهم وتوبيخهم، فقد فأت لأن السجود، وهم لا يملكون السجود ولا يستطيعون إما لفوات الوقت المناسب، وإما للوهول الذي ينشأهم ويهزجهم عن الجرائد، وهم غاشقون غشوق اللذة، وقد كانوا يأتون غشوق العبادة ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ لَكَ آيَاتِنَا لَعَلَّكَ تَعْقِلُ﴾ فالتميز الكتابي فحلاً من الآيتين اللتين تشكل لهما يشرُّ إلى الكروب والضيق والمجز والتوبيخ والتعدي الشديد ⁽⁶⁾

(1) الكتاب، 4 / 475.

(2) ينظر الكتاب، 4 / 476، 477. وينظر القرآن إسماعيل، ولافند، ص 221، 222.

(3) الجمع لأحكام القرآن: 18 / 349.

(4) القرطبي، 363، 658، 651.

(5) القرآن إسماعيل، ولافند، ص 222.

(6) ينظر في خلال القرآن، 2389. وينظر مشاهد القيامة في الترتك، ص 5.

جمل الولدان شيئا:

تصور هذه الكتابة لأحوال يوم ﴿الْيَوْمَ﴾ وشكله، أحوال تثيب منها الولدان، وتظهر منها السماء، وذلك في قوله - تعالى - ﴿كَذَٰلِكَ تَتْلُوْنَ أِنْ كُنْتُمْ بِمَا يَسْتَلِ الْوَلَدَ ذِيَا أَلْسِنَةٍ مُّتَكَلِّمِينَ ۖ كَانَ يَوْمَهُ تَتْلُوْنَ﴾⁽¹⁾

﴿يَسْتَلِ الْوَلَدَ ذِيَا﴾ كتابة ترمز في معناها الحقيقي الشيب في نواصي الأطفال في ذلك اليوم، وهي صورة تشير إلى المضي المكثي حته وهو شدة ذلك اليوم بأحواله، قال الرهشري: كيف تلقون أنفسكم يوم القيامة وحوله، إن بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا ﴿يَسْتَلِ الْوَلَدَ ذِيَا﴾ مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يومٌ يشيب نواصي الأطفال. الأصل فيه أن المعلوم والأحزان إذا تقاطعت على الإنسان أسرع به الشيب⁽²⁾، وهي شكله وأحوال عظيمة بأحزانها وعمومها كما يشير تشكيل الكتابة شيب الولدان دون غيرهم، فالولدان كما هو معلوم أقلّ تحسُّباً بالمصوم والأحرار والشكله، فأولام الشيب في رؤوسهم بشكل صورة خربة مشيرة، تشير إلى غربة ذلك اليوم في شكله وأحواله، فهي لا تشبه أحوال الدنيا وشكلها، هي شكله وأحوال عظيمة يشيب لها الولدان فكيف بالرجال؟ وتظهر منها السماء على عظمتها وإحكامها ﴿أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ﴾ وعلى الخيال أن يتعلّى هذه الصورة المروحة فإنها تظهر شكله من ذلك اليوم للظلم الذي لا ريب فيه ولا مفرّ منه ﴿كَانَ يَوْمَهُ تَتْلُوْنَ﴾

وبما يتصل يوم ﴿الْيَوْمَ﴾ من مشاهد، مشهد أصحاب اليمين، وهم المؤسرون المتاجرون الذين يُلَاقون كتبهم بالهائم، لهم أهل الثواب يصعبهم القرآن بالتميز الكتابي ﴿أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾، ومشهد ﴿أَلَسْتُمْ أَتَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾ لهم الكافرون المعثون الذين يلقون كتبهم بشمائلهم أو من وراء ظهورهم، وهم أهل المذاب يصعبهم القرآن بالتميز الكتابي ﴿أَلَسْتُمْ أَتَعْلَمُونَ﴾. وبما في الشهدان على سبيل التنازل، وذلك حتى يبرز مشهد كلا المصنفين، وتتمشّق - على سبيل التضاد - دلالتهما في الحسن والوجدان بين مصير هؤلاء وحولاء.

(1) سورة الزمر، الآية 17، 18.

(2) الكشاف، 4 / 513.

(3) سورة الفجر، من الآية 39.

(4) سورة الواقعة، من الآية 41.

ونحن إذ نعرض هذه الكتابات نقينا لا مدعي حقيقة الكتاب ولا كيمية آيات باليمين أو بالشمال أو من وراء الظهر وإنما نحلي القرآن الكريم حقيقة (الحجة) من وراء آيات الكتاب باليمين، وحقيقة (الحلا) من وراء آيات الكتاب بالشمال أو من وراء الظهر، وهذا حقيقتان لتعود أن تستقيهما كما اعبر بهما القرآن الكريم⁽¹⁾

أصحاب اليمين:

يستعمل القرآن هذا التعبير كثيراً من موعود الدلالة على المؤمنين الناجين من الملأ لهم أهل الجنة والثواب، من ذلك قول - تعالى - ﴿وَالَّذِينَ كَانَتْ يُوبِخُونَ أَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّا كَذِبَةٌ ﴿١٠٠﴾ إِنَّا كَانُوا أَتَيْنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ إِنَّا كَانُوا أَتَيْنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّا كَانُوا أَتَيْنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٣﴾ إِنَّا كَانُوا أَتَيْنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٤﴾ إِنَّا كَانُوا أَتَيْنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٥﴾﴾⁽²⁾ وهم ﴿أَتَيْنَ الْكَافِرِينَ﴾⁽³⁾ أي، اليمن والبركة⁽⁴⁾ وقال الغزالي في: ﴿أَتَيْنَ الْكَافِرِينَ﴾ عدة أحوال

- الذين يؤتون صحابهم بآياتهم.

- أصحاب المنزلة السنية، من قولك: فلان مني باليمين إنا وصفه بالرفعة

- أصحاب اليمين، لأن السعداء يمين على أنفسهم بطاعتهم.

- أصحاب اليمين هم الموجهون في الجنة ذات اليمين⁽⁵⁾

وأورد الرازي في ﴿أَتَيْنَ الْكَافِرِينَ﴾ ثلاثة أحوال.

- الذين يؤتون صحابهم بآياتهم.

- أصحاب القوة.

- أصحاب النور⁽⁶⁾ لقوله - تعالى في الآية الثامنة من سورة التجميم ﴿وَلَا تَقْرَأُ

بِهِمْ الْقُرْآنَ وَلَا تَسْمَعُ

(1) ينظر في ظلال القرآن 8 / 519

(2) سورة الفجر، الآيات 38-48. ونظر سورة الواقعة، الآيات 8-18، 27، 38، 39، 91

(3) ينظر التفسير الكبير 29 / 142، والقرطبي 533

(4) سورة الواقعة، الآية 8.

(5) ينظر: تفسير الصمير والفتوى: 27 / 285

(6) الكتاب 4 / 363

(7) التفسير الكبير، 29 / 142، 143.

ومن خلال الجمع بين هذه الأقوال في ﴿أَحْسَنَ قَبِيْرٍ﴾ يتبين أن المؤمنين يأخذون نتيجة الحساب كتاباً بأيامهم، فيحسبون التعميم والقراب، فتكون منزلتهم حسنة، ومكانتهم مرموقة⁽¹⁾ وهو للمعنى الذي يفهم من وراء لفظ الكتابة.

وكانت الحرب تفاعل باليمان، وتطير من المشائم، وتزجر على السائح، وتبكر به، وتكمره البارح، وتشتاق به⁽²⁾، وتشتاق. قال ولاك يامنه، والبارح ما ولاك مياسره⁽³⁾، واليمن البركة⁽⁴⁾، وقال: فلان ميمون النية، إذا كان ميمون الأمر، يجمع فيما حاول ويظفر به⁽⁵⁾، ومن الجواز هو عتبه باليمن، أي: يتركه حسنة⁽⁶⁾.

واليمن أيضاً: القوة، قال الشاعر

إذا ما رايةً دُعيت لِنَجْدٍ — تَلَقَّاهَا حُرَابُهَا بِالْيَمِينِ⁽⁷⁾

قال المبرد: قوله: تلقاها حراية باليمن، قال أصحاب المعاني: معناه بالقوة، وقالوا: مثل ذلك في قول الله ﷻ ﴿وَأَكْثَرُكُمْ تَطَهِقٌ بِبَيْبَعٍ﴾⁽⁸⁾.

وللسرخ استعمال (اليمن) للدلالة على القوة على سبيل الجواز المرسل هو حلاقة السبية، فاليمن سبب القوة، أو الآلية عند عدة من اللفظين على اعتبار أن اليمن آلة القوة.

وذكر عبد القادر الجرجاني أن الناس يقولون للرجل إذا أرادوا حله على الأمر وإن يأخذ فيه بالجد: أخرج منك اليمنى. وذلك أنها أشرف اليدين والقوامع التي لا غناء للاخرى دونها، فلا شيء إنسان بشيء إلا بدأ يمينه ليهيئها لتيهه، ومنه ما قصصوا جعل الشيء في جهة

(1) ينظر: كتاب القراب في القرآن الكريم، ص 304-305.

(2) الكامل: 1 / 189.

(3) لسان العرب: 2 / 490 (منج).

(4) المصدر نفسه، 14 / 458 (ين).

(5) إصلاح للفظ، لين التكملة، ص 335.

(6) أساس البلاغة، ص 514 (هن).

(7) نمرود البلاغة، ص 309. ينظر: لسان العرب، 13 / 461 (هن).

(8) سورة الزمر، من الآية: 67.

(9) الكامل: 1 / 36. وينظر: نمرود البلاغة، ص 310.

العتابة جعلوه في اليد اليسرى⁽¹⁾ وعلى هذا فاليمين ارتبطت دلالاتها بالخير والبركة والسعادة والقوة والعتابة⁽²⁾ وهي المعاني والظلال التي تشير إليها كتابة ﴿أَحْكَمْ الْيَمِينِ﴾ وكتابة ﴿أَحْكَمْ الْيَمِينِ﴾ في سياق الآيات التي أوردناها تلتل، فضلاً عما أرحمت به من معانٍ على أن هؤلاء المؤمنين هم المطلقون من الرغفان ﴿ثُمَّ قِيلَ: أَنْتَ كَذِبَةٌ﴾⁽³⁾ أي: كذب النفس ومن يكسبها عند الله غير معكوك ﴿إِنَّا أَحْكَمْ الْيَمِينِ﴾ فإنهم كفروا عنه وقابضهم به أطابوه من كسبهم، كما يخلص الراعي من رعيته بأداء الحق⁽⁴⁾ ومن ذلك يتجلى تكريمهم ولعلهم لله عليهم في ذلك الموقف الذي يبرهن فيه الكثيرون الكافرون بأفعالهم التي يتبذلهم فلا يملأوا منها وتتصاعد دلالة تكريم المؤمنين ﴿أَحْكَمْ الْيَمِينِ﴾ بأن الله ﷻ قد غوهم حق سؤال الجرمين عن مصيرهم الذي انتهبوا إليه ﴿تَكْتَفِرُونَ لَهُمْ﴾⁽⁵⁾ وهو استغفارهم يوحى بإمالة الجرمين، وتتمسك دلال إنسانهم من خلال السياق الذي يعرض إجاباتهم واعتراضهم على نحو من الاضطراب ﴿كَأَنَّهُمْ يُفَكِّكُونَ كَتَبْتُ﴾ و﴿كَذَلِكَ نَكْتُبُ إِلَيْكَ﴾ و﴿وَسُئِلَ أَحَدُهُمْ عَنِ الْكُفْرَةِ﴾ و﴿لَا تَكُونُ يَدُ الْيَمِينِ﴾ و﴿لَا تَكُونُ يَدُ الْيَمِينِ﴾⁽⁶⁾ فهي إشارة في الجواب مقصودة، بين سبب ارتكابهم في موقفهم هذا، وتجلي إيمانهم على نحو عميق، وبين السياق بالأسلوب الكتابي سبب مصيرهم هذا ﴿كَأَنَّهُمْ يُفَكِّكُونَ كَتَبْتُ﴾، وهذه الآية تامة لأنها تهم على الحقيقة والمعنى أن هؤلاء الجرمين لم يكونوا من الصالحين في حياتهم الدنيا وأما المعنى البعيد للكُتِبَ عنه الذي تلحق به الصلاة هو الإيمان كله، لهم لم يكونوا مؤمنين، ولذلك تشير الكتابة إلى أهمية الصلاة في الإسلام، فالصلاة رمز الإيمان ودليله، وبذلك انكارها على الكافر⁽⁷⁾.

ويحذر هذا المعنى للكُتِبَ عنه للصلاة ما ذكر بعد ذلك، فإنها ما فقدت النفس الإيمان بالله - سبحانه - فإنها تفقد الدافع إلى فعل الخير ومنه - إتمام للسكوب، وتفقد توازنها في الباطل مع الحافظين، وتكتب يوم الدين، يوم الحساب والجزاء الذي فيه ترضى بأفعالها كما يرى الجرمين الآن.

(1) أسرار البلاغة، ص 342.

(2) الساطع الفارابي في القرآن الكريم، ص 304.

(3) سورة النور، الآية 38.

(4) الكشاف، 4 / 523.

(5) سورة النور، الآية 42.

(6) سورة النور، الآية 43-47.

(7) ينظر في قتال القرآن 4 / 370 و ينظر تحف السمر والفتوى 9 / 164.

وراء صورة هؤلاء الجرمين تنف صورة للأمين ﴿أَتَسْكَبُوا﴾ على التماثل ليتجلى مصير الفريق على تضاد وتماثل المعنى في حس للظني ووجدانه.

أصحاب الشمال:

يستعمل القرآن هذا التعبير كناية عن موصوف هو الكافرون المشركون في نار جهنم، وهم أهل الشؤم والمذاب، نفرا ذلك في قوله - تعالى - ﴿وَأَسْكَبُوا لِيَكُنَّ كَالْعِثَابِ﴾ في سورة تيمم ﴿فَلْيَرْجِعْ بَصَرٌ﴾ لا يبرو ولا يرى ﴿يَتِيمٌ كَثُرًا بَدَّ ذِكْرَهُ تَذَوُّبًا﴾ ﴿وَالْأَشْيَاءُ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ﴾⁽¹⁾

﴿أَسْكَبُوا لِيَكُنَّ﴾ هم أهل النار والشعلة، وقال الزعرري في ﴿أَسْكَبُوا لِيَكُنَّ﴾ هذا القول.

- الذين يؤثرون مصالحهم بشمالهم.

- أصحاب الميزة الغنية، من تركك فلان عني بالشمال إذا وصفت بالفتنة.

- أصحاب الشمال أشقياء، لأن الأشقياء مشاكيم على أنفسهم بمصيبتهم.

- أصحاب الشمال هم المؤمنون في النار ذات الشمال⁽²⁾.

ومن خلال هذه الأثرال في ﴿أَسْكَبُوا لِيَكُنَّ﴾ يبين أن الكافرين يعطون نتيجة الحساب كتاباً بشمالهم، فيجهدون العذاب والعقاب، فتكون منزلتهم دنية، لهم الأشقياء المشاكيم على أنفسهم، كما قال لهم - تعالى - في موضوع آخر ﴿وَالَّذِينَ تَرَوُا يُكْفَرُونَ عَنْكُمْ وَاللَّذِينَ فِيكُمْ تَكْفُرُونَ﴾⁽³⁾

﴿أَسْكَبُوا لِيَكُنَّ﴾ هم أصحاب الشمال والشؤم أي المشاكيم على أنفسهم⁽⁴⁾ وهم ﴿عَلَيْكُمْ كَلَامٌ﴾ من وصفت الباب وأصلته إذا طبخته وأصلته⁽⁵⁾ أي مغلقة عليهم لهم فيها عبرون، هذا هو المعنى الظاهر، أما المعنى المكتسب منه المبعد هو غلوهم في النار لا يخرجون منها بحكم إغفلتها عليهم، وكلا للمعنيين متلازمان مقصود.

(1) سورة الرعد، الآية 41.

(2) التفسير: 4 / 363.

(3) سورة البقرة، الآية 19.

(4) ينظر التفسير: 4 / 604. وينظر تفسير التحرير والتبوير: 27 / 385.

(5) التفسير: 4 / 604. وينظر المعنى الباطني، ص 381 (نور).

﴿وَالْقَدْ كُنْتُمْ زَوَّادًا كُمْ بِقَوْمٍ﴾ كتابة عن النسيان والاهمال، قال الزحشر: '﴿وَالْقَدْ كُنْتُمْ زَوَّادًا كُمْ بِقَوْمٍ﴾ ونسيتموه وحسبوه كالشيء للتمسود وراء الظهور لا يعبا به⁽¹⁾، وتقول العرب: 'جعل هذا الأمر وراء ظهره أي تولّى عنه معرضاً، لأن ما يعمل وراء الظهر لا ينظر إليه، فهو كتابة عن الإعراض⁽²⁾، فالكناية لجسد صفة هؤلاء في صورة حسية مؤثرة موجبة لسماعتهم وعاطفتهم وسوء تصرفهم إذ يعرضون عن آيات الله ويهملونها، كالشيء الذي لا يعبا به، فهو الجسود للتممة في إشباع صورها. وفي ضوء ذلك فإن كتابة ﴿وَالْقَدْ كُنْتُمْ زَوَّادًا كُمْ بِقَوْمٍ﴾ تشير إلى ما فعلوه في حياتهم الدنيا، ولها إيماء بنسيانهم وإهمالهم فيكون الجزء من جنس العمل.

(1) التكملة، 4 / 331، ونظر: القرون الثلاثة، ص 245

(2) صولة الفاسر، 1 / 34.

الفصل التاسع

كنايات في موضوعات متفرقة

الفصل التاسع

كتابات في موضوعات متفرقة

يشتمل هذا الفصل على جميع من الكتابات، تشكل كل مجموعة منها موضوعاً معيناً ثابتاً بذاته، لذلك أسميته كتابات متفرقة، فهو يدل على معناه، أي موضوعات متفرقة، إذ تشترك مجموعة من الصور الكتابية في معالجة موضوعات يجمعها غبط فكري واحد، فمثلاً المجموعة الأولى التي تحمل صواباً من (كتابات من الشدة والكرب) تصور الشدة والأحوال التي يمر بها الإنسان في حياته وفي أثناء موته وبعد كل الحياة الأخرى وغير ذلك يجمعها غبط فكري وإن اختلف الموقف والحال. وثاني المجموعة الثانية تصور نماذج من مصارع العابرين التي أعلمها الله بذنوبها، فجعل مصارعهم ذكراً ليس كان له قلب ليعتبر بها وتصور المجموعة الثالثة والربعة طائفة من صور خطاب الله وطائفة من صور الرحمة الإلهية الواسعة، ومجموعة من الآيات الكريمة منها تتعلق بخلق الكون، كل ذلك يعرضه القرآن بالتصوير الكتابي الذي يمتصن الألفاظ والمعاني فيؤديها بحبرة وقرّة تأثير في القلبي تعمل على إحداث الاستجابة النفسية التي يهدف إليها القرآن.

وقدما يأتي استعراض كتابات كل مجموعة على حدة، نحاول فيه بيان القيمة الإلهامية للقرآن الكتابي في التعبير عن الألفاظ والمعاني بالطريقة التصويرية المؤثرة.

(١) كتابات من الشدة والكرب

يشتمل هذا العنوان ثلاث صور تشترك بإيحاء الشدة والكرب التي تتصلب الإنسان في حياته الشدة والكرب التي يواجهها في أثناء حياته وموته وبعثه، وشدة وكرب وهو يواجه الحياة، يعرضها القرآن من خلال مواجهة نبي من الأنبياء (عليهم السلام) قوة الظالمين المحمرين من الفطرة السوية.

الشدة⁽¹⁾ وما ذكره الرغشري يُلحَى للمعنى الظاهري وليس التعبي الشعوري الذي تطوي عليه الكتابة، فالعنى الظاهري للكتابة هو الضاف السابق بالساق، أي العروة سابق على أخرى عند الموت، وهي حركة تشير إلى المعنى للكنى عنه وهو شدة الموت وكرهه سواء أكان هو ألم الموت ووجعه أم شدة فراق الدنيا وانقطاع أي وسيلة لاستمرار الروح من الأقبال على الأخرة في أول منزل من منازلها (الأقب)، قال ابن عباس: "لأنه اجتمعت عليه شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكرهه، فيكون ذلك من باب التمثيل للأمر بالمقابل العظيم، حيث يلتقي عليه شدة كرب الدنيا مع شدة كرب الأخرة، كما يقال: شَرَّتْ الحرب عن ساق"⁽²⁾ دلالة على شدتها وضرورتها للكتابة لجسد بالتصوير الحسي للمعنى الشعورية التي تتأبب المختصر من شدة وكرب وهو يتجلى على الأخرى.

لَقَدْ كُنْ طَبَقًا مِّنْ طَبَقٍ

ثاني هذه الكتابة في مشهد من مشاهد الطبيعة التي يقسم بها الله ﷻ في قوله - تعالى -: ﴿ كَلَّا الْيَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ وَالْأَنبِيَاءُ وَمَا وَصَّيَ وَالْقَسْرَ لَكَ الْكُفْرُ ﴾ تَرْكِبًا طَبَقًا مِّنْ طَبَقٍ ﴾⁽³⁾

﴿ تَرْكِبًا طَبَقًا مِّنْ طَبَقٍ ﴾ كتابة تخرج المعنى في صورة حسية، والتصوير بالركوب ﴿ تَرْكِبًا ﴾ يُوحى بالشدة والعمالة وهو للمعنى الظاهري لهذا التركيب الكتابي، أما المعنى الكتابي عنه الذي تشير إليه الصورة الكتابية فهو الشدة والأحوال والكروب التي يجتازها الإنسان في حياته الدنيا وما بعدها من موت لم يمت وما بعده من أحوال القيامة وكروبها وشدة أحوالها، لئال الطيرى: "أنهم يُلْقُونَ من شدائد يوم القيامة وأحوالها أحوالاً"⁽⁴⁾ وقال الرغشري: "تركيب أحوالاً بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض، وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأحوالها"⁽⁵⁾

والباقي أن المعنى للكنى عنه لا ينحصر بشدائد الموت وشدائد يوم القيامة وأحوالها حسب، وإنما هو ذو مدلول عام يشمل حياة الإنسان قبل موته وفي أثناء موته وما بعد ذلك من

(1) الكشف: 4 / 530 وينظر للمرجع، ص 343

(2) صورة التفسير: 3 / 487

(3) صورة التفسير، الآيات: 16، 18

(4) جامع البيان في تفسير القرآن: 30 / 80

(5) الكشف: 4 / 581، وينظر: روح المعاني: 9 / 334

منزل حتى يستقر في إحدى الدارين الجنة أو النار، وهو للمنى الذي ذهب إليه الراغب يفرق.⁴ يترقى منزلاً عن منزل، وذلك إشارة إلى أحوال شتى في الدنيا وأحوال شتى في الآخرة. إلى حين المستقر في إحدى الدارين.⁵ فالشدة وللعاقل التي يركبها الإنسان ذات منزل عام، وهو المعنى الذي يؤكد قوله - تعالى - في موضع آخر ﴿لَقَدْ كُنَّا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾⁶ عليه دلالة كل نصب ومشقة لله أي شقاء ومشقات يتر بها في أحوال متعاقبة مقترنة مرسومة، كذلك الأحوال المتعاقبة على الكون من الشفق، والليل وما وسق، والقمرة إذا انقضى وهي وفق مشقة الله تنتهي عند خابئها، وفي ذلك يتجلى التناسق بين الكتابية وما تشير إليه من أحوال متعاقبة مع الأحوال المتعاقبة مما ذكر من مشاهد كونية طبيعية، إذ يُمثل انتقالاً لطيفاً من معنى إلى معنى، وهذا التناسق هو من سمات القرآن البديع⁷

وما يؤكد شدة هذه الأحوال وكروبها ومعانيها فوطيف الاستعارة المكتبة في بنية الكتابية ﴿فَرَكَنٌ مِّمَّا مَنَّ رَبِّي﴾⁸ فالركوب استعارة مكنية فيها تشبه هذه الأحوال بمطايا يركبها الناس واحدة بعد واحدة، ثم حذفت التشبيه (الاستعارة منه) وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الركوب على سبيل الاستعارة المكتبة. وذلك تتواضع الاستعارة مع الكتابية في إخراج المعنى بمروية ولوعة تأليه.

عشاق يوم فزعاً:

وردت هذه الكتابية في موطنين من القرآن الكريم في سياق قصة سيدنا لوط عليه السلام وهي لعلها بالتصوير الشدة التي عانتها مع قومها للتحررين من الفطرة السوية، تقرأ ذلك في قوله - تعالى - ﴿فَرَكَنٌ مِّمَّا مَنَّ رَبِّي﴾⁹

﴿وَمِمَّا كَانَتْ مِنْهُمْ﴾¹⁰ كتابه من صفة سيدنا لوط عليه السلام ومعناها: 'عشاق بشأنهم ويتدبر أمرهم دونه أي طائفة، وقد جعلت العرب شيق الزناح والذرع عبارة عن لقد الطائفة، كما تقرأ: رعب اللزاع كذلك، إذا كان مطبقاً له، والأصل فيه أن الرجل إذا طالت فزاعه مال مالا

(1) القرطبي، ص 490

(2) سورة البقرة الآية: 4

(3) ينظر: الكشف 4 / 602

(4) ينظر في ظلال القرآن: 8 / 322-323

(5) سورة هود الآية: 77، وينظر سورة التكميرت / الآية: 33

يناله القصير الذراع، فضرب ذلك مثلاً في العجز والقدر⁽¹⁾، للكتابة مخرج للمعنى العنسي بالتمثيل تصويراً له وتجسيداً وهو المعنى الكلي منه ويتمثل في الشدة والكرب التي تجاورت طائفة لعجز من مفاومة قومه ومناصتهم عن قبوله الذين حسب أنهم إسن لمخاف عليهم من حيث قومه، ولما يصعد معنى الكتابة المقصود لجواز المعاني الذي انتهت به الآية ﴿وَأَلَّ كُنَّا كَرِيمٌ حَبِيبٌ﴾ فالزمن ﴿كَرِيمٌ﴾ لا يكون معصياً شديداً، وإنما هي نفسه الله في ذلك اليوم معصية مكروية، ولكن وصف اليوم بأنه عصب بهذا الاستدلال الجازي باختيار العلاقة الزمانية بصورة عبق الشدة والكرب الذي ملا عليه انتظار نفعه وفاض فشكل الزمن، فهي لا تروى خرجاً أو رتناً تارياً إليه⁽²⁾ ملصاً من هذا الكرب

(2) بكتابات من مصارع الغابرين

يعرض القرآن الكريم مصارع الغابرين للعبارة والموقف، فهي تحذر الناس الوقوع فيما وقعوا فيه من اللوم والخطايا التي جعلتهم⁽³⁾ فسدة الله⁽⁴⁾ جارية لا تبدل ولا تحابي أحداً ولا يحد⁽⁵⁾ لما تزل بالأفهام الكاثرة الغائرة من عذاب قد ينزل في الألوام اللاحقة - إن هي كثرت - وإن اختلفت صور العذاب التي تحل بهم لذلك يقدم القرآن مصارع الغابرين في ساحة واسعة من آياته لحكي قصص لعلاهم ولي طياتها التحذير والتعريف - وبها ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد⁽⁶⁾ فالنفس الإنسانية شديدة الحساسية والتأثر بمصارع الغابرين التي تحت حلى الذكرى والاعتبار.

وتد كانت مصارع الغابرين كما يعرضها القرآن بالوان من العذاب والمقاب فكلاً أخذ الله بلبه، كما قال - تعالى - ﴿كُلًّا لَنُكَفِّرَنَّ وَلَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِّنْ أَمْرٍ مَّا يَشَاءُونَ وَلَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِّنْ أَمْرٍ مَّا يَشَاءُونَ وَلَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِّنْ أَمْرٍ مَّا يَشَاءُونَ

(1) الكشاف: 3 / 356، 357.

(2) ينظر: سورة هود، الآية 80.

(3) ينظر السور الأربعة: آل عمران، الآية 13، يوسف، الأيات 13، 14، وغافر، الأيات 21، 22 وحمد الآية 10 مثلاً.

(4) ينظر السور الأربعة: هود، الأيات 80، 100، 101، 102، 1165، 117 والحجر، الأيات 4 و 5 والاسراء، الآية: 58 والفتح، الآية: 23 مثلاً.

(5) ينظر سورة ق، الآية: 37.

الْكُنُوزِ وَتَنُفُّهُمْ نَفَسًا زِلْزَالًا يَوْمَ الْفُتُورِ وَتَنُفُّهُمْ نَفَسًا زِلْزَالًا وَمَا مَسَّكَ اللَّهُ يَدَيَهُمَا وَلَكِنَّهُمَا
مَسْكُورًا أَنْ تُخْشِعَ بَطْشُكَ ﴿٤٥﴾

ونفس إذا تعرض معارح المتأخرين فلما تعرضها في سياقات نصوص وصور كناية لحاول
تحليلها وبيان قيمتها البلاغية في التعبير والتصوير والتأثير
فَقَشِيَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ مَا خَشِيَهِمْ

بأي هذا التعبير الكنائي مصوراً عذاب فرعون وجنوده، وذلك في قوله - تعالى -
﴿ فَكَشَرْنَا لَهُمْ آيَاتِنَا فَكَشَرْتُمْ عَنْ بَصَرِكُمْ أَفَكُمُتُمْ وَافْتَكُمْتُمْ فَأَعْرَضْتُمْ عَنْ آيَاتِنَا وَمَا يَتَّبِعُ إِلَّا أَصْحَابُ الْأُفُوقِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَسْطِنَةِ يُؤْثِقُونَ يَدَاهُم مِصْبَاتٌ وَيُشْفَوْنَ بِهَا وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَبِيرًا وَتَقَرَّبَ زُلْفَىٰ ذُو الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ﴿٤٥﴾

﴿ فَكَشَرْنَا لَهُمْ آيَاتِنَا فَكَشَرْتُمْ عَنْ بَصَرِكُمْ ﴾ كناية كتبت معاني كثيرة وقامت في بنتها على التهجيل،
تحويل المعنى المكتسب عنه وهو - شدة عذابهم ولطافته الذي عذابهم لا يعلم كنهه إلا الله جاء في
التفسير - 'فكشهم' من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم التي تستغل مع قلنتها بالمعاني
الكثيرة، أي - فكشهم مالا يعلم كنهه إلا الله -⁴⁵ وفشلاً عن هذا التهجيل لشدة العذاب
ولطافته الذي حلّ بهم، فإن الفعل (فكش) يمتدح من شدة هذا العذاب الموصوف الذي
عذبهم وفطامهم، فالتخفية العظيمة⁴⁶ أي - فطامهم للعذاب ولا يسهم بأحواله، وعمرهم
بالرؤى منه لا يعلم وصلها على حقيقتها إلا الله

وهذا العذاب الذي صورته الكتابة على سبيل التهجيل والتصميم يتناسب مع فرعون
وجنوده في طغيانهم وفسادهم الذي ملا الأرض⁴⁷ وفرعون الطاغية هو مذهب الألوهية
تولاً وفشلاً⁴⁸ تناسب هذا العذاب جسي العمل، فكشهم البصر وما فيه وعمرهم بالعذاب
بهذا التصميم له والظنح الذي يترادى من خلاله بأحواله العظيمة.

وتكرر الفعل (فكش) في صورة كناية أخرى في تصوير العذاب الذي حلّ بفرعون لوط،
وذلك في قوله - تعالى - ﴿ وَاللَّهُ لَذِي الْقُوَىٰ فَكَشَرْنَا عَنْ بَصَرِكُمْ وَأَلْهَمْنَا الْوَسْوَاسَ الْخَفِيَّ أَنْ يَكُونَنَّ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴾⁴⁹ وللوقوف على القرى التي

(1) سورة المائدة، الآية 40

(2) سورة طه، الآية: 78

(3) الكشاف 3 / 61

(4) ينظر لسان العرب 15 / 126 (فكش).

(5) ينظر: سورة القصص، الآية: 4

(6) ينظر سورة القصص، الآية 38 وسورة النازعات، الآية 34

(7) سورة النجم، الآيات: 53-54

فَنفَضْتُكَ بِأَهْلِيهَا أَي: أَتَلَقَيْتُكَ، وَهِيَ قَوْمُ لُوطَ (الْقُرْآنُ) وَنَفَعْنَا إِلَى السَّمَاءِ عَلَى جَنَاحِ جِبْرِيلَ، ثُمَّ لَمَّا لَعَنَ الْأَرْضَ أَي: اسْتَغْنَى^{٥٥}.

والكتابة في قوله - تعالى - : ﴿ فَسَيَبْصُرُونَ ﴾ تصور عليهم على سبيل الإنجاز، فالبصيرة
لكنني عنه، وهو المطلب القطع المروء لا يعتمد التصوير الكتابي، وإنا هو مطلق على سبيل
التجويل والتعظيم لحب النفس كل ملعب في تصوره، ونحوه.

قال الزحشر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تهويل وتعظيم لما سبب عليها من العذاب وأمر عليها من الصبر المصروف ^{لله} للكلمة موحية بالتمسك للشيء لا لمجده ولا تحصره وإنما يتراعى من سببها صورة الدمار والخسف التي تتكرر كل شيء لقد لا يستقيم بأهلها ولعلهم، هي صورة فريضة موزعة من العذاب، ولكنها تائب لعلهم للفريضة التي حكما عنهم القرآن الكريم ^{لله} فكان عذابهم جزاءً وفاقلاً.

فالكاتبان تعرض صورتين من المذاب مروّعتين، وقد حملت الكتابة متضافراً مع الأسلوب الموجز في كل منهما - والإيجاز من خصائص الكتابة القرآنية - على تصوير المذاب للمصاب للساق (إن امتدحت الكتابة في بنية على التجوّل والتعميم في إخراج المعنى للكثير عنه لتبويه وتظليله، ولتوحي بلح المطلب الذي غشاه بأهواله، ولتفي من ثم في نفس السامع لولا القارئ الرعب من هذا النص المشرّوم، يعمل على تجنبه، ويثقل لأمر الله، وبمعن الصلاح والخير في حياة الفرد والمجتمع، وبذلك يتحقق الهدف المنشود.

قَمْعُ الدَّابِرَةِ:

يُخبر القرآن عن إعلاء الكافرين الطالين بالصعود الكائن للوحي (قطع الدابر) في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرْ الْفَاقِرُ إِلَى الذَّنْبِ وَأَنَّهُ يُغْنِي عَنْهُ غِنَاهُ﴾ ^{١٥٤}

(1) الكتاب: 4 / 401، رقم: المخطوط: 170.

٢٧) مكان 4 / 4 ونظير جسم التمير والتمير 23 / 33 ونظير صورة عدد الأية

١٢١: وصورة الخبز، الآية ٧٤ وصفاً لما لهم بالظلم

٢٨: ٢٨ سورة الأعراف، الآية ٢٨. لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

(4) سورة الأنعام الآية 45. ونظم البورانيه الأعراف الآية (2)، والأنعام الآية 7.

والجواب: لا، بل لا بد من

﴿تَطْلُعُ نَائِرُ الْقُورِ﴾ كنايةً توافقت معها في التصوير والتصوير استعارة (القطع)، والقطع إما يكون للأشياء المماسكة المصلبة كالخشب مثلاً وما شابه ذلك، قال عبد القاهر الجرجاني "إن القطع إذا أمثلن فهو لإزالة الاتصال من الأجسام التي تلتصق أجزاءها، وإذا جاء في تفرق الجماعة وإبعاد بعضهم من بعض كان شبه الاستعارة، وإن كان المسمى في الموضوع على إزالة الاجتماع ونفيه"⁴⁴ وهذه الاستعارة القوية لو شبه الاستعارة كما يقول عبد القاهر تصوراً المذاب بالنار، بالظلمين على نحو مخصوص لأن القطع يشير إلى "مضى نفسي دابق هو هذه النواشيج التي تتوهم بين الجماعة الفاتكة في مكان واحد والجمعة في أرض واحدة، والتي هي أشبه بالجمعة في التوب"⁴⁵ فالاستعارة تشير إلى تقطيع هذه الصلات الملائمة بالمذاب النازل بهم، فهو حذاب شديد وكأنه تقطيع وتزريق للأجسام والأوصال لا ينداد منهم أحداً كما تصوراً الكناية ﴿نَائِرُ الْقُورِ﴾ فالنائر هو "آخر القوم، قال الونشري: 'أنحروهم لم يترك منهم أحد، قد استوحشت شاعتهم'⁴⁶ فالكتابة تشير إلى مناعها المكسب منه والتشغل في عذاب الاتصال الذي يروّجهم ويفرغهم، وهذا التوزيع والمفرز توحى به الكناية، بما فيها من حركة، لأن النائر فاعل من دبر إذ دبر⁴⁷ وفي ذلك تصوير لحالهم من البرزخ حين يزول العذاب، لعل في الإخبار لهما أو أماناً ولكنه العذاب الشديد الذي يستلزمهم بأخذ آخرهم، فكيف بأولهم؟ وهو العذاب الذي يعمّ بالهلاك فلا يترك أحداً من الظالمين على قيد الحياة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فِي الْكَلْبِ﴾.

المشي في الملصق:

كما يدل على مصارع الغنمين للقرع، ومن هذه الأنكر ما هي قلعة، ومنها مثيرة كالزور المحمود كما يمكن القرآن ذلك. ﴿يَذْكُرُونَ لَكُمْ الْقُرْآنَ كَقَوْلِهِمْ قَوْلًا مَّوَدَّعًا﴾⁴⁸ فالقرع معروضة للمسلمين والمعتبرين فهي ترسم النفس والخيال ﴿وَيَتَذَكَّرُ﴾ لا تزال آثاره شائعة بالية

(1) أسرار البلاغة، ص 44.

(2) التصوير البياني، حراسة لمجلىة لاسفل البياني، ص 202-203. وينظر "الاستعارة في القرآن الكريم"، ص 85.

(3) الكتاب: 2 / 18، وينظر تفسير الصبر والفتور 9 / 272 الكتاب الحي.

(4) الكتاب: 2 / 156.

(5) سورة حود الآية 88. وينظر: سورة يونس، الآية 34، وسورة الأنبياء، الآية 15.

تروي قصة الكفر والبطر، وسما ﴿وتسبيح﴾ عالي الأثر كالتورج المصنوع، وكل منهما دائاً على موت أهلها وملاكهم وزوالهم بعد الحركة والحياة.

والفرق بينهم من أكثرهم وسكانهم هذه معرضاً للإتلاف والعمى، كما قرأنا في قوله - تعالى - ﴿لَقَدْ جِئْتُمْكُمْ أَهْلَكْتُم بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فَثَارَ كِبَارُهَا وَكُنْتُمْ أَكْثَرُ الْكَافِرِينَ﴾⁽¹⁾

﴿تسبون في تسبيحهم﴾ كتابة، والمعنى الظاهر الذي تدل عليه هو أي هؤلاء الكثرين يمسون في مساكن أولئك الكثرين، فلا يرون فيها أحداً ممن كان يسكنها ويمسها⁽²⁾ لهم يتلبون في مساكنهم ويمسون أكثر هلاكهم الشاغرة للوحشة لا تبار فيها ولا ما بين نار. أما المعنى للكتابة عنه المقصود فهو ملزوم الشيء في حله المساكن ويمثل في العبرة والامتياز فما تحكيه تلك الآثار والمساكن الحاقية من مصارع الملبين الطالين، عبرة لمحب السنين يمسون في تلك المساكن منذ الله الجارية في إصلاك الطالين، والعمرة التي تبثها تلك المساكن الحاقية، للوحشة في مجلس والرجدان تفضي للإتلاف واللوحة، فما لم لا يمتدون، ولا يتصرفون كما يدل الاسمهم النصبي بالمعزة ﴿لَقَدْ جِئْتُمْكُمْ --﴾ نصيب من حال الكافرين الذين لا يمسون معنى الإتلاف، والعمرة أمامهم معروضة للانتظار، ﴿يَذَرُوهَا كَمَا يَذَرُ الْكُفَّارُ﴾⁽³⁾ فهي عبرة للمؤمنين أصحاب المعلول، ولي ذلك ترميز بالكافرين الكثرين الذين لا يمتدون بالأيات للمعروضة، وإلا هي آيات للمؤمنين المعقولة للتوهمين.

ولا شك في أن القلب الملو من حين يموت في مصارع الفرون، وحين تطالع العين آثارهم ومساكنهم من كتب، وحين يتسلى تلك المساكن وقد خلعت من أهلها الطالين، وتصور شخصهم الطالين، وحركاتهم وسكناتهم، وغواظهم وأعلامهم، وموسمهم وآمالهم، حين يتأمل هذا الحشد من الصور المزدحمة، لم لا يرى إلا الحواء للوحش - حيثما يستيقظ للعبارة، ويدرك يد الفترة التي انحلت القرون الأولى لظلمها وهي قادرة على أن تأخذ ما يليها، ومعنى الإتلاف والعمرة التي تبثها تلك المساكن⁽⁴⁾ الحاقية.

(1) سورة طه، الآية 128 ونظر السور الأربعة النسل، الآية 52، والتصحيف، الآية 58، والصكوت، الآية 38، والصحة، الآية 66، والصالحات، الآية 137، والأحزاب، الآية 138، والأحزاب،

الآية 25

(2) تفسير القرآن العظيم، 3 / 446، ونظر، سورة التيسير، 2 / 506.

(3) ينظر في ظلال القرآن: 5 / 504.

إِرمَ ذاتُ العماد، وتعود اللحن جابرو الصخر بالراد. وفرعون ذو الأوتاد
تُرد هذه الكتابات الثلاث في قوله - تعالى - ﴿لَمْ تَرَ كَيْدَ رَبِّكَ يَمُومًا﴾ (إِرمَ ذاتُ الصخر
﴿لَمْ تَرَ كَيْدَ رَبِّكَ يَمُومًا﴾ وَذَوْنَ الْاَلَمِ ﴿لَمْ تَرَ كَيْدَ رَبِّكَ يَمُومًا﴾ وَذَوْنَ الْاَلَمِ ﴿لَمْ تَرَ كَيْدَ رَبِّكَ يَمُومًا﴾⁽¹⁾
في هذه الآيات الكريمة تتشكل ثلاث كتابات ﴿لَمْ تَرَ كَيْدَ الصخر﴾ و ﴿لَمْ تَرَ كَيْدَ يَمُومًا﴾ و ﴿لَمْ تَرَ كَيْدَ يَمُومًا﴾
كشَرَ وَالرَّحْمَ ﴿وَذَوْنَ الْاَلَمِ﴾ ثلاث اسم غيرة فوات حضارة بلغت مبلغاً بذكر، قوم
عاد، وقوم ثمود، وقوم فرعون. يجرينا القرآن عنها لالخاذ المعرستها والموقع، هذه الحضارات
التي شيدنها هذه الأمم لم تنجها من العذاب والهلاك إلا كفتت بالله وقتت من أسره. والسباق
يُنتج بالاستفهام بالمزاد. ﴿لَمْ تَرَ ..﴾ للتنبية وإثارة البهجة للاضات إلى ما أنزل الله بها من
عذاب طاف كما صورته الاستعارة للكتابة (صَب).

الكتابة الأولى ﴿لَمْ تَرَ كَيْدَ الصخر﴾ يصف بها عاد الأولى أهل إرم ذات البهاء الربيع،
الذين كانوا يسكنون بالأحطاف بين حسان وحطرموت⁽²⁾ وهذه الكتابة تشير إلى أكثر من معنى
مكنى عنه، فهي ذات إشارات متعددة تقرب إلى اللحن ما كانت عليه عاد من قوة وهز وسياحة
كما لعل مادة هذه الكتابة. قال ابن منظور: «عَدَ الحظوظ يَحْصِيهَا عَدًا: دهمه، والعمود الذي
تجامل الكُفْل عليه من حوق كالسلف يُعَدُّ بالأساطين للصورة. وعَدَ الشيء يَحْصِيهَا عَدًا.
أقامه والعماد ما أقيم به، وعمدت الشيء فاقعدت أي أقمته بعماد يَتَوَكَّلُ عليه. والعماد: الأبنية
الرقيقة.. وقوله - تعالى - جَسَدٌ قَبْلَ عَمَدَةٍ أي ذات الطول، وقيل أي ذات البناء الرقيق،
وقيل، أي ذات البناء الرفيع المُعَدَّة»⁽³⁾ ولأن البرد في قول الحسان

طويلُ التجساد وريحُ الجساد مصاد قسرية لـ أسرها

فقرنا طويل النسيان تريد لجماد، طول قامته، وهذا مما يندح به الشريف ونوعاً ربيع العمان
ولما ترد ذلك بقوله رجل معتد أي طويل ومه قوله ﴿لَمْ تَرَ كَيْدَ الصخر﴾ أي الطول⁽⁴⁾ وهذه
الأماني التي تشير إليها الكتابة قد ذكرها القرآن في مواضع أخرى، لمسا يدل على أبيتهم الرقيقة

(1) سورة النجم، الآية 6، 14.

(2) صقرا الطاسير: 3 / 356، ونظر. سورة الأحطاف، الآية 21

(3) لسان العرب. 3 / 381 (عَدَ)

(4) الكامل: 2 / 281.

المُعْتَمِدَ الَّتِي تَشِيرُ إِلَى رَفِي حَضَارِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ هُوَ ۝ غَطَاباً لِّإِسْمَاعِيلَ ﴿الَّذِينَ يَكُلُّ رِيعَ عَرَّةٍ عَرَّةٍ ۖ وَتَحْمِلُونَ صَبَاحَ لَّيْلِكُمْ حَمَلَكُمُ فَتَقْتُلُونَ﴾⁽¹⁾ وَعَمَّا يَمْلِكُ عَلَى قُوَّتِهِمْ وَيُسْطَظُّهُ فِي الْجِسْمِ قَالَ - تَعَالَى - ﴿وَلَا حَسْرَتَ لَّكُمْ فِي مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ إِنَّكُمْ تَقُوتُونَ رِيعَ عَرَّةٍ فِي الْكَلْبِ ۚ﴾⁽²⁾ فَهَذَا يَمْلِكُ مِنَ الْحَضَارَةِ حَتَّى إِنَّهَا تَخْذُلُ لِلصَّانِعِ تَحْتَ الْجِبَالِ وَبِأَسْفَلِ الْقُصُورِ، وَتُسَيِّدُ الْعَلَامَاتِ عَلَى الْفُرْقَانَةِ، وَحَتَّى لِيَجُولَ فِي خُطَاهُمْ أَنْ هَلْهُ لِمَصْنَعٍ وَمَا يَشْهَدُ بِهِ بِرِصَالَتِهَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ كَالْجَنَابَةِ مِنْ لُحُوتِ⁽³⁾ وَهَمَّ بِدَلَالَةٍ مِنْ أَنْ يَوْمُوا بِالْهَلْهِ وَيَشْكُرُوا عَلَى نِعْمَةِ عَلَيْهِمْ كَفَرُوا وَجَعَلُوا نِعْمَةَ وَدَكَّرُوا إِلَى قُوَّتِهِمْ فَخَرَّعَهُمُ اللَّهُ وَجَلَّبَهُمْ عَنَّا شَدِيداً بِالرَّيْحِ الْمَرْصُورِ الْمَائِيَةِ الَّتِي سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ فِي لَهَامِ نَجَاسَاتِ⁽⁴⁾.

وَالْكِتَابَةُ الثَّانِيَةُ: فِي شَأْنِ تَعْدُودِ اللَّحْنِ ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾⁽⁵⁾ أَيْ تَقْطَعُ الْعَصْرَ، يَكُنْ جَابِ الثَّوْبِ وَاجْتَابَهُ قَلْعُهُ. وَجَابِ الْعَصْرَةِ: عَرَقَهَا⁽⁶⁾ وَتَطْلُعُ لِلْعَصْرِ وَغَرَقَ الَّذِي يَهْلِكُ عَلَيْهِ ظَاهِرُ الْكِتَابَةِ بِرَأْيِهِ مَعْرُومُهُ وَهُوَ اللَّحْنُ لَكُنْ مِنْهُ الَّذِي يُوحِي بِهِ وَيُمَثِّلُ فِي رَفِيقِهِمُ الْخَضَارِي الَّذِي يُلْفِئُهُ مِنْ قُوَّةِ مَاجِيَةٍ وَمَسِيئَةٍ، فَتَعْدُودُ قَطْعَتِ الْعَصْرِ لَشِدِيدِ يَوْمِئِذٍ وَلَقُصُوراً أَوْفَدَ أَشَارَ الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى إِلَى هَذَا اللَّحْنِ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ صَالِحِ ۝ غَطَاباً لِّإِسْمَاعِيلَ ﴿وَأَنْتُمْ كَرِهْتُمْ لَّيْلَكُمْ فَتَبَرَّأْتُمْ إِلَى اللَّهِ فَتَقْتُلُونَ﴾⁽⁷⁾ وَتَقْتُلُونَ فِي الْأَرْضِ تَقْتُلُونَكَ مِنْ مَّوَدِّعَاتِ شَرِّكَ وَتَقْتُلُونَكَ الْيَوْمَ لَيْلَكُمْ فَتَقْتُلُونَكَ لَيْلَكُمْ وَلَا تَقْتُلُونَ فِي الْأَرْضِ تَقْتُلُونَكَ⁽⁸⁾ فَالْكِتَابَةُ ثَلَاثَةٌ إِلَى رَفِيقِهِمُ الْخَضَارِي الَّذِي يَلْعُوهُ بِمَا أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. وَلَكِنْهُمْ كَفَرُوا وَخَفُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَرَسُولِهِمْ فَخَالَصَتْهُمْ صَاحِقَةُ الْمَطْلَبِ الْمُسُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ⁽⁹⁾.
وَأَمَّا الْكِتَابَةُ الثَّلَاثَةُ فِي شَأْنِ فَرْحُونَ ﴿وَرَفِيقَهُ وَكَانُوا﴾⁽¹⁰⁾ فَهَذَا قَبْلَ نَبِيَّهَا عِنْدَ مَعَانٍ - أَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ مِنْ يَوْمِئِذٍ تَعْلِيهِ بِالْوَيْلَةِ الْوَتَادِ فِي يَدَيْهِ وَرَجُلِيهِ وَيَتْرَكُهُ حَتَّى يَمُوتَ

(1) سورة الشعراء، الآية: 128-129.

(2) سورة الأعراف، من الآية: 60. وينظر سورة هود، الآية: 52، وسورة الشعراء، الآية: 130.

(3) في ظلال القرآن: 8 / 371.

(4) ينظر سورة الحاقة، الآية: 4-7، وسورة فصلت، الآية: 13، وسورة الطه، الآية: 12.

(5) 41، وسورة القمر، الآية: 19-20.

(6) أساس البلاغة، ص: 68 (جرب). وينظر لسان العرب: 1 / 285 (جرب).

(7) سورة الأعراف، الآية: 74. وينظر سورة الشعراء، الآية: 149.

(8) ينظر: سورة فصلت، الآية: 17، وسورة الطه، الآية: 44.

- المراد بالآيات التي العظيمة الثانية

- المراد بالدلالة على ثبات ملكه.

- المراد بأنه صاحب الأهرامات والمباني العظيمة الثابتة التي تقوم في الأرض كالآيات⁽¹⁾
ورجح بعض المفسرين الخلق بأنها الأهرامات التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض
الحية البنيان⁽²⁾

والبادي أن الكتابة تشير إلى كل هذه المعاني، فهي كلمة موحدة، إلا أن أقرب معنى
ظاهري لتدل عليه هو أنه كان يوتد من يهد تعليمه بالوتاد حتى يموت، وللمعنى الأول الذي
أوردناه، ويؤيد هذا المعنى ما ورد في القرآن في مواضع أخرى من تهليل فرعون للسحرة الذي
أمنوا به موسى⁽³⁾، تهليلهم بطلب التصليب في جذوع النخل وتطليح أيديهم وأرجلهم من
خلال⁽⁴⁾، والمعنى جذوع النخل إشارة صريحة إلى هذه الأوتاد بوصفها وسيلة تعليم معروفة لدى
فرعون. ومما يؤيد هذا المعنى لظاهر القريب السياق الذي جاءت فيه الكتابة، فهو سياق
عقاب، العذاب الطافي العامر الذي صبه الله عليهم ﴿صَبَّ سَخِرَ لَكَ سَوْءَ حَكِيمٍ﴾⁽⁵⁾، ﴿يَا أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ﴾ وكان جوارهم الذي لقوه هو من جنس صلبهم.

أما المعنى الثكني منه البعيد الذي تشير إليه الكتابة والذي ترجحه هو ثبات ملكه المرتكز
على الثروة، ومما يؤيد هذا المعنى ويحمله ما ورد في القرآن من جعل الجبال في الأرض أوتاداً لها
لتثبيتها واستقرارها ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْكُرْسِيَّ يَحْتَسِبُ﴾⁽⁶⁾ ﴿وَأَلْبَنَىٰ لَهَا جِبَالًا﴾⁽⁷⁾، فالثبات والاستقرار هو المعنى
الذي تشير إليه الكتابة وهو معنى يتطوي على المعاني الأخرى وهو من مظاهر ثبات الملك
المدان عليه كالمباني العظيمة الثابتة التي تقوم في الأرض كالآيات أو تلك الأهرامات التي
تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض للجنة البنيان، وكلها تشير إلى رقي حضاري، وقوة
مادية، ولكنها قوة مادية طائفة، فقد أشار القرآن إلى قوة فرعون وجبروته، وأشار إلى البنيان
العظيمة والأنهار التي تجري من تحتها⁽⁸⁾، وطبقته في الأرض وتعليمه لبي إسرائيل بالقرآن

(1) ينظر سورة القصص: 3 / 56، وينظر: الكشاف: 4 / 597.

(2) ينظر: في ظلال القرآن: 8 / 371، وينظر: 7 / 90.

(3) ينظر السور: الأكمة الأهرامات، الآية: 124، وفيه: الآية: 71، والشعر: الآية: 49.

(4) سورة القلم: الآية: 6، 7. ينظر: سورة النمل، الآية: 15.

(5) سورة الزمر: الآية: 51.

المطاب^(١) بل أتمى الأروحية أولاً وتعالى^(٢) إنه كان عالياً في الأرض من السورين^(٣) فاعلمه الله وجوده أصل عزيز مقتدر، فلم تصمد قوته العاشقة أمام قوة الله وجبروته وعلمه من سنة الله في الأوامر الكافرة الطاغية التي تبلغ مبلغاً من الخضارة للادية بكل كراتها ؛ لأنها منقطعة عن الله كائنة به، فها نحن بالمراد من المطاب الأليم.

نقص الأرض من أطرافها:

وردت هذه الكتابة في قوله - تعالى - ﴿لَوْ كُنَّا رَبُّهَا لَأَمْلَأَنَّ الْأَرْضَ نَسَبًا مِنَ الْإِنْسَانِ إِنَّكُمْ لَذَائِقُونَ الْعَذَابَ بَلْ أَنْتُمْ لَا تَشْكُرُونَ وَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ﴾^(٤)

تصل هذه الكتابة ﴿لَأَمْلَأَنَّ الْأَرْضَ نَسَبًا مِنَ الْإِنْسَانِ﴾ بالكلمات الثلاث السابقة في شأن عاد وثمود والرحون، إذ تصور لنا حابة الأمم الكافرة بالله ﷻ معاً بلغت حساباتها المادية في الرقي والتطور وجاء في تفسيرها '﴿لَأَمْلَأَنَّ الْأَرْضَ﴾' لرض الكفر ﴿نَسَبًا مِنَ الْإِنْسَانِ﴾ بما افتتح على المسلمين من بلادهم، فنقص دار الحرب وتزيد في دار الإسلام، وذلك من آيات النصر والذلبة^(٥) فالكتابة تصور هذا المعنى على سبيل التمثيل بالصورة الحسية والتمثلة بتقصان الأرض من أطرافها، وهذا يمثل للمعنى الظاهر بالتقريب لها، أما المعنى الكنى عنه البعيد فهو يأتي مع هذا المعنى من حيث النصر والذلبة للمسلمين، والدمار والهلاك للكافرين، إلا أنه يتجسد على نحو مخصوص ويقرر حقيقة، وسنة من سنن الله في الأرض، وتتمثل هذه الحقيقة (المعنى الكنى عنه) في أن يد الله ﷻ القوية تفعل فعلها في الأمم القوية المنيبة - حين تبطر وكسر وتفسد - فنقص من قولها ومن ثقلها، وتقص من قدرها، وتحصرها في رقعة من الأرض شبيكة بعد أن كانت ذات سلطان وسيادة، وإنما حكم الله عليها بالانحسار قلاً معقّب لحكمه ﴿وَأَنَّكُمْ لَبَشِيرُونَ﴾^(٦)

(1) سورة طه، الآية 47.

(2) سورة القصص، الآية 38. وسورة الزمرات، الآية: 34.

(3) سورة يونس، الآية: 83. وسورة القصص، الآية: 4.

(4) سورة الزمرات الآية: 41 وينظر سورة الأتيتاب الآية: 44.

(5) الكشاف: 2 / 416 وينظر صخرة التفتيح، 2 / 87.

(6) ينظر في ظلال القرآن: 5 / 182.

وبذلك فإن الكتابة تشير إلى هذا اللون من العذاب البدني، وبه لطوى رقة الدول للثقلية وتحسّر وتزول أو تكون دويلات صغيرة لا قوة لها ولا سيادة، وكانت من قبل أمبراطوريات، فإنها هي مخلوقة على أمرها بعد أن كانت غالبة، وإنها هي قليلة قليلة العدد بعد أن كانت غنية كثيرة العدد.. وهذه هي سنة الله كما نراها في الكتابة.

(3) كتابات عن العذاب:

والعذاب الذي تصوّره هذه الكتابات متفرع منه عذاب أصحاب جهنم الذين يشاهم عذابها من نوقمهم ومن تحت أرجلهم، ومنه عذاب في الحياة الدنيا لأولياء الشيطان فخرجه الكتابة بالتصوير الحسي للأثر، وفيما يأتي عرض لها من نوقمهم ومن تحت أرجلهم.

لآتي هذه الكتابة في قوله - تعالى - ﴿يَوْمَ يَنْفُثُ الشَّيْطَانُ مِنْ قُلُوبِهِمْ يَوْمَ تَنْتَبِهُوا لَكُمْ قَسْرُهُ﴾⁽¹⁾

﴿يَوْمَ تَنْتَبِهُوا يَوْمَ تَنْتَبِهُوا﴾ كتابة ومنعها الظاهر القريب هو أن العذاب يشاهم من «الجهنميين» من نوقمهم ومن تحتهم، أما المعنى لكنني عنه المقصود فهو أن العذاب بسيط بهم إحاطة شاملة فهو عذاب شديد يطبق عليهم فيشاهم ولا يسهم من كل مكان، ولكن الكتابة تصوّره من نوقمهم، ومن تحت أرجلهم، لأن ذلك أبلغ في تصوير العذاب، إذ الكتابة تخرج العذاب وكأنه حتمّ قتلهم به من فوق، أو براكين تضرب عنه من تحت أقدامهم⁽²⁾ وفي ذلك يتجلى حول العذاب وشدة، فضلاً عن إيحاء التخويف والشرح الذي كثيرا الصورة في نفس الملقى.

ولما لاحظت الكتابة في سياق آخر في قوله - تعالى - ﴿قُلْ هُوَ الْفَعُولُ إِنَّهُ يَشَاءُ حَالَكُمْ حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَتَقُولُوا نَحْنُ قَسْرُهُمْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ لَنَا صُلْحًا مِمَّا صُلِحَ لَهُمْ وَلَئِنْ كُنَّا إِلَّا نَاقِبَةٌ لَكُمُ الْعَذَابُ إِنَّكُمْ لَعِنَاءُ اللَّهِ﴾⁽³⁾

(1) سورة الشورى، الآية: 53، وقال: سورة الزمر، الآية: 16.

(2) ينظر: من أسرار التعبير القرآني، ص: 47.

(3) سورة الأنعام، الآية: 63.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ﴾ كتابة عن المصطفى الشَّيْخِ العَامِرِ الَّذِي يَجِئُ بِهِمْ، وَغَيْرُهُمْ بِالْأَكْثَرِ - من فوق ومن تحت - لأنهما يُبْلَغُ في تصوير المصداق الذي يَهْتَرِجُ بِهِ لَهَّ ۞ ۞ (إِنْ شَاءَ) وَاشْتَدَّ وَقَعًا فِي النَّفْسِ مِنْ تَصَوُّرِهِ آتِيًا مِنْ هَيْهَوَ شَمَالٍ، فَالْوَعْدُ كَدَّ يَجْثُلُ لِلْإِنْسَانِ أَنَّهُ قَدْ يَنْقَرُ عَلَى خَطِّ الْمَلَابِ مِنْ هَيْهَوَ شَمَالٍ، أَنَا الْمَلَابُ الَّذِي يَصْبُغُ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقِ، أَوْ يَأْمَلُهُ بِهِ مِنْ تَحْتِ، فَهَرُ حَلَابٍ غَيْرُ قَاسِرٍ مَرْزُلٍ، لَا مَقْلُومَةٍ لَهُ وَلَا شَيْءٌ مَعَهُ وَالْكَتَابَةُ مَوْجِبَةٌ بِهَذَا الْإِحْيَاءِ الْتَوَرَّى فِي حَسَنِ الْإِنْسَانِ وَوَجْدَانِهِ، كَمَا أَنَّهَا تَقَرُّ حَقِيقَةَ لِقَاؤِهِ لِلَّهِ عَلَى أَسْنَدِ الْمَبَادِ الْمَلَابِ مِنْ حَيْثُ شَاءَ وَكَيْفَ شَاءَ ۞

والكتابة فضلاً عن ذلك آتت إلى العراق من الفلب التي أعاد الله بها تسماً من الأقوام
الكافرة الغابرة، تشير إليها الكتابة قوماً وتحديداً قال الزهري: «عَنْكَارَيْنِ قَوْمٌ كَسَا
إِبْرَاهِيمَ قَوْمَ لُوطٍ وَعَلَى أَسْحَابِ الْقَيْلِ الْقَبَارِ، وَأُرْسِلَ عَلَى قَوْمِ مَرْحِ الطُّوفَانِ كُوزَيْنِ
فِيهِمَا نَارٌ» كما أخرج فرعون وعصف بلعون^١.

[illegible]

(1) جعفر، ز. قلاو، تهران: 1397.

(2) 25 / 2

(3) معوزة في الألبان 44-45.

(4) صورة الخامس: 3 / 17، ونظر الكشاف: 4 / 34، والجمع لأحكام القرآن: 15 / 36.

من بين آياتهم ومن خلقهم ومن آتاهم ومن شملهم:

يصور القرآن الكريم بهذا التعبير الكتابي، عبارة إيليس - لعنه الله - الثانية لأخوه آدم
عنه وذريته، في قوله - تعالى - على لسان إبليس ﴿كَأَيُّكُمْ يَبْذُلُهُمْ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ عِلْمٌ وَإِنَّ إِلَهُكُمْ يَوْمًا يَكُونُ فِيهِ عِلْمٌ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (البقرة: 31) ⁴¹

﴿يَبْذُلُهُمْ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ عِلْمٌ وَإِنَّ إِلَهُكُمْ يَوْمًا يَكُونُ فِيهِ عِلْمٌ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (البقرة: 31) كتاباً، والمعنى المحسوس المقرب لما أن
إيليس سيأتي البشر من كل الجهات لأخواتهم وإخوتهم عن طريق الله، عن طريق الحق
والهدى، فهو العدو يأتي من الجهات الأربع للإطلاق على عباده.

أما المعنى المكتسب عنه فهو تجسيد لوسومه وتسوئه للبشر ما أمكنه ونشر عليه ⁴² من
الإغواء والتضليل، والكتابة تخرج هذا المعنى وتقرئه إلى الأعداء في صورة متحركة، نرى فيها
إيليس - لعنه الله - في إصراره العنيد على إغواء بني آدم، فهو يترصد بهم قاعداً لهم صراط الله
الستيم، والعودة كتاباً من الملازمة، ووجه الكتابة هو أن ملازمة للكان تستلزم الإحياء من
الوقوف عنده، فيبعد لللازم طلباً الراحة، ومن ثم أطلق على التعبير اسم التعميد، ومن إطلاق
التعميد على اللازم قوله - تعالى - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ وَالَّتِي عَلَيْهَا لَكُمْ آفَافٌ﴾ (البقرة: 217) ⁴³ أي ملازم (إد) لا
يؤمّنك بقعود ولا قيام ⁴⁴

والصراط استمارة تصريحية تصور الإسلام من إيمان بالله وطاعات في صورة حسية،
وإيليس سيحدث على هذا الصراط المستقيم بعدد من كل من يحاول اجتيازه إلى الله ⁴⁵ ويرجعهم
عنه ويضلّهم في شتى صولاته كما صوّت الكتابة، فيطلبوا كالمري لا يعرفون الله ولا
يشكرونه ولا يفلت منه إلا القليل ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْرَمَ حَكِيمٌ﴾ (النجم: 28) وفي الشكر كتاباً من الكفر كما
قال - تعالى - ﴿وَأَكْثَرُهُمْ أَتَىٰ بَعْثِي﴾ (البقرة: 217) ⁴⁶ ووجه الكتابة أن إيليس أراد الأدب مع الله -
تعالى - فلم يصرّح بين يديه بكفر ألباهه القنطري أنه يلهوهم بالكفر ⁴⁷

(1) سورة الأعراف: الأمان: 17، 16.

(2) ينظر: الكشف: 2 / 73.

(3) سورة ق: الآية: 17. وينظر: سورة الأعراف: الآية: 86.

(4) تفسير التحرير والتوير: 8 / 47 - الكتاب الثاني -.

(5) سورة البقرة من الآية: 152.

(6) ينظر: تفسير التحرير والتوير: 8 / 50 - الكتاب الثاني -.

ولا ينفي ما في التصوير الكتابي من تجايز من حلق المدو والمترى في الذي لا يفي في
إسلاف البشر للحلوله بينهم وبين الإيمان والطاعة، فحيز شديد يفر النفس للأمانة بالله الطاعة
له أن تيقظ لهذا المدو وتقرأ عطر، يتقوى الله وطاعته فتجوز من عذاب الله

(4) كتابيات من الرحمة:

وهي كتابات متعددة تصور رحمة الله الواسعة بمبادئ، وفيما يأتي عرض لأمثلة منها
فتح البركات من السماء والأرض:

وردت هذه الكتابة التصويرية في قوله - تعالى - ﴿وَأَنزَلْنَا لِقُلِّ الشَّجَرِ مَنًى وَأَنزَلْنَا لِقُلِّ الشَّجَرِ مَنًى وَأَنزَلْنَا لِقُلِّ الشَّجَرِ مَنًى﴾⁽¹⁾
﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا لِقُلِّ الشَّجَرِ مَنًى وَأَنزَلْنَا لِقُلِّ الشَّجَرِ مَنًى وَأَنزَلْنَا لِقُلِّ الشَّجَرِ مَنًى﴾
حيث شبه البركات وكأنها محصورة خلف الأبواب المغلقة، ثم حلف الأبواب وأبى شيئاً من
لوازمها وهي (الفتح) على سبيل الاستعارة للكيفية، وفيها تعمق دلالة تيسير البركات عليهم،
قال الزهرشي: "لأن قلت: ما معنى فتح البركات عليهم؟ تيسرها عليهم كما ييسر أمر الأبواب
للمختلفة بفتحها. ومنه قولهم: فتحت على القارئ، إذا تيسرت عليه القراءة فيسر لها عليهم
بالتفكير"⁽²⁾ والاستعارة ليست غاية بحد ذاتها وإنما هي وسيلة تقودنا إلى معنى مكشوف عنه
يتوارى خلفها، وبذلك تكون كتابة تشير إلى معناها فكشفت عنه، وبتمثل في ذلك المبهم من
الفرق المبارك من السماء والأرض، وهو يوزن لا ينحصر بلقاء أنمازل من السماء واليابات في
الأرض، وإنما هو طرف يأتي من كل وجه بلا تحديد وتقييد، هو يوزن مبارك ذو دلالة شاملة
لكل أنواع البركات في كل صورها وأشكالها للمادة والمنوية، وفكك بشرط الإيمان والنزوى كما
دلت سابق الآية ﴿وَأَنزَلْنَا لِقُلِّ الشَّجَرِ مَنًى وَأَنزَلْنَا لِقُلِّ الشَّجَرِ مَنًى وَأَنزَلْنَا لِقُلِّ الشَّجَرِ مَنًى﴾
يرزق مبارك معنى، وإنما يشير إلى دلالة السعة والفيض والمحبوب والرضا والسعادة. وهي صورة
جلية من صور الرحمة والآلية بعباده لو آمنوا به واتقوا.

(1) سورة الأعراف، الآية 96

(2) الكشف، 2 / 105.

الأكل من فوق ومن تحت الأرض:

ونلاحظي هذه الكتابة مع الكتابة السابقة في تصوير رحمة الله بعباده بالصورة الحسية في تعريب المعنى المكتنى عنه إلى الأفعان، وذلك في قوله - تعالى - عن اليهود والنصارى ﴿وَكُتِبَ لَهُمُ الْقُرْآنُ بِالْجِدْرِ وَالْإِنجِيلُ وَمَا أَجْرُهُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونُوا بِآيَاتِهِمْ أَشْفَاءَ﴾ (١) ﴿وَكُتِبَ لَهُمْ سِتْرٌ مَائِيَّةٌ﴾ (٢).

فالكتابة ﴿لَا تُكْتَلَبُ إِلَّا فِي الْقُرْآنِ﴾ (٣) تصوير حسي، وللمس الغريب كما جاء في التفسير: "لَا كَلُوا الْأَرْزَاقَ الْبَازِلَةَ عَلَيْهِمْ" (٤) من السماء بإزال مبادئها، والأرزاق النابتة ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾ (٥) التي عما تحتها من الأراضي الحسنة للنبات المثمرة (٦)، ولورد الخشري ثلاثة أوجه من المعاني:

- أن يفيض عليهم بركات السماء وبركات الأرض

- أن يكثر الأشجار المثمرة والزروع للنبات.

- أن يبرزهم الجنان القائمة للشار يبتسون ما تهتك منها من رؤوس الشجر ويتناولون ما تساقط على الأرض من تحت أرجلهم (٧).

أما المعنى المكتنى عنه بهذا التعبير المكتناني فهو الشعة في الفرق على اللامتين، المستعين، رزق مبروك لا يصعد بالجهتين المذكورتين (فوق وتحت) حسب، وإنما فيه دلالة الوفرة تعم البلاد بالخيرات والشار والأرزاق بتلها العباد بشرط الإيمان والنظر.

وبذلك نجني هذه الكتابة، فضلاً عن الكتابة السابقة المعنى المكتنى عنه مصوراً بالصورة الحسية المؤثرة بقرآن مكة من سنن الله تمثل في أن الإيمان والنظر يكفل للمؤمنين التقين وفرة في الرزق المبارك في حياتهم الدنيا، فضلاً من جزاء الفلر الآخرة بنعيمها الدائم الباقي.

(1) سورة المائدة، الآية ٦٦.

(2) صراط الرحمن في تفسير القرآن: 3 / 179.

(3) الكشاف: 1 / 630.

وحملناه على ذات ألواح وصور:

تrod هذه الكتابة في سباق الطوفان، وهي تجلي صورة من صور الرحمة الإلهية بالعباد المؤمنين: "روح الله ومن آمن معه، وذلك في قوله - تعالى - ﴿وَحَقَّقْنَا لَكَ ذِكْرَكَ أَفَلَا يُؤْمِنُ﴾⁴¹ ﴿وَلَقَدْ كَانَ الْكُرْشِيُّ يُشْرِي﴾ كتابة عن السبغة التي حملت روحاً الله ومن معه من المؤمنين، قال الزهري: "أراد السبغة، وهي من الصفات التي تقوم مقام الوصولات فتشوب منابها وتؤدي مؤدعاً"⁴² أي قدكفي من الموصوف (السبغة) بصفين هما الألواح والنسر اللذان يشيران إلى أنها كانت سبغة محكمة بهما، وهو المعنى الذي يلائم سباق الطوفان الصعب الذي أحاط خطره وأخطر بكل شيء ﴿وَقَدْ كُنَّا يَوْمَ نُفِثْنَا بِأَنْفُسِنَا بِالْغَيْبِ﴾⁴³ وَكُنَّا الْأَرْضَ عِزًّا فَأَنزَلْنَاهُ شَرْقًا شَرْقًا ﴿وَحَقَّقْنَا لَكَ ذِكْرَكَ أَفَلَا يُؤْمِنُ﴾⁴⁴ فهي سبغة محكمة قد صممها سبغة روح بيس الله ورحمته كما قال - تعالى - ﴿لَقَدْ كُنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ أَهْلًا بِالْغَيْبِ﴾⁴⁵ والفتكر في ﴿الْكُرْشِيُّ﴾ يهيد العظيم والوجه معاً، فهي من روح من الألواح غريب وعظيم، وكذلك يقال في (النسر)⁴⁶.

وقد لحظ الدكتور محمد أبو موسى معش آخر مضافاً لهذا المعنى بقوله: "الكتابة عن السبغة بذات الألواح والنسر ليس يائاً لكتابتها ولونها وأنها بأمن من فيها، وإنما هو تهيؤ لها، وأنها لا تحفظ أحداً، وإنما كان الحفظ بمنية الله وحدها، وكتبتهم في وسط هذا السور الحائر الذي ينبثق الحياة والأحياء آمنون وهم على ألواح لا تضي عنهم من الأمر شيئاً، لأن عناية الله كانت هي التي تحفظ، وفي هذا تكريم هؤلاء الذين آمنوا وأنهم لم ينجوا بسبغة ناجية، وإنما نجوا على سطوح ألواح عينة"⁴⁷.

وفي هذا يتجلى بيان الكرامة التي كانت من الله لنوح والذين معه ورحمته بهم في ذلك الوقت وهو له العظيم الذي أحاط بالأحياء والحياة.

(1) سورة القصص، الآية 13، وينظر السور الأربعة الشورى، الآية: 32، والفرقان 3، والرحمن، الآية 24، والحاقة، الآية 11 ولها كثيرون عن السبغة يرمضها آية من آيات الله وتجلي صورة من صور رحمة الله بالإنس.

(2) التفسير 4 / 345.

(3) سورة القصص، الآية 11، 13.

(4) سورة المؤمنون، من الآية 27.

(5) ينظر التصوير البني دراسة تحليلية لسائل البيان، ص 417-418.

(6) التصوير البني دراسة تحليلية لسائل البيان، ص 418.

﴿وَكُلُوا لِمَا كَسَبَتْ يَدَايَكُمْ﴾ تجلي حقة لغري للموصوف الذي يترى في الرينة والنعمة، وهو إذا احتاج إلى جملة الموصوف ومجاعة الرجال. كان غير بين، ليس عنده بيان، ولا يتجلى بمرهات يفتح به من خلاصة الله وذلك لتصفهون طرفة عن الرجال.

وبذلك يبرز حيز للموصوف وصعته في التمتع الكفائي باليات شاعده ودليته من الواقع الذي يعايشه، ومنطقهم الذي يلاسون به، فيتجلى ظلمهم وطمعهم، فضلاً عن شركهم بالله ﷻ حين يعملون له مما خلق جزءاً من المخلوقين.

تطهير الثياب:

جاءت هذه الكتابة عظة للرسول ﷺ في قوله - تعالى - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ﷻ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ كتابة، والمعنى القريب لما حر. أن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ بأن تكون ثياب طاهرة من النجاسات، لأن طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح إلا بها ﷻ، والمؤمن طيب طاهر، لا يليق منه أن يحمل الخبث، وقد كان المشركون لا يطهرون، فأمره الله أن يطهر وأن يطهر ثيابه ﷻ.

أما للمسي المجيد أكتفى عنه، فهو (القلب) كما قال ابن عباس (نفسه الله عهدها) كتفى بالثياب من القلب والمعنى وتلك فطهر من الآثم والمعاصي بقول خيلان وإني يحسن الله لا ثوب فاعير. *أرسلت ولا من غيرة أكتف* ﷻ

وتقول العرب، "فلان طاهر الثياب وظاهر الجيب والقبيل والأركان إذا وصلوه بالثياب من المعاصي ومفاسد الأخلاق، وقلان نفس الثياب للثياب، وذلك لأن التوب يلبس الإنسان ويشتمل عليه، فكيف به عنه. ألا ترى إلى قولهم: أصحبي زيد ثوبه، كما يقولون: أصحبي زيد حقه وعقله، ويقولون: أجد في ثوبه، والكرم تحت حلت، يكتون من نسبة الجدة والكرم إليه ولأن الثياب أن من طهر باطنه ونقاء عني يطهر الظاهر وتتبعه، ولي لا اجتناب الحبث وإتبار

(1) الكشف: 4 / 191.

(2) سورة طه، الآية: 1.

(3) ينظر الكشف: 4 / 516.

(4) صفوة الصالحين: 3 / 474.

(5) جامع البيان في تفسير القرآن: 29 / 91 وينظر: التفسير الكبير: 30 / 193.

بوتان مزود يذهب، ولعل ابن عباس (رضي الله عنهما) خصصه بذلك المعنى لمناسبة واتعة
وقوله⁽¹⁾

ومن ثم تلحظ من الكتابة والسياق معنى انضمام القرآن بالمرأة إذ يرجع بها إلى حيث
تحقق إنسانيتها إذا ما تحققت في واقعها باجتناب ما ينهي عنه القرآن.

(1) في كلام القرآن: 8 / 70

المقدمة

بعد أن شارفت - بحمد الله تعالى - نهاية الطواف في كتابة هذا، وقد كان تجربة عظيمة
محمدة في رحاب القرآن العظيم، وجدتني أقف على نتائج شتى عنها، أجعلها بما هو أكثر

1 - تبين لنا - خلال المهام - أن الكتابة في اللغة هي حلول من لفظ إلى آخر حال عليه هو
لحلول لا يعني إحصاء المعنى للتصوير للتأنيب كما هو في (التورية)، ولا
يعني - أيضاً - ترمي الجمال واليمن والتوسع في التعبير للفتوي، أو إرادة غرض مما
يرمي إليه سياق العبارة حسب، وهو بالضرورة بجانب إيوار المعنى وإظهاره، وكشفه
فيقلب التعبير إلى تعبير مباشر بقرّر معناه بطريقة مباشرة، وإنما يعني أن المعنى المكتسب
صه ليس بالواضح وضوح المذكور صراحة، ولا هو بالحرفي الضليل الذي لا تكاد
تكتبه بالتأمل وإسناد النظر، وإنما هو لشبه ما يكون مكسوراً بشوب رقيق شفاف
يؤحي بالمعنى ولا يباشر به يُلمح إليه ولا يقرّر.

أما الكتابة في الاصطلاح فقد ساهم جمع غفير من العلماء والمفكرين أصحاب البلاغة
في تطوير ولائها الاصطلاحية حين استقرت مصطلحات عند المتأخرين منهم
ولاحظنا في المهام أن المفهوم الفتوي للكتابة هو الطابع الأساس فما إلى عصر ثمانية
بن جعفر (ت 337 هـ) حيث أريد بها غالباً (السر والإعجاز) وإن لم تحل من
العمق والتمسح ومن بعض الملاحظات التي حددت التعريف الاصطلاحية
وجدنا أنها قد تطورت من المفهوم الفتوي إلى المفهوم الاصطلاحية عند ثمانية، فهو
أول من عزّلها باسم (الإرفاد) ولم يستأ كتابته، كما فعل أبو هلال العسكري،
ولين سنان الحنفي، وعبد القاهر الجرجاني من بعده، والشواهد التي ساقها له هي
من شواهد الكتابة

ونعيب للمهام إلى أن الكتابة تعبر مجازي وهو ما دعى إليه أكثر علماء البيان، وذلك
لأن الكتابة من أساليب التعبير غير المباشرة، وما يترد منها غير ما يدل عليه ظاهر
اللفظ وهو المعنى الحقيقي، وإذا للتصوير معنى آخر يخفي وراء ظاهر اللفظ
الكتابي ويرتبط به، وما دام المراد ليس الحقيقة للوكة بظاهر اللفظ، فالأول أن تكون

الكتابة من الجاز، فضلاً عن أن هناك الرتبة من الكتابة يتصل بهم معناها الحقيقي أو إيرادها، يتضح ذلك بخاصة مع الكتابة بالتمثيل.

وتبين أن الترميز هو لون من ألوان الكتابة، أو طريقة متميزة من طرقها له خاصية فنية في التعبير عن المعنى إذا جاء في سياقه للمعنى المتابع من الموقف الخاص الذي يقال فيه الكلام، وإن دلالة الترميز هي اعراض عن دلالة الألفاظ الأخرى من الكتابة كالإرداف والتشبيك والتفويض والإيهام والإشارة، لأن دلالة تتحقق من جهة المفهوم، ودلالتها لفظية وضعية من جهة الجاز، وأن الترميز يختص بالنقطة المركب وأن صور الكتابة الأخرى تشمل اللفظ المفرد والمركب معاً.

وفي ضوء الوسائط بين المكتنى به والمكتنى عنه قريباً أو بُشداً أو غشاً أو جلاءً كان تقوم البلاغيين لأسلوب الكتابة، إذ جعلوا معيار جودة الكتابة واجداً إلى هذه الوسائط في بيانها ووضوحها في الدلالة على المعنى المقصود، وذلك شرطاً من شروط البلاغة. وقد أسس البلاغيون المتأخرون مصطلحات في ضوء هذه الوسائط التي توصلنا إلى المكتنى عنه، فهنا على ذلك حصة أنواع هي الترميز والتلميح والإيهام والإشارة والرمز.

كما نظر البلاغيون في طبيعة (المكتنى عنه) الذي يتولى خلف سبغ الكتابة فيجملوه ثلاثة أصرب، وتبعاً لذلك فإن الكتابة تنوع ثلاثة الكتابة عن المصنف، والكتابة عن الموصوف، والكتابة عن النسبة.

وكل ما ذكره من هذه الأصرب هو صور بذلة لازمة للمعنى الحقيقي المقصود يميز الواحد من الآخر بسمه لقوة وفنية في التعبير عن الأفكار والمعاني بعبارة وقوة وتأثير، لأن الكتابة من الأساليب البانية التي تنسم بالإيجاز وغير المباشرة في التعبير عن المعنى، وهي تؤدي المعنى بذكر تولزم حصة تكون دليلاً وبرهاناً في إثبات المعنى، ومن ثم كانت الكتابة أبلغ من التصريح وأوقع في النص منه وأكسد في إثبات المعنى في المعنى واللفظ وحده سرّاً بلافتها.

ولاحظ لهذا أن المفسرين والمفوضين، والنحاة والأدباء والبلاغيين قد عُنوا جميعاً بالكتابة القرآنية في الاستشهاد بها، وبيان المعاني التي تنطوي عليها، إلا أن ما ذكره من الكتابات القرآنية كان محدوداً، إذ يكرر - على الأغلب - الفلاح من منهم ما ذكره

السابق، لذلك ظلت الكتابة القرآنية بحاجة إلى استقصاء شامل في القرآن كله، استقصاء يجمعها على صعيد واحد لدراستها دراسة موضوعية شاملة تبين خصائصها التصويرية والتعبيرية بوصفها أسلوباً من أساليب القرآن البالغة التعبير.

2 - وفي الفصل الأول (الكتابة الجسدية) لاحظ دفة القرآن الكريم في استخدامه للكتابة، إذ إن كسل للكتابات الجنسية تشترك في العنصر تلك العنصر منه الرئيسي (الجسم)، وتفرق كل كتابة بإيجاد خاص ينسجم مع السياق الذي تكون فيه وهي موضوعية في موضعها اللاتق بها، وهو وجه من وجوه إعجاز القرآن، ويتجلى في الكتابة الجسدية البعد التهدي، والقرآن بالكتابة يتسامى ويرتفع عن التصريح بالألفاظ البليغة القسمة التي تخدش الشعور وتحط من اللوق الإنساني وهو يرفع بالعلاقة الزوجية إلى لقن كريم ينأى بها عن الصورة الحيوانية الغليظة، وس يمحور إعجازات الكتابة الجنسية لتحفظ إعطاء للإنسان بالصورة الإنسانية في المباشرة والاكفاء.

ولاحظنا أن ما ورد من الكتابات الجسدية ينطوي على دلالة موحية خاصة - إذا ما فُورنت بما ورد في القرآن من ألساط صريحة قللة على الفناشة كـ (قرنا واللواد) التي قلل قللة ملحوظة إزاء الكتابات الجنسية المشروعة بين الزوجين - وتشكل هذه الدلالة في الحث على تفريق النطق بالفناشة من القول والتناول به في المجتمع، 59 تدوله بعمل على إزالة النرج من ارتكاب الفناشة، فتشيع في النفوس ثم تشيع بعد ذلك في المجتمع، فهو بُعد اجتماعي مرتبط بالبعد التهدي، ومما سدد من أعتاف القرآن الذي يحارب شعور الفناشة في الواقع، لأنها لا تلبس الفطرة السليمة، وتشمل على فساد المجتمع.

3 - وعلى صعيد الفصل الثاني (الكتابة اللونية) أظهر أن الكتابة باللون موحاة 91 الأول - ذكر اللون السال على اللون مباشرة في التعبير عن المعاني والشاهد والمؤلف الصبغة للتموهة، كالكتابة باللون الأبيض، والأسود، والأزرق، والأصفر، والأصفر

والثاني - التعبير عن اللون بصورة غير مباشرة، يدرك فيها اللون من خلال الصورة الكتابية التي يتداخل فيها اللون فيتلفى للمتلقي بطريقة ذهنية أليمة. بذلك

إلى المعاني والإيهامات المتنوعة، وتبين من عرض أمثلة الكتابة باللون بدلالة مباشرة وغير مباشرة أنها كانت غنية بإيحاءاتها، فهي ذات قيمة فنية في تصويرها للمعاني والمشاهد فيما ترسمه من ظلال حول النفس خروحي بكثر من دلالتها الظاهرة، وهي أكثر ما ترد في مشاهد يوم القيامة بوصفها أسلوباً ذا قوة تميرية في تجسيد المعاني النفسية في حيوية وقوة تأثير وإمتاع.

4 - وفي الفصل الثالث (الكتابة النفسية) على نحو جلي الإشارات الوجدانية والمشاعر النفسية التي جسدها الكتابة بالتصوير النفسي المؤثر، والكتابة القرائية لا تغف في معانيها ودلالاتها عند التصوير الحسي، وإنما يوحى التصوير فيها بتضاعف دلالي معنوي ونفسي مؤثر يقرب الأتكار والمعاني إلى الحس والوجدان فتفضل له النفس انفعالاً من شأنه أن يحدث استجابة نفسية معينة في القارئ. و لكتابة النفسية تظهر بالتصوير الحسي داخل النفس، والمشاعر الباطنة، والانفعالات النفسية في حركات حية نابضة بالحياة، سواء أكانت هذه الحركة باليد أم بالراس أم بالعين أم غير ذلك من أعضاء جسم الإنسان، لأنها تشير إلى المعاني النفسية المقصودة من تدم وحسرة وغيظ وحقد وجحود وإعراض، وهرمة وعوف وعلع وفزع، واحتظار واستهانة، وفرح وسرور وطأنة تعرض كل هذه المعاني النفسية في سياقات غظيفة وأحوال متباينة في الحياة الدنيا في مواقف متنوعة، وفي الأخيرة في مشاهد يوم القيامة للرؤية.

5 - وجلى الفصل الرابع (الكتابة الخلقية) موضوعات تتعلق بعلم شطبة إيجابية كانت لم حلية مثل الغيبة والسب، والبخل والتبذير، والشجاعة والجل، والفكر والتواضع، والهمة والصبر على مغريات الحياة الدنيا، وما إلى ذلك من موضوعات تتعلق بأغلاقي الإنسان وسلوكه وهو يتحرك ضمن المجتمع الذي يعيش فيه والقرآن حين يعرض هذه الموضوعات الخلقية - على الأغلب - لا يعرضها بتعابير غنية مجردة وبطريقة مباشرة، وإنما يعرضها بالأسلوب الكتابي الذي يهبط بتصبيه النفسي الكاسل في أماء للمعاني وتصويرها بطريقة من شأنها أن تحدث الاستجابة الوجدانية المناسبة في السامع أو القارئ وهو يتلقى هذه الموضوعات التي يقصد القرآن إلى تبيتها في نفسه وقلبه أو تغييره منها.

6 - ويُنَّ الفصل الخامس (الكتابة الساعرة) أن السخريه أسلوب عفاي مبروح الفكاهه عمد إله القرآن الكريم لتسقيق أغراض عبء إلهاء والسخريه في القرآن الكريم قد ينظر إليها بضمهم على أنها لا تمنح وجلالة القرآن من حيث (كلام الله، لذلك لا يسوغون نسبة السخريه بمعناها المعروف إلى الله ﷻ، لكن القرآن بصمت ناطقاً بلسان المسلمين يجعل الصور الساعرة التي سالها، ومنها (الكتابات الساعرة) يجعلها كأنها صادرة من المسلمين أو ملكة لرفقهم، وذلك لأن القرآن في كل اتجاهاته يمشد كل أسلحه وطاقاته ليمرر مركز المسلمين ويضعهم إلى النصب، وفي الوقت نفسه يعطس مركز أعداء الاسلام ويطلع بهم إلى الخزيه أو الشعور بها أو توتفها.

لذلك فإن الكتابات الساعرة التي تشكل جانباً ملحوظاً من أسلوب السخريه في القرآن هي ليست أسلوباً تعبيراً وتصورياً يمت على الضحك، وليست هي تهجماً أو هجاء أو تهوين شأن الخصم حسب، وإنما هي - أيضاً - وسيلة حيوية لتسقيق أهداف على جانب كبير من الأهمية سواء من الناحية النفسية أم من الناحية الاجتماعية.

والكتابة الساعرة في طبيعتها سلاح يستخدمة القرآن ضد أعداء المسلمين، وهي في - الأهم الأغلب - تستهدف كسب الكسور والشرك الذين يستحقون خسارتهم العتقية للاسلام والمسلمين بكل ما كوتوا من قوة - لذلك ميزهم القرآن بتماير كتابه ساعرة تنال منهم نيلاً مؤلماً، إذ نهضت الكتابة بوظيفتها القوية في أداء المعاني والأفكار التي قصد القرآن إليها، ولو جاءت تماير حثيئة غير الكتابة لما استطاعت أن تنهض بما نهضت به الكتابة تعبيراً وتصورياً في مواضعها التي اختارها القرآن.

7 - أما الفصل السادس (الكتابة للمعرفة) فقد تناول تلك الكتابات التي تتصلق بالخراس من صبح ويصر وقواء والتي يتم بها تحصيل العلم والمعرفة التي هي أداة هادية إلى الإيمان بالله ﷻ، فيمتاز الإنسان بها من المخلوقات الأخرى، ويُنَّ هذا الفصل من خلال كتاباته عالي متصادين عالم الإيمان والهدى وأصحابه المؤمنين، وعالم الكفر والخلال وأصحابه الكافرين الفالين، على التقابل في دلالتهما الفكرية والنفسية، وقد حقت الكتابات المعرفية دلالات عميقة في الحس والشعور، ويقدو بساطة التركيب الكتابية ووضوحها تكون قوة عطائها وعمق إيصالها في لغاتنا والأدكار، إذ يتقابل أمام الفكر والنفس عالمان متناقصان في دلالتهما في صورة يانبة كاشفة تفصل كل عالم من هذين

العالمين بصفات حسية تشخص رموزاً لا يتخطى إجمالها عما أخرجت للعاني والأفكار بحيرة ليس تفريرها حسب، وإنما لتدخل دلالاتها في كيان الإنسان ليتأمل معانيها والكواهر، وتترسخ معانيها في الفكر والنفس.

8 - وأهم أن (الكتابة التصويرية) في الفصل السابع هي ثوب من ألوان الكتابة لا تقع إلا في التركيب على خلاف ألوان الكتابة الأخرى التي تقع في القردة والتركيب، وهي تنفيذ القول بلاهجة في سياقها، وذلك لأنها تشير بخفاء ومن دون وسائط ولوازم إلى معنى بعيد فتبعث على إثارة الذهن للتعرف على المعنى المراد، من طريق سياق القول ومقتضياته، ولأنها تتناثر بالإيجاز في التعبير عن المعاني التي تهدف إليها، فهي تحقق معناها الذي ترمي إليه من طريق المفهوم من السياق وقرائن الأحوال من غير ذكر ما يتعلق بالطرف المقابل للمرئى به حفاظاً على مشاعر من الامتنان، لذلك نعد من الأساليب البائية التي تفيض بالأدب القرآني الذي تتطبع به لغة الملهمة تنوعاً للمعاني وصيانة للنفس الإنسانية من العبث والميل والإكثار للونه، ولذلك يكون وقع المعنى مؤثراً وأقوى على الاستجابة النفسية للنسبة التي يفصح القرآن إلى إحسانها في النفس الإنسانية بشفقة.

9 - من الفصل الثامن (كتابات عن يوم القيامة) أن القرآن يستخدم ألفاظاً كتابية متعددة في التعبير عن يوم القيامة، وكلها تشير إلى انقراط حقد هذا الكون لتطور، وبخلاف روابطه وضوابطه التي تمسك به في هذا النظام البديع الدقيق، وتناثر أجزائه بعد انفلاتها من قيد التاموس الذي يسطرها بقدره لله وإرادته.

وكشف عن أن كل لفظ من هذه الألفاظ الكتابية عن يوم القيامة يحمل صفة من صفات ذلك اليوم العظيم وأحواله بلفظه وإيقاعه الموسيقي، إذ إن الألفاظ الكتابية عن يوم القيامة من الأسماء التي عُدَّت جسد التثنية فانتقلت من الوصفية إلى الاسم، لما فهي تثير المعسوم والنبوت والشك والظهور، كما أن التعبير في هذه الألفاظ هو تعريف الجنس لتمييزها من بين الأجسام على وجه التخصيص، ليوم القيامة هو يوم عظيم لا تحيط الألفاظ والعلامات بوصف أحواله وأحداثه إلا أن تعدد هذه الكتابات وتجهتها على صعيد واحد يقرب إلى الانعقاد والفتور على محور من التوكيد أحوال ذلك اليوم وشدة على الكون والحياة والإنسان، فتحدث الاستجابة

النسبة التي يهدف إليها القرآن، إذ للملاحظ أن هذه الكتابات قد جاءت في سور مكية التي من أبرز أهدافها تأسيس أصول الدين الكبرى في القلوب والنفوس بحسب توصية الله ﷻ في الروحية وروبيته للكون والخلق جميعاً، وفي مقدمتها الإنسان الذي كرمه الله أيما تكريم وغشقه على كثير من خلقه تفضيلاً

وبين الفصل أن هناك كتابات أخرى تتصل بكتابات يوم القيامة تصور شدة ذلك اليوم وكرهه على الكافرين في مشاهد يوم القيامة، وكتابات أخرى تتعلق بمشاهد الناجين والمعتدين في ذلك اليوم المشهود، مشد الناجين وهم أصحاب اليسى الذين يؤمنون بكتبهم باليسى، ومشهد للمؤمنين وهم أصحاب الشمال الذين يؤمنون بكتبهم بالشمال أو وراء الظهور فالقرآن يحل حقيقة (النجاة) من وراء إتيان الكتاب باليسى، وحقيقة (السلام) والثبور من وراء إتيان الكتاب بالشمال أو من وراء الظهور، وهما حليتان للقصد أن نسيتهما كما أخبر بهما القرآن الكريم.

10 - ثم يتطرق بالفصل التاسع (كتابات قلمي موضوعات متفرقة)، وقد ضمّ مجاميع من الكتابات، تشكل كل مجموعة منها موضوعاً قائماً بذاته، وتشترك كل مجموعة من الصور الكتابية في معالجة موضوعات يجمعها غبط تكري واحد

المجموعة الأولى: بعنوان (كتابات من الشدة والكرب) اشتركت فيها ثلاث كتابات بإعطاء الشدة والكرب الذي يتصاب الإنسان في حياته، والشدة والكرب الذي يواجهه في موته ويمته، وشدة وكرب وهو يواجه الحياة، يعرضها القرآن من خلال مواجهة نبي من الأنبياء (عليهم السلام) لومه لظالمين للمؤمنين من القطرة السوية

والمجموعة الثانية: (كتابات من مصارع المارين) كما د وثمود ورمون التي أمكنها الله بلغيتها، فبمثل مصارعهم ذكرى لمن كان له قلب ليعتبر بها والمجموعة الثالثة: (كتابات من الملوك) التي تصوراً مشروعة من جانب الله، منها ملاب أصحاب جهنم الذين يتشاهم عليها من فوئهم ومن تحت أرجلهم، ومنها ملاب في الحياة الدنيا لأولياء الشيطان...

والمجموعة الرابعة: (كتابات من الرحمة) وتصور صوراً من رحمة الله الواسعة لمباده.

والمجموعة الخامسة: (كتابات أخرى) تفرده فيه كل كتابة بموضوع معين

وإذ يعرض القرآن هذه الموضوعات في مجاميعها، فإنه يعرضها بالتصوير الكافي الذي
يحتضن الأفكار والمفاتيح فيديها بمروية وقوة تأثير في المتلقي، مما
على إحداث الاستجابة النفسية التي يهدف إليها القرآن
عنه أبرز النتائج والمبررات، حتى أن تكون قد وثقت في بيئاتها، وأحرر دعواتنا أن الحمد لله
رب العالمين.

المصادر والمراجع

- ابن القيم وحسن البلاغي في تفسير القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار الرائد العربي، ط 1، بيروت 1402 هـ - 1982 م
- الاكثان في علوم القرآن، السيوطي - جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة ومطبعة للشهد الحسيني، القاهرة (د. ت).
- الأدب الرمزي، هنري بير، ترجمة هنري زليب، منشورات هونيات، ط 1، بيروت 1981
- أساس البلاغة، جلال الله محمود بن عمرو الفخراني، عبد الرحيم محمود، مطبعة أولاد اوربلاند، ط 1، 1372 هـ - 1953 م.
- أسرار البلاغة، الإمام عبد القادر الجرجاني، مصححه وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت 1398 هـ - 1978 م.
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. محمد عبد الحميد ماجي، مؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت 1404 هـ - 1984 م.
- الإسلام والتربية الجنسية، د. وجيه زين الملقين، مكتبة النور الإسلامية، الكويت (د. ت).
- أسلوب السحرية في القرآن الكريم، د. عبد الحليم حنفي، المطبعة المصرية العامة للكتاب، 1978
- الأسلوب الكتابي - نشأته تطوره، بلاغته، د. محمود السيد شبحون، الناشر مكتبة الكلبيات الأزهرية، ط 1، القاهرة 1398 هـ - 1978 م.
- إصلاح اللسان، لابن الحكيم، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ط 3، 1970
- أصول البيان العربي - رؤية بلاغية معاصرة، د. محمد حسين علي الصغير، مطبعة دار الشؤون الثقافية، بغداد 1986 (مسلسلة كتب شعرية)

- الإحجاز البياني للقرآن ومساائل ابن الأوزاعي: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، مطابع دار المعارف بمصر 1971
- الإحجاز النظمي في القرآن، د. السيد الجسلي، مطبعة لشيلية، بغداد (د. ت.)
- إحصاء القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، د. حنفي محمد شرف، مطابع الأهرام التجارية، 1390 هـ - 1970 م.
- الأمثال في القرآن الكريم، د. محمد جابر الفياض، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1، بغداد 1988
- أنوار الربيع في أمواج البديع، ابن معصوم للنبي، حققه وترجم لشعراحي - شاكور هادي شكر، مطبعة النعمان، ط 1، للنهف 1389 هـ - 1969 م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب التبريزي، شرح وتعليق وتلخيص د. محمد عبد الحمم عفاحي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت 1989
- إبداع اللون في القصيدة العربية الحديثة، د. علوي الحاشي (مهرجان للربيع الشعري التاسع)، ضمن (الشعر العربي عند نهائيات القرن العشرين)، دار الحرية للطباعة، بغداد 1410 هـ - 1989 م.
- البحر المحيط، الأندلسي، آثار المصنف محمد بن يوسف بن حيان، الناشر مكتبة ومطابع الناصر الحديثة، بيروت (د. ت.).
- البديع، عبد الله بن المعتز، نشر وتعليق: الخاطيوس كراتشولسكي (د. ت.)
- بديع القرآن، ابن أبي الأصح المصري، تحقيق: حنفي محمد شرف، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د. ت.).
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ميسر البياني الحلبي وشركاه، ط 2، (د. ت.)
- البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين اسماعيل بن إبراهيم بن سليمان بن وهيب الكاتب، تحقيق: د. أحمد مطلوب، ود عذبة الحفشي، ط 1، بغداد 1387 هـ - 1967 م.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، عبد الدين محمد بن يعقوب العمري، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة 1385 هـ - 1965 م.
- البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط 2، (د.ت).
- البلاغة العربية، قاسم والبيان والبيدع، د. أحمد مطلوب، وزارة التعليم العالي و العلمي، الجمهورية العراقية، ط 1، بغداد 1400 هـ - 1980 م.
- البلاغة عند الجاحظ، د. أحمد مطلوب، مشورات وزارة الثقافة والأعلام، الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد 1403 هـ - 1983 م (سلسلة دراسات 342).
- البلاغة فنونها وأنها علم للماني، د. فضل حسن عباس، دار القرآن، ط 1، ص 1405 هـ - 1985 م.
- البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، د. كامل حسن البصير، مطبعة دار الكتب، ط 1، جامعة الموصل 1982 م.
- البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف بمصر، ط 7، (د.ت).
- بناء الصورة الفنية في البيان العربي، مؤلفة وتطبيق، د. كامل حسن البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1407 هـ - 1987 م.
- البيان والبيان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخليلي، القاهرة 1968 م.
- تأويل مشكل القرآن، أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد مقرر، ط 3، اللجنة الشريعة 1401 هـ - 1981 م.
- البيان في البيان، الطوسي، شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله، تحقيق: د. توفيق النيل وعبد اللطيف لطف الله، ذات السلاسل للطباعة والنشر، ط 1، الكويت 1476 هـ - 1986 م.
- البيان في تفسير القرآن، الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، مطبعة وكتبه أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب قصع، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، (د.ت).
- تحرير التفسير في صناعة الشعر والنثر وبيان أصناف القرآن، أبي الأصم المصري، تحقيق: د. حفيظ محمد شرف، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة 1383 هـ - 1963 م.

- التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، واجدة محمد الأطر قنسي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة، 1978، (سلسلة دراسات 143)
- التصوير البياني، حفي محمد شرف، مكتبة الشباب، للطبعة العثمانية، ط 2، 1973
- التصوير البياني، دراسة تحليلية لسائل البيان، د محمد أبو موسى، دار التضامن للطباعة، ط 2، القاهرة 1400 هـ 1980.
- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، (د ت)، (د ط)
- التعبير القرآني، رؤية بلاغية تقليدية، د شفيع السيد، دار غريب للطباعة، القاهرة 1977
- التصوير المسمي في القرآن، د بكري شفيق أمين، دار الشروق، ط 4، القاهرة، 1400 هـ 1980 م.
- التصوير القرآني والبيئة العربية في مشاهد القياس، ابتسام مرعون الصفار، مطبعة الأناضول، ط 1، النجف 1378 هـ 1967 م.
- التفسير الإسلامي للتاريخ، د. حماد الدين خليل، مطبعة أولمبيت المناء، ط 2، بغداد 1978
- تفسير أبي السعد، للسني إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعد محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د ت).
- التفسير البياني للقرآن الكريم، د عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، ط 6، القاهرة 1982
- تفسير التحرير والتحرير، محمد الطاهر بن حاشور، الدار التونسية للنشر، الطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1973 م.
- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد الحلبي وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مطبوعات مكتبة محمد نهاد حاشم الكتي، (د ت)، بهامش (القرآن الكريم).
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار الجليل، ط 1، بيروت 1408 هـ 1988 م.
- التصوير الكبير (مفاتيح الفهم)، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، ط 2، (د ت).

- تفسير المنار (تفسير القرآن الكريم)، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار بمصر، ط 1، 1346 هـ.
- تلخيص لبيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، تحقيق: محمد عبد النبي حسن، دار إحياء الكتب العربية، الباق الحلي، ط 1، القلعة 1374 هـ - 1955 م.
- التلخيص في علوم البلاغة، القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، صبيح وشروح عبد الرحمن القزويني، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت).
- تهذيب الأخلاق، يحيى بن عدي التكريتي، تحقيق وترجمة د. ماجي التكريتي، وزارة التعليم العالي و: العلمي، بغداد 1992.
- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة للطباعة والنشر، ط 2، بيروت 1392 هـ - 1972 م.
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام، للشوهر، ابن الأثير، حسيه الدين بس الأثير، تحقيق د. مصطفى جواد و د. جميل سعيد، المجمع العلمي العراقي، بغداد 1375 هـ - 1956 م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأتصاري الفارسي، الناشر دار الكاتيب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1387 هـ - 1967 م.
- جرس الأنساب ودلائها في البلاغي والثقفي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والأعلام، دار الرشيد للنشر 1980 (سلسلة دراسات رقم 195).
- جوامع البلاغة في المعاني والبيان والبدع، أحمد الفاضلي، منشورات دار إحياء التراث العربي، ط 12، بيروت، (د ت).
- جواهر الكسر تلخيص كسر الراءعة في لغوات ذوي الراءعة، نجم الدين أحمد بن اسماعيل بن الأثير، الحلي، تحقيق: د. محمد وغلول سلام، الناشر: مشاء للناشر بالأسكندرية، (د ت).

- حلية المحاضرة في صناعة الشعر، محمد بن الحسن الحائلي، تحقيق: د. جعفر الكشحي، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، 1979، (سلسلة كتب التراث 82)
- الخيران، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط 3، 1388 هـ - 1969 م
- خزائن الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت، (د. ت. ت.)
- الخلاصة في ملهيب الأدب العربي، د. علي جواد الطاهر، منشورات دار الجاحظ للنشر، الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983، (الموسوعة الصغيرة 121)
- دراسات في علم النفس الإسلامي، د. محمود البستاني، دار البلاغة، ط 1، بيروت 1408 هـ - 1988 م
- دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجاني، تعليق وشرح: محمد عبد المنعم عفاحي، مطبعة النجاة الجديدة، ط 1، القاهرة 1389 هـ - 1969 م
- دلالات التركيب دراسة بلاغية، د. محمد أبو موسى، دار المعلم للطباعة، ط 1، القاهرة 1399 هـ - 1979 م
- دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الخزيات، مطبعة الرسالة، القاهرة 1945
- وسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الحائلي بالقاهرة، (د. ت. ت.)
- الرمزية في الأدب العربي، د. درويش الجندبي، داتر نهضة مصر للطبع والنشر، مطبعة نهضة مصر، القاهرة 1972
- الرمزية والأدب العربي الحديث، أنطون عطاس كرم، دجلال الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت 1949
- الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، أيّة حنّان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر 1989، (سلسلة دراسات 267)

- الرؤية اليتية عند الجاحظ، ادريس بالمليح، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1404 هـ - 12984 م
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين السيد حمود الأكرسي البغدادي، للطبعة الكبرى المبرية، ط 1، مصر، 1310 هـ
- الروض المربع في صناعة البلغم، ليس البناء للراشدي المصري، تحقيق وخسران بنشقرن، نشر وطبع دار النشر للفرنسية، الدار البيضاء 1985
- سر الفصاحة، ابن سنان الحماضي، شرح وتصحيح عبد الحاصل الصمدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح ولولاه 1372 هـ - 1953 م
- سررة الواقعة ومنهجها في المقالة، محمود محمد غريب، المطبعة العربية للطباعة، بغداد 1977
- ميكولوجية التكاثر والخصوبة، د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، (د. ت).
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري، أحمد عبد النفور حطّار، دار العلم للملايين، ط 4، بيروت 1407 هـ - 1987 م
- صحيح البخاري، البخاري: أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر، (د. ت).
- صفوة البيان لمعاني القرآن، حسين محمد خروف، ط 3، (د. ت)
- صفوة التفاسير، محمد علي السامري، دار القرآن الكريم، ط 2، بيروت، المجلد الأول طبع في 1400 هـ - 1980 م، والثاني والثالث في 1401 هـ - 1981 م
- الصورة الأدبية، د. مصطفى ناصف، القاهرة 1378 هـ - 1958 م
- الصورة الفنية في الشكل القرآني دراسة نقدية وإعلامية، د. محمد حسين علي الصغير، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر 1981، (سلسلة دراسات رقم 288).
- الطب النبوي، ابن تيم الجوزية، صححه عبد الفتحي عبد الحلق، مطبعة منير، ط 2، 1985
- الطيعة في القرآن الكريم، د. كامد ياسر الزبيدي، دار الرشيد منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980، (سلسلة دراسات رقم 236)

- الطراز لتصميم لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، يحيى، بن حمزة بن علي العلوي، اليمن، مطبعة المكتشف، مصر 1332 هـ - 1914 م
- عبد القاهر الجرجاني بلاغته وقدره، د. أحمد مطلوب، ط 1، بيروت، 1393 هـ - 1973 م
- هروس الأفرح في شرح تلميح للفتاح، بهاء الدين السبكي، صمم شروح التلميح، مطبعة حسي البابي الحلبي وشركاه بمصر، (د. ت.)
- المقد، المرید، ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، شرحه وخطه وصححه أحمد أمين وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 2، بيروت 1375 هـ - 1956 م.
- العلاقات الجنسية ضمن الشرعية وعقوباتها في الشريعة والتساؤل، د. عبد الملك عبد الرحمن السعدي، دار الأناضول للطباعة والنشر، ط 3، 1410 هـ - 1989 م
- علم الهي ا، د. عبد العزيز حنيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د. ت.)
- علم البيان دراسة تاريخية في أصول البلاغة العربية، د. بسدي طابا، المطبعة الفنية الحديثة، ط 4، 1977
- علم البيان في الدراسات البلاغية، علي البدي، مكتبة النهضة المصرية، ط 2، 1404 هـ - 1984 م
- علم عناصر الفن، فرج مير، دار الفقه للنشر، إيطاليا، ميلانو 1982
- العمدة في حماس الشعر وأدابه وفنونه، رشيق القنبري، أبو علي الحسن بن رشيق، تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد، دار الجليل، ط 4، بيروت 1972.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، خطه وحققه حسام الدين القنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت.)
- لغة اللغة العربية، د. كاسم ياسر الزبيدي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل 1407 هـ - 1987 م
- الفلسفة العقلية نشأتها وتطورها، د. توفيق الطويل، الناشر: دار المؤلف بالأمم المتحدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1960

- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن تيم الجوزية، القاهرة 1327 هـ
- في البنية والدلالة رؤية لعظم العلاقات في البلاغة العربية، د. سعد أبو الرضا، الناشر منشأة المعارف، بالإسكندرية 1987
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، ط 5، بيروت، 1386 هـ 1967 م.
- الكائنوس المحيط، عبد الدين محمد بن محمود الفيروزآبادي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وتولاده بمصر، 1371 هـ 1952 م.
- القرآن إحصاءه وبلغته، د. عبد القادر حنين، مطبعة الأمانة، مصر 1975 م
- القرآن والصورة البيانية، د. عبد القادر حنين، عالم الكتب، ط 2، بيروت، 1405 هـ 1985 م
- القزويني وشروح التلخيص، د. أحمد مطلوب، مطابع دار المتحفيين، ط 1، بغداد، 1387 هـ 1967 م.
- الكامل، للبرق أبو القباس محمد بن يزيد، طبعه بأصوه وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، (د. ت).
- كتاب الرصان والرجحان والعميان والمحولان، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، منشورات ووزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 1982، (سلسلة كتب التراث).
- كتاب سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن كثر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار غريب للطباعة، ط 3، القاهرة 1408 هـ 12988 م.
- كتاب الصناعتين، العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل، تحقيق، علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي، ط 1، القاهرة 1371 هـ 1952 م.

- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، التحقيق: د. مهدي الخرومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد 1986.
- كتاب الملمع، حمزة أبي عبد الله الحلي، بن علي النعمري، تحقيق: وجيهة أحمد السطّل، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق 1396 هـ - 1976 م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم القرآن في وجوه التلويل، جابر الله محمود بن عمر الزهرشري، المجلد الأول، دار الفكر، بيروت. والمجلدات الثاني والثالث والرابع، ترتيب وضبط وتصحيح مصطفى حسين أحمد، مطبعة الاستقامة، ط 2، القاهرة 1373 هـ - 1953 م.
- الكناية أساليبها ومواقفها في الشعر الجاهلي، محمد الحسن حلي الأسمن أحمد، بيروت 1405 هـ - 1985 م.
- الكناية والتعريض ضمن رسائل الثعالب أو نشر النظم وحل المعقد، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالب، قدم له: حلي ثعلباني، دار صمب، بيروت، (د. ت.)
- لباب القول في أسباب النزول، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بهاشر تفسير الجلالين، مطبوعات مكتبة محمد نهاد هاشم الكتي، (د. ت.)
- لسان العرب، إيس منظر و د. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، (د. ت.)
- لغة السالكين في القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار الراشد العربي، ط 1، بيروت 1405 هـ - 1985 م.
- اللغة واللون، د. أحمد غفار العم، دار البحوث العلمي، ط 1، 1402 هـ - 1982 م.
- ال رن، محمد يوسف حمام، مطبعة الاعتماد، ط 1، مصر 1348 هـ - 1930 م.
- الكل السائر في أدب الكتاب والشاعر، ابن الأثير ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: د. أحمد الحسني و د. بدوي طيابة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، (د. ت.).

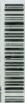
- جاز القرآن، صعدة أبي عبيدة معمر بن النسي النيسي، عرضه بأصوله وعلق عليه د. محمد فؤاد سركين، مكتبة الخانجي، دار الفكر، ط 2، 1390 هـ - 1970 م
- جاز القرآن خصائصه الثنية وبلانته العربية، د. محمد حسين علي الصغير، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1، بغداد 1994.
- المختصر على تلخيص الفتاح، سعد الدين العطارقي، ضمن شروح التلخيص، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، (د. ت).
- مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، د. حماد الدين خليل، مطبعة الزهراء الحديثة، ط 3، القصر 1405 هـ - 1985 م.
- المذاهب الأخلاقية الكبرى، فرانسوا غومبول، ترجمة فتية للمروني، مشورات صريجات، ط 1، بيروت 1970 م.
- المذاهب الأخلاقية من الكلاسيكية إلى الحديثة، د. نبيل راجب، لفحة المصرية العامة للكتاب، 1977، (المكتبة الثانية 343).
- المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصلية، د. حامد صادق نسي، مكتبة المنار، ط 1، الأردن 1984
- مشاهد القمامة في القرآن، سيد قطب، دار المعارف بمصر، (د. ت).
- معاني الآية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، ط 1، 1401 هـ - 1981 م
- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، فتحي أحمد صابر، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، 1976.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد القرطبي، عالم الكتب، ط 2، بيروت، 1980
- المعاني في علوم أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاسون، المكتبة الأموية، ط 4، 1983
- مع القرآن في عالم الترجمة، د. حماد الدين خليل، دار العلم للملايين، بيروت، (د. ت).
- المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي 1390 هـ - 1970 م
- معجم للمصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1407 هـ - 1987 م

- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة البابي الحلبي، ط 2، 1392 هـ - 1972 م
- المعرفة الصوفية (دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة)، ناجي حسني جودة، دار سنار، ط 1، ص 1412 هـ - 1992 م
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد علي السكاكيني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 1، 1356 هـ - 1937 م.
- المقدمات في فريب القرآن، الحسن بن محمد المعروف بالرأغب الأصبهاني، أهله للنشر وأخرف على الطبع د محمد أحمد خليف الله، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، المطبعة الفنية الحديثة 1970
- من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ، د محمد أبو موسى، الناشر: دار الفكر العربي، مطبعة السعادة، 1396 هـ - 1976 م
- من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مطبعة نهضة مصر، القاهرة 1370 هـ - 1950 م.
- من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، د عبد العزيز عبد الحمطي حرفة، عالم الكتب، ط 2، 1405 هـ - 1984 م
- المنتخب من كتابات الأدباء وإشارات البلغاء، أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني النخعي، معي بتصحيحه: السيد محمد بطر الدين النعماني الحلبي، مطبعة السعادة، ط 1، مصر 1326 هـ - 1908 م
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، محمد عبد الكريم الشوس، معي بنشره محمد علي الفرغ فاضلي، دار الحرية للطباعة، ط 1، بغداد 1406 هـ - 1986 م. وطبع المجلد السابع في 1409 هـ - 1989 م.
- مواهب الفتاح في شرح تلميذ المفتاح، أبو يعقوب المغربي، ضمن شروح التلخيص، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، (د. ت.).

- نصوص قرآنية في أنفوس الأسامية، د. عز الدين اسماعيل، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة، أتلقي حربية، ط 2، بغداد 1986.
- نظرية الحروف العاملة ومبتاعها وطبعة استعمالها القرآني بلاغياً، د. هادي عطية مطر الحلالي، مكتبة النهضة العربية، ط 1، 1406 هـ - 1986 م.
- نقد الشعر، لأبي الفرج قفامة بن جعفر، تحقيق وتعليق: د. محمد عبد النعم غفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).
- التكت في إعجاز القرآن، الرماني: أبو الحسن علي بن عيسى، فسم ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد و د. محمد زغللول سلام، دار المعارف بمصر، ط 3، 1976.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب التنويري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة، (د. ت).
- نهاية الإيجاز في ذرية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي و د. محمد بركات حدي أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان 1985.
- ثلثاً الرسائل والأطاريح الجليلة:
- أساليب الجياز في القرآن الكريم (المطروحة دكتوراه)، د. أحمد محمد حسن الجبوري، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1989.
- الاستعارة في القرآن الكريم (رسالة ماجستير)، أحمد فتحي رمضان، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1988.
- ألفاظ الثواب في القرآن الكريم دراسة دلالية (رسالة ماجستير)، حماد عبد يحيى، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1987.
- الألفاظ النفسية في القرآن الكريم دراسة دلالية (رسالة ماجستير)، أيمن توليق الوتراري، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1994.

- الجني والدلالات في لغة التخصص القرآني دراسة لينة (المطروحة دكتوراه)، د. صمد عبد يحيى، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1412 هـ - 1992 م.
- منهج الطوسي في تفسير القرآن الكريم (المطروحة دكتوراه)، د. كاسد ياسر الزبيدي، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1396 هـ - 1976 م.
- نشاط الصوفي في النقد والبلاغة (المطروحة دكتوراه)، د. متامل فخر الدين فليح، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1397 هـ - 1978 م.
- ثالثاً المجلات والدوريات:
- ألفاظ التصريح والتبيين في القرآن الكريم دراسة دلالية ، د. عبد الوهاب محمد علي المدوني وسماء عبد يحيى، مجلة آداب الراشد، تصدر عن كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد (23) 1992.
- التبرير من اللون في الشعر العربي القديم، د. وولف دترش ليشر، مجلة التربية والعلم، العدد (8) 1989.
- جمل اللون في شعر جميل حاروي، د. بشرى حمدي البستاني، مجلة آداب الراشد، تصدر عن كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد (25) 1993.
- الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، د. كاسد ياسر حسين، مجلة كلية آداب الراشد، تصدر عن كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد (9) 1978.
- شاعرية الألوآن عند امرئ القيس، محمد عبد المطلب، مجلة فصول، العدد (2) 1985.
- الكتابة، محمد جابر القياض، مجلة المجمع العلمي العراقي، (ج 1 37)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد 1406 هـ - 1986 م.
- مقومات النص في القرآن الكريم، د. كاسد ياسر الزبيدي، مجلة آداب الراشد، تصدر عن كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد (23) 1992.

دار فهداء للنشر والتوزيع



1213212



9789937157233



دار فهداء للنشر والتوزيع

تلاخ العلم - شارع 160 رابعا الجديدة
المنصورة - 962 6 5353402
جميع الحقوق محفوظة - الدار للنشر والتوزيع
المنصورة - 962 7 95667143
E-mail: darfadaa@gmail.com
م.ج. 520946 عمان 11102 الأردن